الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء

محمد كامل عبد الصمد

الجزء الثالث



الدار المصرية اللبنانية

الجانب الخفي

وراء إسلام هؤلاء

الناشـر : الـدار المصريـة اللبنانيـة
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٣٦٢٦ / ٩٥
الترقيم الدولى: 4 - 194 - 271 - 977
جمع : أرتك
العنوان : ٤ ش بنى كعب ـ متفرع من ش السودان ـ الكيت كات
تليفون : ٣٤٦٣٦٣٢
طبع : أمون
العنوان : ٤ فيروز ـ متفرع من اسماعيل أباظة
تليفون : ٣٥٤٤٣٥٦ ـ ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م
غلاف : محمد فايد

محمد كامل عبد الصمد

الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء

الجزء الثالث

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿... ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ..... ﴾

سورة الأعراف : ٤٣

مقدمـــة

من الأمورالملفتة للنظر أن يزداد الإقبال على الدخول فى الإسلام من النساء الأجنبيات، ولا سيما نساء الغرب المثقفات بعد أن اقتنعن بما جاء به الإسلام من مبادئ وتعاليم وآداب بدون أن يتعرضن لأية ضغوط أو إكراه من أحد. . . . وهذه ظاهرة استرعت انتباه باحثة بريطانية تدعى السيدة «هـ . بول» قد أسلمت، ولم تكتفِ بذلك، بل قامت بإجراء دراسة ميدانية عن دوافع وأسباب اعتناق المرأة الغربية للإسلام، وتطرقت الدراسة إلى قضية غاية فى الأهمية، فقد كشفت عن جانب من حياة المسلمات الجدد قبل الإسلام وبعده.

وتكمن أهميةتلك الدراسة فى كونها شهادة جاءت من أهلها ـ أو كما قيل: «وشهد شاهد من أهلها»، ولا سيما أن مثل هذه الدراسات والبحوث لايقوم بها فى الغالب سوى الباحثين الإسلاميين الذين يهتمون بمعرفة الجوانب الخفية وراء إسلام الأجانب أو غير المسلمين بوجه عام.

وقد تضمنت دراسة السيدة «هـ . بول» استبياناً وَجَّهَتْ فيه عدة أسئلة لمجموعة من المسلمات الجدد، وكان أولها هذا السؤال:

ـ ما الذى دعاكِ إلى اعتناق الإسلام؟

وكانت أكثرالإجابات عن هذا السؤال تفيد أن الإسلام دينٌ واقعىٌّ يركز ـ إلى جانب عباداته وشعائره ـ على توجيه السلوك الإنسانى، أوأنه دين اجتماعى أخلاقى.

وهناك مَنْ أَجَابَتْ عن أن السبب الرئيسى فى اعتناقها الإسلام هو اعتقادها الراسخ بأن القرآن الكريم هو من عند الله، والشعور تجاهه بتآلُفٍ وحُب عميق.

ووَجَدَتْ إجابات تفيد بأن الإعجاب بشخصية النبى محمد ﷺ كانت سبباً مباشراً في إسلامهن، ولا سيما أن شخصيته تذخر بكل الصفات والسمات التى تُجَلّ وتُحَبّ . . . وأضافت بعضهن: أنها شعرت كمن وجد مفتاحاً لقفل مغلق.

كذلك وجَدَتْ إجابات تفيد بأن أخلاق المسلم الملتزم التى لمستها فى تعاملات كثير من المسلمين كانت مدعاة لاعتناق الإسلام الذى يحث أساساً على مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال.

ومن الإجابات الأخرى التى استرعت الانتباه ماصرح به بعضهن من أن الإسلام يتفق مع المنطق والعقل والفطرة التى تميل إلى فكرة وحدانية الله وتنزيهه عز وجل عن وجود شريك له فى ملكوته، حيث أن الإنسان المؤمن العاقل حين يستشعر بقلبه وجود الله ويلمس بحواسه وعقله آيات عظمته عزوجل لايملك إلا الإقرار بأنّ كوناً عظيماً يسير بمثل هذا النظام الفريد المحكم لايمكن أن يكون إلا من خَلْق إلـه واحدٍ، وهذا ما أكد عليه دين الإسلام بتقريره كمبدأ جوهرى من مبادئه.

وقد استعرضت الباحثة البريطانية أحوال المسلمات الجدد قبل اعتناقهن للإسلام من خلال ماصرحت به كُلٌّ منهن فى إجاباتهن، وذلك على النحو التالى[1]:

* من بين الأمور غير المقنعة فى طريقة حياتى قبل الإسلام عدم وضوح الهدف والاتجاه.

---

(١) «أسباب اعتناق المرأة الغربية للإسلام» دراسة منشورة بمجلة منار الإسلام الصادرة في فبراير ١٩٩٠ (بتصرف).

* كنت وحيدة والعواطف سطحية.

* لم يكن لدىَّ إحساس بهدف أو شعور باتجاه أو بموازين دقيقة.

* كنت أشعر بضياع وفراغ.

* حياتى لم تكن مستقرة، فلا مَنْهَجَ ولا يقين، ولم يكن لى هَدَفٌ واضح.

* حياتى كانت متحررة من الالتزام بالمبادئ.

* لم يكن لى دين، ولم يكن لى مقاييس للسلوك لتساعدنى فى وقت الشدائد.

* كنت أبحث عن هدف أحْيَا مِنْ أَجْله.

* كنت أهدافى دنيوية محددة، وقد استجاب الله لدعائى، فعلمنى كيف أستسلم وأخضع لمشيئته والحمد لله.

وبعد ذلك استعرضت الباحثة البريطانية أحوال تلك السيدات بعد أن أنعم الله عليهن بنعمة الإسلام، وذلك أيضاً من خلال بعض إجاباتهن مثل[1]:

* الإسلام زودنى بما كنت أفتقده، وكشف لى مغزى الحياة، ووهبنى راحة البال.

* أحسست بقيم روحية هائلة فى ظل الإسْلام.

* الإسلام أجاب عن كل تساؤلاتى.

* إننى أحيا الآن بالإسلام فى سلامٍ ورضا.

* أننى أرى النور الذى يدلنى على الطريق لا أطمع فى أكثر من أن يثيبنى الله على الإيمان.

(١) المرجع السابق (بتصرف).

* أصبحتُ أكثر قدرة على الصبر.

* رسم لى الإسلام الطريق السليم الذى بدونه ينحرف الإنسان بسلوكه إلى الضلال.

* الإسلام حقق لى الحب والعطف والحنان.

* الإسلام أعطانى ثقة كبيرة فى التعامل مع الناس.

* مع المسلمين والمسلمات أشعر بأننى جزء من أسرة كبيرة.

* أعامل الناس الآن بما أحب أن يعاملونى به، فالإسلام قد جعلنى أتخذُ موقفاً إيجابياً تجاه الناس الآخرين.

* الإسلام ينقى الروح لتصبح خالية من الأهواء الذاتية.

* المغزى الأخلاقى فى الإسلام ذو أهمية فائقة، فلو تمسك كل إنسان بهذا المغزى لكان العالم اليوم فى أحسن حال.

وعن وضع المرأة فى الإسلام أشارت إجابات تلك السيدات إلى حقائق كُنَّ يَجْهَلْنَهَا بعد أن اكتشفنها عن تجربة، من تلك الإجابات.

* الإسلام يُمكِّنُ المرأة من أن تشق طريقها فى الحياة بكرامة بدون الوقوع فى مشاكل أو محظورات.

* المرأة والأطفال يتمتعون بأمان أكثر فى ظل الإسلام.

* وضع المرأة كمتعة جنسية فحسب، ليس له وجود فى الإسلام.

* المرأة تؤدى دورها كإنسان طبقاً لقدراتها الطبيعية؛ والإسلام يقدر حقوقها ويفهم حدود طاقاتها(١).

هذا، وقد عبرت سيدة عن نظرة الإسلام للمرأة فقالت فى ثقة واعتداد: «هناك دُرَرٌ جميلة من الحِكَم الفِطْرِية فى التعاليم الإسلامية عَرَفْتُها بعد تخبط

---

(١) المرجع السابق (بتصرف).

فى ظلامٍ حالكٍ يسمى بـ «المجتمع المتحضر»... وهذه الدُرَرُ هى التى جعلتنى أعشق الإسلام».

ثم أضافت: «..... وأن الدور الذى يقوم به كل من الرجل والمرأة فى الإسلام يكمل بعضه البعض الآخر، أنها مسألة توازن أكثر من أن تكون مساواة، فلقد وضع الإسلام واجبات جميلة وثابتة للرجل ضمن قواعد ونظم وقوانين وتشريعات، والمرأة فى ظل هذه التشريعات فى حماية من الظلم والهوى»[1].

وهكذا نجد أن أى إنسان يملك عقلاً وبصيرة لن يجد صعوبة فى معرفة أسباب ودوافع الإقبال على اعتناق الإسلام، ولكن انتشار الإسلام فى مختلف بقاع العالم ـ ولا سيما أورُبا ـ فى حاجة ماسة اليوم إلى إجراء دراسات وبحوث تُعين على فَتْحِ الأذهان، واستنارة النفوس بمبادئ الإسلام وقيمه، وتعطى صورة أكثر صدقاً ووضوحاً عن مختلف القضايا وموقف الإسلام منها، فضلاً عن معرفة حقيقة الدين الإسلامى نفسه.

كما يتطلب الأمر العمل على كشف المشاكل والعقبات التى تواجه المسلمين والمسلمات الجدد، ومحاولة إيجاد الحلول التى تستلزمها، وبذلك نكون قد أسهمنا فى نشر الدعوة الإسلامية فى كل مكان ودفعها إلى الإمام، ومِنْ ثَمَّ آمل أن يكون كتابى هذا إحدى اللَّبِنَاتِ فى صرح المكتبة الإسلامية التى مازالت تفتقر إلى تلك النوعية من الكتب فى مجال اعتناق الأجانب

(١) إن الدراسة التى أعدتها الباحثة البريطانية الدكتورة «هـ. بول» عن دوافع اعتناق المرأة الغربية للإسلام، والتى قام بترجمتها إلى اللغة العربية الدكتور «وليد محمود على» وتولى نشرها «المجلس الإسلامى للشباب» فى بريطانيا و «جمعية المسلمين البريطانيين»، قد تضمنت الإشارة إلى ظاهرة الصحوة الإسلامية، وانتشار الإسلام فى أوربا، مما يتطلب منا ـ نحن الباحثين ـ المزيد من إجراء الدراسات والبحوث التى تتناول تلك الظاهرة وكيفية انتشارها..... وما هذه المعالجة التى تضمنها كتابنا هذا سوى حلقة متواضعة من حلقات آمُلُ أن يستكملها غيرى من الباحثين الإسلاميين.

وغير المسلمين للدين الإسلامى، ولا سيما قد أصبح هذا الموضوع يفرض نفسه ويجعلنا نتساءل: ماهو الجانب الخفى وراء إسلام هؤلاء؟

والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله منى يوم العَرْضِ عليه.

«وآخِرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»

محمد كامل عبد الصمد

الفصل الأول

الإسلام يجذب فئات متباينة

* مع الكاتبة الأمريكية «مريم جميلة»..... بمصادفة محضة كان مدخلها إلى الإسلام من اليهودية.

* مع المهندسة الفرنسية «سيلفى فوزى»..... «عرفت الطمأنينة بعد أن هدانى الله إلى الإسلام».

* مع الطبيبة الهندية «أوشا»..... «عندما نطقتُ بالشهادتين شعرتُ أننى تحررت لأول مرة من قيود الشك التي كبَّلَتْنِى».

* مع أشهر عارضة أزياء «فابيان»..... وكيف صارت مجاهدة مسلمة؟!

* مع الفنانة الألمانية «كارولا»..... وكيف اهتدت للإسلام بعد أن كانت تتربع على قمة المجد والشهرة؟!

* .... و أخريات.

مع الكاتبة الأمريكية المسلمة
«مريم جميلة»

هى سيدة أمريكية من أصل يهودى، اعتنقت الإسلام، وتزوجت من باكستانى، وسافرت لتقيم معه فى بلده.. ونتساءل هنا: لماذا تقبل امرأة على دين يقول عنه قومها فى الغرب إنه يحط من شأن المرأة ويحقرها ويجردها من إنسانيتها حسب مفهومهم للإنسانية؟... وكيف تتجه إلى بلد إسلامى بعيد متخلف بمقاييس قومها، تاركة كل الإمكانيات والعطايا المادية المتقدمة فى مجتمعها المفتوح الذى أعطى المرأة كل شئ من حرية الجنس إلى صعود الفضاء؟!...

الغريب أنها يهودية، وبنو دينها يكرهون أشد الكراهية الإسلام، ويصفونه بأنه نسخة مشوهة من دينهم نَقَلَها بَدَوِىٌّ إلى قومه؟ فلماذا تترك الأصل الواضح إلى الصورة المشوشة؟!

إن «مريم جميلة» لم تترك دينها سعياً وراء زوج، أو هرباً من مشاكل أسرية أو ما شابه ذلك، بل لأنها تبينت ضلاَلَهُ، وضلال البديل الآخر الذى تطرحه الحضارة الغربية، وهو النصرانية.

ولما أيقنت أن الإسلام هو الدين الحق لجأت إليه تاركة كل دين سواه، فهى ليست باحثة عن القوة أو الأمن المادى، بل هى تدور مع الحق حيث وجدته، فتعبر عن ذلك بقولها:

«إننى آمنتُ بالإسلام لأنه الحق، ولم أدخله لأنه يعطينى حقّاً كامرأة، افتقدتُه فى بيئتى الغربية أو يمنحنى الملاذ من حضارة لم أتكيف معها»[١].

أما كيف كان مدخلها إلى الإسلام؟.... فقد كان عن طريق القرآن الذى سَمَعَتْهُ، فشدَّها وخلَبَ لُبهَّا وصرفَهَا عن موسيقى الغرب. تقول فى ذلك:

«بمصادفة محضة استمعتُ ذات يوم إلى موسيقى عربية فى المذياع فَشَدَّتْنِى، فذهبتُ لشراء بعض الأسطوانات العربية، وبمصادفة أخرى كان بين هذه الأسطوانات تسجيل لآيات من سورة مريم، فانجذبت إلى القرآن».

وتذكر أن أقوى ما أثر فيها أيضاً كان تلاوة استمعت إليها فى مسجد بنيويورك من طفل قادم من «زنزبار»، صوته وتجويده أفضل من كثير من المقرئين المشهورين... وهنا تساءلت عن مصير طفل «زنزبار» هذا بعد أن ذبح الصليبى «جوليوسى نيريرى» قومه، فمَحَا الإسلام من هذه الجزيرة..

ونمضى مع خيط آخر من خيوط رحلة الكاتبة إلى الإيمان، فتذكر «مريم» صراحة أن الذى أقنعها تماماً بصدق الإسلام وصحته هو إجابته الشاملة والواضحة على مشاكل كانت تؤرقها طيلة فترة مراهقتها وشبابها.... تلك التى تتصل بالموت والخوف منه[٢]... كانت لا تجد إجابة عند والديها عندما تسألهما عن المصير بعد الموت، إذْ كانا يعجبان من سؤالها ويقولان لها: «إن الحياة أمامها طويلة»... فقد كانا لا يؤمنان بالآخرة وبالبعث

---

(١) رحلتى من الكفر إلى الإيمان· قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة: د. محمد يحيى (بتصرف).
وهذا الكتاب يعد وثيقة فريدة فى تاريخ كتابات الغربيين المعتنقين للإسلام.

(٢) أحسنت مريم حينما ذكرت أن معضلة الموت كانت تحيرها، فالموت هو اللغز الذى حير الفلاسفة، وهو ليس بالمشكلة المقتصرة على فتاة فى سن المراهقة تعانى من هواجس ناجمة عن المرحلة الحرجة فى نموها الجسدى والشعورى.. بعد أن أعطت الحضارة الأوربية ظهرها للموت، أو للدين عموماً فيما يسمى بعصر النهضة، مختارة طريق الحياة الدنيوية بأوسع معانيها، فأقامت الفلسفات والثقافات، وظنت أنها بالعلم المادى الطبيعى والفكر البشرى الوضعى قد سيطرت على مجرى الحياة إلى خلود أبدى.

والحساب والجنة والنار. . . . . ولم تسعفها التوراة والتلمود برأى، فالجزاء فيهما دنيوى محض، أما الإنجيل فكانت صورة الآخرة فيه مبهمة غير مفصلة. . . ولم يكن هناك غير القرآن يجيبُ عن هذا السؤال فيريح العقل المعذب الحائر الذى يجد فيه معنى الحياة والمآل، والثواب والعقاب.

وهنا جاء الإسلام مرة أخرى ليعين ويستجيب لأعمق الرغبات، معطياً الهدف والمعنى من الحياة وما بعدها(١).

وهناك خيط ثالث دفع الكاتبة إلى الإسلام، وهو التسامح الذى اتسم به فتذكر فى قمة التسامح دفاع الرسول ﷺ عن السيدة «صفية» رضى الله عنها عندما عيرتها السيدة «حفصة» زوج الرسول وبنت عمر بن الخطاب بأصلها اليهودى. عندئذ هَدَّأ النبى من روع السيدة «صفية» وطمأنها بأنها بنت نبى وعمها نبى وهى الآن زوجة نبى، فلا فخر لحفصة عليها. .

ثم تضيف الكاتبة أنها لم تتعرض قط خلال جولاتها فى العالم الإسلامى، وأثناء إقامتها مع زوجها فى باكستان إلى أى طعن أو تمييز بسبب كونها من أصل يهودى.

وتضيف أيضاً: «أنه فى ظل التسامح الإسلامى عاش اليهود داخل الحضارة الإسلامية أحراراً، وانطلقت ملكاتهم الفكرية تبدع فى إطار عقائدهم وتبرز كثمار لهذا التسامح. . . . . وأشهر شخصية يهودية نبغت تحت حضارة الإسلام هو «موسى بن ميمون» الذى ولد فى الأندلس، ثم اضطر هو وعائلته إلى الهجرة إلى المغرب الذى تظاهر فيها بالإسلام نتيجة لوجوده فى

---

(١) يلاحظ أن هذا المرجع السابق لايقدم سردا مفصلا لتحول المؤلفة من الكفر إلى الإيمان، ولا ينصب على الإسلام نفسه يشرحه ويحلله، سواء بموضوعية او ليجعله يتمشى مع رؤية خاصة للكاتبة كما نجد فى أعمال جارودى مثلا، لكن هذا الكتاب الذى هو وثيقة فريدة فى تاريخ كتابات المعتنقين للإسلام - كما أسلفنا - يقدم لنا عظاتٍ وعبراً بالغة الأهمية. . فالمؤلفة لا تكتفى بأن تدخل الإسلام، بل تغار عليه بصورة واضحة، فتقدم لإخوانها فى الدين ما فرضه الله عليها لهؤلاء الإخوة، الا وهى النصيحة الخالصة.

وسط متدين ومتحمس من قبائل البربر.. وبعد أن هاجر إلى مصر عاد إلى اليهودية مؤكداً أنه لم يعتنق الإسلام أصلاً إلا مضطراً، فأقر القاضى المصرى هذا الإدعاء ورفض الحكم بأنه مرتد، لأنه لم يسلم عن اختيار...».

ثم أردفت تقول:

«إن من التسامح الإسلامى أيضاً أن «موسى بن ميمون» كان الطبيب الشخصى لصلاح الدين الأيوبى، فهو مثل غيره من اليهود لم يشعروا بغربة وسط الحضارة الإسلامية مثلما شعروا فى وسط الحضارة الغربية مثلا».

ثم تقارن الكاتبة ذلك التسامح الإسلامى بالطابع العنصرى لليهود بقولها:

«ويتجلى الطابع القومى العنصرى لليهود فى رفضهم للأفراد الداخلين فى اليهودية والتشكك فى دوافعهم»، ثم تضرب أمثلتها من معارفها فى نيويورك، فتحدثنا عن الفتاة الألمانية التى تزوجت من يهودى واعتنقت دينه، ومع ذلك ظلت أسرته تقاطعها.... كما تحدثنا عن الفتاة الأمريكية التى دخلت اليهودية عند زواجها من شاب يهودى لتُفَاجَأ بأن من سُلطة الحاخام عدم قبول هذا الاعتناق للدين[1].

أنها تقارن ذلك السلوك بترحيب المسلمين بها برغم معرفتهم بأصلها اليهودى.

وتذكر «مريم» أنها استمعت إلى حاخام فى نيويورك يقول عقب إقامة إسرائيل فى عام ١٩٤٨: «إن الولاء للشعب اليهودى أهم بكثير فى اليهودية من الإيمان بالإله»[2].... وكان ذلك إجابة عن سؤال وجهه له زعيم

---

(١) تظهر العنصرية لدى اليهود فى المفهوم القائل بأن أى شخص وُلد لأبوين يهوديين هو يهودى على الدوام حتى لو ألحد ونبذ العقيدة اليهودية، ولهذا يحب اليهود فرويد وماركس، برغم ابتعادهما عن الديانة اليهودية ويعتبرونهما من قومهم.

(٢) لا يعتبر معظم اليهود المعاصرين التوراة على أنها وحى إلهى، وهى تدرس فى مدارس إسرائيل الحكومية على أنها نص تاريخى أدبى.

صهيونى خلال مقابلة إذاعية حول أيهما أكثر أهمية: الإيمان بالتوراة والالتزام بشريعتها، أم الولاء للشعب اليهودى؟!..

وهى تعلق على هذا التصور من حاخام بَارِزٍ بأنه يعكس مدى ضيق النظرة والانغلاق المميت الذى أدى إليه الطابع العنصرى لليهودية.

وتذكر الكاتبة أيضاً موقف اليهود من الأنبياء الذى اتخذ شكل التشويه، كما اتخذ شكل الاضطهاد مع «يوحنا» مثلا... فنجد عندهم أن «نوحاً» قد ثمل بالخمر ذات يوم واستلقى فى خيمته عارياً، فدخل عليه ابنه «حام»... وعندما شاهد الابن عرى أبيه حلت عليه لعنة الله، وتحول جلده إلى السواد، وحكم على ذريته بالعبودية.

كما جاء فى سفر الملوك فى التوارة أن «داود» أعجب بامرأة جميلة شاهدها تستحم فقتل زوجها كى يستحوذ عليها، وكانت ثمرة هذا اللقاء «سليمان» الذى أولع بالنسوة الوثنيات، وانتهى به المآل إلى عبادة الأصنام..

وتسخر الكاتبة من معتقد بنى دينها من أن اليهودى سينجو فى الآخرة لمجرد كونه مولوداً فى اليهودية، بصرف النظر عمَّا يعتقده أو يفعله!.

وفى الوقت نفسه تعجب من بلاغة القرآن فى دقة تصويره لطبيعة اليهود فى حرصهم على الحياة ورغبتهم فيها وغفلتهم عن الآخرة، بالمقارنة بالمسلمين الذين يطلبون فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ويسألون الوقاية من عذاب النار..

وتذكر بسخرية: أن اليهودى يعتبر الحياة أفضل نعم الإله للإنسان، وأن الموت أفظع الشرور التى يمكن أن تحيق بالإنسان، ولذا فهو يعتبر أن أسوأ حياة هى أفضل من أحسن موت..... ويظهر هذا التعلُّق بالحياة إلى الالتجاء إلى تغيير اسم المريض المشرف على الموت، والتضرع أمام قبور أسلافه، والبكاء والنواح أمام تابوت العهد فى المعبد حتى «يستصرخونه» من بين أيدى الموت.

وأن من دعاء المريض التى يرددها: «يا إلـهى أنقذ حياتى، ففى الموت لاذكر لك، ومن يفكر فيك فى القبر؟»[1].

وتذكر الكاتبة «مريم جميلة» أن الصلاة عند اليهود كانت فى الماضى البعيد (القرن الثانى الميلادى) تشبه صلاة المسلمين من حيث اشتمالها على السجود وعلى الوضوء قبلها، كما عرفوا الاغتسال بعد الجماع وقضاء الحاجة ليلا والدورة الشهرية عند النساء. . . . وأنه توجد طائفة صغيرة من اليهود هم «السامريون» يصلون ثلاث مرات فى اليوم بوضوء ويركعون ويسجدون، ويضمنون أدعيتهم بعض العبارات الإسلامية، مثل لا إلـه إلا الله لا شريك له. . . . ويبدءون كتبهم بالبسملة الإسلامية، غير أن هذه الطائفة مرفوضة من سائر اليهود لأنها ترفض التلمود وسائر كتب التوراة، ماعدا شريعة موسى عليه السلام.

وتفسر «مريم جميلة» أسباب سقوط هذه الأركان القديمة للصلاة اليهودية وتحولها إلى أدعية مطولة ترتل فى وضع الجلوس على المقاعد أو الأرائك إلى رغبتهم فى مخالفة المسلمين والتميز عنهم. . ولذا تغيرت الصلاة عندهم إلى مايقرب من صلاة النصارى، إلا أنه مازال فيها ما يشبه الصلاة فى الإسلام من حيث الجماعة[2] وتفضيلها على الانفراد، وعدم ضرورة توجه النساء إلى المعابد لانشغالهن بالواجبات المنزلية.

وعن الصيام عند اليهود تقول «مريم جميلة».

«إن الصيام عند اليهود هو للتكفير وإبداء الندم على الذنوب يوما واحداً[3] يسمى يوم الغفران، أو يوم «كيبور» وهناك يوم آخر يصومونه هو

---

(١) يلاحظ أن الكاتبة ذكرت نماذج متعددة من صور فكر اليهود ومعتقداتهم التى شابتها العداوة لكل شئ، ولم يسلم منها حتى الأنبياء، فضلا عن الله سبحانه وتعالى.

(٢) اقل نصاب تصح به الجماعة عند الصلاة لدى اليهود هو احد عشر شخصاً، وان الصلاة فى أقل من العدد المفروض لا تجوز، كما لا تجوز ممن لم يكن وصل إلى سن البلوغ بعد

(٣) من مغرب الشمس إلى غروب شمس اليوم التالى.

التاسع من شهر آب اليهودى ذكرى تدمير الهيكل للمرة الثانية على يد الرومان عام ٧٠ ميلادى، وهدف صيامه الذكرى والحزن والتضرع لإعادة الهيكل.. أى أن الغرض سياسى مثل الصلاة».

ثم تقارن بين هدف الصيام يوماً واحدا بهدف التطهر من الذنوب بصيام رمضان شهراً كاملا لتقوية الإرادة ومقاومة الوساوس والشهوات والارتقاء بالنفس... وتتساءل:

«لماذا ينحصر طلب المغفرة يوماً واحداً فى العام، وفى الإسلام تُطْلَبُ فى كل وقت من كل يوم، وفى الخمس صلوات؟!.. وكيف يكفى يوم واحد للتطهر؟!

وعن الحج عند اليهود تقول الكاتبة:

«لايوجد فى اليهودية حج إلا على شكل زيارة لحائط المبكى الذى يتخلله نواح ودعاء وذكرى عنده.. أى أنه حج سياسى يُضاف إلى الصلاة والصيام من أجل بناء الهيكل وعودة القدس... أما الحج فى الإسلام يخلو من أى مظهر وثنى، إنه اجتماع عالمى للمسلمين تتجلى فيه أُخوتهم وتضامنهم، وهذا هو السبب الحقيقى الذى يثير حقد اليهود على هذه الشعيرة ومحاولة تشويهها».

وتضع «مريم جميلة» يدها على تصور غاية فى الخطورة، وهو انغلاق اليهود على أنفسهم وعدم قيامهم بالدعوة إلى دينهم، فهم لا يرحبون بأتباع جددَ، وهكذا صارت اليهودية ديانة عنصرية تقتصر على قومها، ويتعصبون على من عداهم دون دعوتهم إلى دينهم..... وهذا ماكررته الكاتبة[1] وحرصت على التركيز عليه، لتقارن الإسلام بها.

وتنتقل الكاتبة إلى موضوع تحريم ممارسة العمل يوم السبت لدى اليهود والعكوف على العبادة فيه، والتى ترجع إلى تعب الإله فتقول:

---

(١) هذا ما تناولته فى جزئية التسامح الإسلامى.

«إن هذه الفكرة فيها الكفر الصريح بنسبة التعب والإجهاد للإله القوى المقتدر، الذى خلق السموات والأرض ولم يمسه لغوب، فالإله المتعب ليس بإله.. كذلك مما لا يقره الإسلام أن تعزل العبادة عن باقى أيام الأسبوع ليخصص لها يوم واحد... فى حين أن العبادة فى الإسلام متصلة، وممتزجة بالحياة اليومية فى شكل الصلوات الخمس ودوام الذكر».

وتفاجئنا الكاتبة بنظرة مجتمعها إلى تحصيل النساء للعلم الدينى نظرة استغراب كشواذ، لأن العلم بالدين وقدح الذهن فيه نشاط خاص بالرجال وحدهم، وتذكر أن للحاخامات آراءً متشددة فى تعليم الدين للفتيات، إذْ يقول أحدهم معبراً عِن رأى شاع وانتشر بينهم: «إن من يعلم ابنته التوراة كمن يعلمها الفحش»... ويرى الأحبار أن الأمر الوارد فى التوراة بتعليم الأبناء ينطبق على الصبيان دون البنات... وقد ذهب أحد الحاخامات إلى القول بأنه يفضل أن تضيع كلمات التوراة عن أن تعلم لامرأة»!!

ولا تدع «مريم جميلة» الفرصة تمر بدون أن تضع موقف الإسلام من تعليم المرأة بجانب الموقف اليهودى مقارنة وموضحة.... فطلب العِلْم فى الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة.

ومن الملفت للنظر أن تنتقل «مريم جميلة» فى موضع آخر من كتابها[1] إلى قضية مهمة، وهى دعوتها إلى الجهاد الإسلامى العالمى، وتنصح لكى يتم النصر للمسلمين أن يتخذوا الخطوات الآتية:

* تسوية جميع الخلافات بين الدول الإسلامية، والتعاون لتكوين جيش إسلامى دولى تحت قيادة موحدة.

* ضرورة تصفية جيوب وحركات الماسونية فى العالم الإسلامى.

(١) المرجع السابقس (بتصرف).

* التحرر الكامل من التبعية الاقتصادية لأمريكا أو روسيا، والاكتفاء الذاتى عسكرياً.

* القيام بحملة إعلامية واسعة لإبعاد العالم المسيحى عن تأييد الصهيونية.

* التأكيد على الطبيعة الإسلامية للجهاد أو حرب التحرير، وذلك باستبعاد أية دوافع عنصرية.

ثم تنصح بالدعوة الإسلامية فى أوساط هؤلاء اليهود وأوساط المسيحيين... ولذا ترى ضرورة أن يعرف الباحث المسلم اللغة العبرية، وأن يدرس الكتب اليهودية المقدسة، لاسيما «المدراش»[1].

وتختتم «مريم جميلة» حديثها بقولها:

«الإسلام هو الدين الوحيد الذى يفاخر بكتاب سماوىّ خالٍ من التحريف، نزل بلغة مازالت مقروءة ومفهومة.. أما الآخرون فلَيس عندهم كما يعترفون إلا ترجمات محرفة ومتغيرة عن نصوص أصلية كانت بدورها سيراً عن حياة الأنبياء وضعت بعد وفاتهم بقرون، ولم يكن لهم فيها من نصيب إلا اقتباس بعض الأقوال والأفعال عنهم، ولو أعيدت هذه النصوص إلى لغاتها الأصلية لما فهمها أحد ممن يقولون إنهم يؤمنون بها الآن،.. أما محمد عليه الصلاة والسلام فقد سجلت السيرة كل تفاصيل حياته، حتى أدقها واخصها».

وتؤكد «مريم» بعدها أن الإسلام هو الدين الوحيد فى العالم الذى أوجد أمة تحكمها الدوافع الأخلاقية والدينية، وذلك يكفيها»[2].

* * *

(١) المدارش: هو تفسير تأويلى على هامش التوراة، ويعد المصدر الرئيسى للإسرائيليات المتسربة إلى بعض كتب التفسير الإسلامية.
(٢) المرجع السابق (بتصرف).

مع الكاتبة الإيطالية المسلمة
«إيبيانك مودواودى ساراواك» [خير النساء]

نشأت فى بيئة بروتستانتية تميزت بشدة التعصب، وصلابة التطبيقات للطقوس والشعائر التعبدية، مما أصابها بالملل المميت من جرائها، ودفعها للتخلى عن البروتستانية فقد كانت نفسها تهفو إلى الإيمان الصحيح، ولاسيما أن عائلتها كانت منقسمة بين كنيستين بروتستانيتين، وكانت تحضر المناقشات الحادة التى كانت تدور فى مجالسهما وتعبر عن ذلك فى كتابها(١):

«... وليتصور القارئ تلك التأثيرات العميقة التى كانت تتركها المناقشات الحادة فى دماغ طفلة.. وهكذا كان الدين عندى مسألة غامضة ومحدودة، وكنت لا أرى فيها شيئاً محسوساً..... إن الذكرى الوحيدة التى كانت تسود حداثتى، هى ذكرى مملوءة الالتباس وعدم اليقين... كنت أتلو على صفحات قلبى الصلوات المعتادة، وأرتلها فى تلك القاعات الواسعة العارية والمحزنة... وكنت أسمع العظات اللامفهومة بكثير من الملل والضجر، والتى كانت معاكسة لبقية الكنائس، حتى فى النقاط الأساسية الحساسة....حينما أفكر الآن، فى تلك الذكريات البعيدة للأحداث بعقل سليم أكثر نضجاً، أقدر أن أقول: كم هى كانت تلك المناقشات الدينية بعيدة عن الحس الدينى الحقيقى، وإنى لأشفق بإخلاص على أولئك الذين يعتقدونها».

(١) لماذا اعتنقت الإسلام: ايبيانك مودوادى ساراواك

ثم أردفت بعدها تقول:

«كنت أستغرق فى تأملاتى طويلاً، وشَعَرَ من حولى باختلاج فى نفسى التّواقة إلى معرفة الدين الذى يأخذ بمجامع كل قُوَاىَ النفسية... نعم كنت أشعر بحاجة قوية لاعتناق دين قويم قادرٍ على إيجاد الطمأنينة الروحية فى أعماق قلبى، موضحٍ عن عقيدة خالصةٍ للوحى الإلـهى، مُقرٍّ بوحدانية الخالَق كإلـه حقيقى، وليس كما يصفه البعض كأسطورة لا حقيقة لأصلها... ثم حدث أن اعتنق أحد أبناء عمومتى الكاثوليكية، فشعرت برغبته لدراسة الكاثوليكية التى وجدت بين مبادئها وأصول تطبيقها بوناً شاسعاً.. وكم كنت أفضل أن أغمض عَيْنَىَّ عن ذلك محتفظة بالسلام الداخلى الذى كنت أحلم به من أن أرى هذه الشكوك تحوم حولى، والصعاب تعترينى فى حل هذه المسائل المختلطة التى تحتاج إلى تحليل... وأذكر أننى قد طلبت يوماً رأى أحد أصدقائى، وكان ذا إطلاع واسع فى شتى المواد التاريخية والفلسفية حول التعاليم الكاثوليكية فأجابنى قائلا: «عَرِّجِى إذا شئت على زيارة كنيسة نوتردام بباريس، وتأملى من بعيد بناءَها الشاهقَ، والوهاج من شعاع الشمس المنعكس عليها، ودققى فى رسومها وفن عمارتها، وأنعمى النظر، وإذا كنت تستطيعين فحللى تلك الرموز المنقوشة وهذه الخطوط المسطورة والرموز العظيمة، فإنكِ تجدين الحقيقة التى تفتشين عنها، فكل ما ترينه هو كتاب مسطور من جماد لا يقرأه إلا من عرف قيمته».... وهكذا أيقنت أن الكنيسة تحتفظ بمريديها فى وسط ملْؤُهُ الجهالة، ومناقض للدراسات العلمية وإنارة العقول، فكم من المرات صرحت الكنيسة أنها عدوة للعلوم[1] ولنا فى حادثة حرق مؤلفات «جاليليو» أكبر برهان يظهر فيه عداء الكنيسة للعلم والحقيقة».

ثم تنتقل الكاتبة خير النساء «ساراواك» فى موضع آخر من اعترافاتها فى رحلتها إلى الإيمان إلى القول:

(١) يرجع إلى كتاب «الإفلاسات المعنوية فى الغرب» لمؤلفه رافت شنبور.

«لم يكن تقديس الآثار المقدسة التى هى من تركة القديسين سوى عادة جارية لدى الأقدمين، تبنتها الكنيسة بشكل آخر. . . . . وكم هى كثيرة تلك الآثار والمتروكات المقدسة التى تعود للسيد المسيح. . فهناك المسامير - التى ساعدت على صلب المسيح، ولم تظهر قدسيتها قبل القرن الثانى، وهناك الألبسة والأرياء التى تعود للمسيح، والآلات الصليبية. . . . والأغرب أنهم جَدُّوا حتى فى تصوير عَرَقِ المسيح، كما أنهم توفقوا للحصول على كميات كبيرة من حليب العذراء. . . وخُيل للكنيسة أن الأخشاب التى صُلب عليها المسيح لاتزال باقية. . .».

كما أنه قد وُجدت تصورات عن طبيعة القديسين قد ذكرها الكُتّابُ المسيحيون الأقدمون، وعن ذلك تقول «ساراواك»:

وجدت معتقدات غريبة مثل أن يكون للقديسين عدة رءوس وأجسام، وكان يعد القديس الواحد بالجملة وبأسماء حكموا بوجودها لكى يسمح بإقامة الأعياد الوثنية وتواتر ذكرياتها. . فللقديس «سان جورج» ثلاثون جسماً. . . وعشرة رءوس للقديس «سان جان باتيست» الذى كان بعرف الكنيسة رمزاً دينياً. . . وكان للقديس «جوليان» عشرون جسماً وستة وعشرون رأساً، وخمسة أجسام للقديس «أندره» وستة رءوس وسبعة عشر ساعداً. . وللقديس «إتيان» أربعة أجسام وثمانية رءوس. . . والقديس «لوقا»[1] كان مالكاً - حسب زعم الكنيسة لثمانية أجسام وتسعة رءوس وهكذا دواليك بالنسبة للقديسين. . وهذا ما حَدَا بالعقلاء لانتقاد الكنيسة على استفحال أمرها فى هذا المضمار الشاذ».

ثم استطردت قائلة:

«وكثيراً ما منحت الكنيسة أسماء جديدة للقديسين، فأسمتهم بأسماء الأمكنة الأثرية[2] ونسبت إليها شرف المعجزات والأحداث السالفة التى

---

(١) وهو الذى يُنسب إليه احد الأناجيل.

(٢) كانت الأحجار الأثرية لها عبادة خاصة، إما بسبب شكلها، وإما بسبب تركيبها، أو ملكيتها الخاصة

حدثت للأقدمين . . فهناك المياه المعدنية التى ينسبون أصلها الخرافى للقديس «رومان» . . . غير أننا نعجب من وضع مثل هذه الينابيع والأمكنة تحت رعاية الرهبنة والقديسين . . . إن الأقدمين كانوا يعتقدون بآلهة هذه الينابيع ، وبواسطتها يكون الشفاء ، فالكنيسة تابعت حُرمة هذه التقاليد ، ولكنها نسبت فضائلها إلى جماعة القديسين ، والعذارى ومعجزاتهم . . لقد رأيت الأحلام التى تسود على الحجاج فى هذه الأمكنة ، فيسود بين الجموع جو مملوء بالإيمان حتى يتم الشفاء وقضاء الحاجة» .

وترى «ساراواك» أن الدين لايمكن أن يكون بشكل مبهم ، وتعنى بذلك قولها :

«إن الكنيسة منعت قراءة الإنجيل بدون تفاسير الكهنوت ، وهذا ما جعل الكَثْلَكَةَ مبهمة . . . إن من أهم القضايا بنظرى ـ قضية التثليث التى حكمت الكنيسة بمنحها أكبر الأهمية ، فالكاثوليكى محتم عليه الاعتقاد بثلاث آلهة : الله الأب . . والمسيح الابن . . والروح القدس»[1] .

ولكنها تعود فتقول :

«إن نظرية التثليث هى قديمة جدا وليست من مختلقات الكثلكة» .

وشعرت «ساراواك» أنها بحاجة إلى دراسة الدين المحمدى[2] ، وذلك بعد أن سمعت عنه أنه آخر الأديان ، غير أنها تصورته ديناً شرقياً[3] لايتفق مع العقلية الغربية وحضاراتها ، كما ذهب المستشرقون الذين وصفوا المسلمين بالتالى بأنهم متأخرون ، جاهلون ، همجيون . . . . وأن الإسلام لا يصلح إلا للشعوب المتأخرة الهمجية . . . وبرغم كل ما سمعته عن الإسلام والمسلمين وافتراءات المستشرقين فإنها وجدت فى الإسلام ضالتها التى كانت تنشدها من زمن بعيد ـ منذ أن وعت ونضج فكرها ـ وتعبر عن ذلك فتقول :

(١) تَدَّعى الكثلكة ان بعد موت المسيح بدأت روحه القدسية .

(٢) تعنى به الإسلام ، نسبة إلى رسوله محمد ﷺ .

(٣) أى دين قومى كبقية الأديان الصينية .

«جاء الإسلام بأكبر الحقائق عن الله بصورة موجزة وجلية «لا إله إلا الله وحده...» وهذه نظرية حقة، جاءت مع الإسلام لتعلمنا أن الله واحد، حى، صمدىّ، أزلى، حاضر فى كل مكان... أى مذهب صحيح يرفض الاعتقاد بوحدانية الله كما نقله إلينا نبيه سيد المرسلين؟

ليس فى الإسلام رهبان أو إكليروس دينى، فالعلماء ليس لهم إلا صفة الدين والتشريع إذا هم حازوا الصفات المشروعة المسنونة».

ثم أردفت بعدها قائلة فى سعادة واطمئنان نفسى:

«لقد أبَى محمد ﷺ أن ينسب إليه شيئا من الألوهية، وقد نزلت الآية الكريمة بهذا المعنى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾(1).

وكم هى جميلة ومؤثرة تلك الكلمات التى فاه بها أبو بكر الصدّيق حينما تعالت أصوات النحيب والصراخ عند وفاة النبى ﷺ، حيث قال مخاطباً الناس: «مَنْ كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حى لا يموت».

وجميل بالإسلام ذلك الدين الساطع بأضوائه النيرة أن جاء بشريعة امتازت بتأثيرات على العادات المحكمات، فوضعت المرأة فى المكانة الاجتماعية اللائقة بها والضرورية لصيانة عناصر أنوثتها، وفى مجمل حقوقها نراها تفوق المرأة المسيحية تفوقاً كبيراً فى المعاملات والاعتبارات الذاتية.

وللإسلام تعاليم أخلاقية امتاز بها المسلمون فى قوانينهم وشريعتهم ومعاملاتهم، منها التسامح والتساهل، وحفظ الحقوق، ومعاملة الأجنبى بالحُسْنى والرفق بالمرأة...

---

(1) سورة فصلت ـ الآية 6.

جاء الإسلام بتشريع عادل وقوى حكيم من القرآن والسنة، فحض على الخير ومحبة الناس، والمساواة. . .»

ثم نظرت بعيداً وكأنها تتأمل دينها الجديد الإسلام لتقول بعدها فى اعتزاز المؤمن:

«إن الإسلام ليس منفصلاً عن الأخلاق البشرية والآداب الإنسانية، لقد جنح الإسلام فى شريعته إلى العدالة الاجتماعية والديمقراطية التى بات يعالجها الغرب عدة قرون ولم يظفر بتطبيقها كما يراد وينبغى. . لقد جاء الإسلام آمِراً بفريضة الزكاة وهى حق على المسلم الذى يتنعم بما أنزله الله عليه من الخيرات، وأن يفكر فى ذويه وأقاربه وفى المحتاجين. . . وهذه الزكاة فريضة دينية يوجب على كل مسلم مقتدر دفعها سنويّاً. . . كما أن من الواجبات المشددة. . الصلوات. . وهذه الصلوات تختلف عن صلاة الكنيسة الترتيلية، فهى فى الإسلام تأهب للمثول بين يدى الخالق، وهذه حلقة من الاتصال بين العبد وربه. . ويسبق الصلاة أعمال تطهيرية، وعندئذ تكون الصلاة ذات عمل وليست مجرد كلام وأناشيد.

ومن العبادات المفروضة صوم شهر رمضان مرة من كل عام للمقتدر صحيّاً، ويختلف الصوم فى الإسلام عنه فى المسيحية، وصوم رمضان له معان خاصة به، كما للحج أيضاً معان خاصة به وهو فرض لمن استطاع إليه سبيلا. . يكفى أنه يجمع المسلمين من كل الأصقاع تنفيذاً لأمر الله وطاعته. . .

ثم أبانت الكاتبة عن إمكانية استفادة الغرب بالإسلام بقولها:

«ليس فى العالم سوى دين واحد يقوم بحاجات البشر كاملة، ويقود البشرية إلى أرقى مجالات العمران والتقدم، ويهذب الأفكار. . . وهذا الدين هو الإسلام. . . لماذا لايكون الدين المحمدى. . الدين المتين الأوحد

للحلول المنظور فيها؟... لماذا لا تتخذ التعاليم القرآنية كتعاليم عالمية، وقد أتى القرآن رافعاً منار الحقائق الإنسانية؟... إن الإسلام بتعاليمه الإنسانية الشاملة لهو دين العالم المتمدن الحديث.

ولا يزال الإسلام المخرج الوحيد لأوربا من مأزقها الحرج».

واختتمت حديثها بنداء وجهته للذين يبتعدون عن الإسلام ولا يتبعون منهجه قالت صارخة فيهم:

«لأجل أولئك الذين يتألمون، ولأولئك الذين أظلمت قلوبهم، وأبكمت أفواههم، وصَمَّت آذانهم عقائدُ الكنيسة... فلهؤلاء كلهم أقول من أعماق قلبى:

«اقرأوا القرآن، وأمعنوا النظر فى أحكامه، وتدبروا معانيه، وانسوا ماكنتم تفكرون فيه من ظلامات طاغية، وتأملوا قليلاً فى تعاليم النبى الكريم، فإذا ما قدرتم على تفهم الحقائق النيرة والتبصر على نور تلك الأضواء المنتشرة، فإنكم ستظفرون بطبيعة الأشياء بأجلى معانى الحكمة البليغة».

ومضت فى ندائها تقول:

«تعالوا أيها التائهون والجاهلون، فإذا كان محمداً لا يقرأ ولا يكتب، فإن العلوم غارت فى أحضان تعاليمه، والإسلام هو الطريق النير.. هو الدين الحر البعيد عن الوساطات من بنى الإنسان.... وإذا اعتقدتم بالسعادة فى الحكمة والقوانين، فاقرءوا القرآن.... وإذا كنتم فى ريب من دينكم فسارعوا إلى الإسلام.

وأما أنتن أيتها النساء فاقتربن من الإسلام، لأن محمداً وحده حمى المرأة وعزّز مكانتها، وحررها من قيد الرجل، فى حين كان الغرب يستأسد على المرأة الضعيفة، ويجعلها كالسلعة تباع وتشترى... وأنتم أيها القواد

والجنود. . أو أنتم أيضاً أيها السلميون[1]، تعالوا إلى الإسلام واحتموا به، فالصلح فى مجتمعاته ومخيماته.

إن السلام العالمى لن يعود إلى بنى البشر إلا إذا هم أقلعوا عن التفرقات الإنسانية المصطنعة والممزقة، وهَمُّوا باعتناق دين واحد. . الدين الذى يعرفنا حقيقة الله، وضرورة عبادته وحبه، ألا وهو الله رب العالمين.

إننى اكتب اليكم جميعاً بدون أن أعرفكم، ولكنى أرغب فى أن تكونوا مثلى، وأن تجدوا السلام والسرور والسعادة. . .؛

أكتب إليكم لأننى ظفرتُ واهتديت إلى طريق العلم، ونور الهداية، والحرية الكاملة».

وهكذا أبانت «سازاواك» بإفصاح عن الإسلام، وأنه الدين القويم الصالح للبشرية على اختلاف مذاهبها وطباعها. . بل أبانت عن غيرتها وتحمسها للإسلام بندائها الصادق للمبتعدين عن هذا الدين، ودعوتها لهم باعتناقه.

* * *

(١) تقصد المدنيين، أى غير العسكريين.

مع الكاتبة الفرنسية المسلمة
«فالنيتين دى سان» التى صارت «روحية نور الدين»

ولدت فى مدينة «ليون» بفرنسا عام ١٨٧٥م ابنة مدللة لأسرة كاثوليكية على قسط كبير من الثراء وعراقة الأصل، فخال جدها هو شاعر فرنسا الكبير «لامارتين» الذى طبقتْ شهرته الآفاق.

واتجهت «فالنتين» إلى الكتابة منذ نعومة أظفارها مقتدية بخال الجد... ولم يضعف زواجها المبكر من مدرس ثانوى لأن تكون شيئاً يُشار إليه بالبنان، برغم أنها لم تجد سعادتها فى ذلك الزواج، حيث لم يكن زوجها ذلك الرجل الذى يستطيع أن يفهم امرأة على مثل هذا القدر من الذكاء وسعة الاطلاع والطموح، ومع ذلك فقد ظلت وَفِيَّةً له حتى تُوفى.

والتقت بعد ذلك بـ «شارل ديمون» أحد الوزراء الفرنسيين، وظنت أنها وجدت فيه ضالتها.. وتزوجا، واكتشفت بعد الزواج أن للشهرة بريقاً يضفى على الرجل المشهور هالات ليست فيه، ولم تخلُ حياتها الزوجية من منغصات ومشاكل، حتى كان الطلاق الذى لابد منه، لتتفرغ بعد ذلك للكتابة والرسم.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى لتُعَرِّى الوَجْه الأوربىَّ عن قناعه الزائف، شاهدت الناس يتحولون إلى ذئاب فى مجتمع مادىّ لايرحم، ويتعاركون كالوحوش الضارية من أجل البقاء.

عذبتها هذه الحقيقة المرة، فلم تطق البقاء فى أوربا، فرحلت نحو الشرق، إلى شمال إفريقيا «المغرب، ومصر». . وهناك وجدت الحياة الروحية التى لم تعرفها وتتذوقها فى بلادها. . . شَدَّهَا أن ترى أهل الشرق المسلمين ـ الذين طالما وصفهم مواطنوها بالتخلف، ورموهم بالرجعية ـ يحيون حياتهم فى تماسك وتعاطف، وتكافل اجتماعي، ومودة وتراحم، وتعاون على الخير. . ومن خلالهم رأت الإسلام على حقيقته. . فتعبر عن ذلك بقولها:

«لقد رأيتُ ـ ولأول مرة ـ الإسلامَ على حقيقته، وليس كما صورته لى الكنيسة والقسس. . رأيتُ المسلمين وهم ينطلقون إلى المساجد كلما انطلق صوت المؤذن للصلاة. . وعدتُ بذاكرتى إلى الوراء، إلى أيام طفولتى، حينما كنت أذهبُ قسراً إلى الكنيسة لأستمع إلى ترهات القسس، فى حين تتبادل الفتيات والسيدات مع الشباب نظرات لا تخفى وقاحتها على أحد».

ثم تستطرد قائلة:

«لقد عرفت الفرق بين ما يدعو إيه الغرب المادى من مثالية زائفة لاتُطَبَّقُ، وبين ما يمارسه الشرق الإسلامى من سلوكيات حية يترجم فيها قيم ومبادئ الإسلام. . . فأيقنت أن العبرة تعود إلى الحافز الروحى الذى يتحكم فى النفوس ويوجه الإنسان إلى الخير أو الشر. . .

لقد قارنتُ بينِ ما شاهدته من قيم الإسلام ومالَقَّنُوهُ لى من تعاليم المسيحية، فأدركتُ بحسّى عظمة الإسلام، وكونه الدين الوحيد الذى ينظم علاقة العبد بربه، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بدون حاجة إلى وساطة القسس، أو طلاسم الرهبان وأكاذيبهم».

ولم يكن ذلك فحسب هو الذى شد «فالنتين» إلى الإسلام. . فقد كان هناك سبب آخر، وهو تحطم الصورة المثالية للإنسان الأورُبى فى داخلها، وذلك عندما رأت الوجه البشع الحقيقى للإنسان الأوربى المسيحى الذى طالما أدعى أنه حارس حقوق الإنسان، وحامى القيم النبيلة، وراعى الإنسانية المعذبة. . . عندما رأت ما يفعله مواطنوها الفرنسيون بشعوب بعض الدول

العربية الإسلامية، وما يمارسه الإيطاليون من وحشية فى ليبيا.. وما قام به الإنجليز من مذابح فى دنشواى بمصر... وعن ذلك كله تقول:

«لقد تحطمت الصورة المثالية للإنسان الأوربى فى داخلى بعد أن أدركت كيف يستغل قومى المسيحية واسم المسيح عليه السلام من أجل غايات ومصالح شخصية، ولذلك لم يطل بى الوقت لأعلن كفرى بما يدينون به، وأشهر إسلامى بعد أن أدركت أنه دين الحق».

وبعد إسلامها نذرت حياتها للدفاع عن الإسلام الذى وجدت فيه روحانية غريبة لم تتذوق حلاوتها من قبل، ولذا فقد تَسَمَّتْ باسم «روحية نور الدين»...

واستأنفت «روحية» نشاطها فى مجال الكتابة التى أوقفتها للدفاع عن حرية الشعوب العربية المسلمة والتنديد بالاستعمار الفرنسى والبريطانى، مما حدَا بُسلطات الاحتلال الإنجليزى إلى المطالبة بطردها من مصر، غير أن مسعى المحتلين خاب لتمسك وإصرار رجال مصر الوطنيين ببقائها، حيث تعرفت وقتئذ على رموز الوطنية والفكر فى مصر وغيرها، مثل «سعد زغلول»، و«أمين الحسينى» و «شكيب أرسلان» وغيرهم.

ولإذكاء الروح الوطنية فى النفوس لمقاومة المحتلين عمدت «روحية» إلى تخصيص صفحات فى مجلتها «فوتيكس» للتعريف بالوطنيين العرب، وتقديم النماذج القدوة للمسلمين، مثال الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ مؤكدة على أنه نموذج للقائد المؤهل لأن يقود العرب والمسلمين على هدى من كتاب الله عز وجل وسُنة نبيه محمد ﷺ.

وتعددت مواقف «روحية» النابعة من غيرتها على الإسلام والمسلمين، وغضبتها على فظائع الاحتلال ومخاريه التى سجلتها فى كتابها «الحقيقة عن سوريه»، وفيه فضحت الاحتلال الفرنسى وما يفعله ضد الشعب العربى السورى من ممارسات يندى لها الجبين، وتتعارض مع أبسط حقوق الإنسان.

ونتيجة لمثل هذه المواقف الشجاعة كان طبيعياً أن تُحارَبَ «روحية» فتغلق مجلتها بعد الإفلاس، وانزوت فى منزلها الذى يقع فى أحد أحياء القاهرة تتعبد لله سبحانه وتعالى فى وحدتها الاختيارية بعدما رفضت الزواج برغم كثرة من تقدموا إليها من أشخاص، فقد نذرت نفسها لله وللإسلام، حتى لبت نداء ربها عن عمر يناهز ٧٨ عاماً.. بعد حياة حافلة بالعطاء الصادق لخدمة الإسلام والمسلمين.

لقد ماتت «روحية نور الدين»، وبقيت ذكراها حية بأعمالها التى تثير فى النفس الإعجاب والانبهار بتلك الفرنسية التى عاشت النصف الأول من عمرها غارقة فى لهو الحياة طولاً وعرضاً.. وعرفت كل ملذات الدنيا وزخارفها، وتقلبت فى أوجه النعيم والمجد والثراء... ولكنها لم تجد نفسها على حقيقتها إلا حينما أسلمت.. فصدقت فى إسلامها الذى تَمَثَّلَ فى غيرتها عليه، وحماسها له وللمسلمين[1].

***

مع المفكرة الفرنسية إيفادونيتره ميروفيتش

إنها مفكرة فرنسية كبيرة، وأستاذة جامعية بالسربون... أعلنت إسلامها منذ سبعة وعشرين عاماً بعد اعتكافها على دراسة الأديان، ومنها الإسلام الذى تقول عنه:

«إن الإسلام قد أشعرها بالاطمئنان النفسى، والسكون الروحى، خاصة حينما تقرأ القرآن».

ومن المواقف التى تذكرها ولا تنساها أبداً... أنها بعد إلقاء إحدى محاضراتها عن الإسلام فى كنيسة من كنائس «بوردو» طلبوا منها أن تقرأ عليهم من القرآن، فلاحظت رهبة القرآن وجلاله حينما هبت القاعة كلها واقفة بما فيها من الرهبان حتى انتهت من القراءة!.

***

(١) مجلة الفيصل ـ العدد رقم (١٦٣) بتصرف.

مع الراهبة التقية «جاكرو»
التي صارت «حليمة» المرأة المؤمنة

عُرِفَت «جاكرو» الشابة البريطانية بأديرة «الروم الكاثوليك» راهبَةً تقية، كرست حياتها لخدمة الرب.. كما خاضت تجربة التمريض، إذ سافرت إلى أعماق إفريقيا لتكون فى خدمة فقرائها، ومداواة مرضاها.

وبعد ثمانى سنوات من حياة الرهبنة، قررت «جاكرو» الراهبة التقية أن تترك الدير بعد أن فشلت فى أن تقنع روحها وضميرها بأن هذا هو الطريق السليم.

وتبدأ قصة إسلامها عندما تعرفت على زميلتين مسلمتين من المغرب ـ تعملان معها فى التمريض ـ عندما كانت تعمل ممرضة ـ تحدثتا معها عن الإسلام، وقالت إحداهما لها يوماً: «أنت مسلمة وإنْ كُنتِ لم تنطقى بالشهادة».. فقد حدث فى شهر رمضان أن صامت معهما عدة أيام، وعن ذلك تقول:

«كانت تجربة الصوم عظيمة لى.. شعرت معها بصفاء عجيب يغمرنى، وارتاحت نفسى، وبدأت روحى تسمو، فبحثت عن كتب تعرفنى أكثر بالإسلام»..

ثم تمضى فى حديثها:

«مرت بى الأيام وأنا أتابع قراءاتى عن الإسلام، وأحببت القرآن، وتمنيت أن أجيد اللغة العربية لأتمكن من قراءته فى صورته الصحيحة، وزاد اقتناعى بضرورة الدخول فى دين الإسلام».

وتصمت برهة لتستطرد قائلة:

«ثم حدث أن تزوجت شاباً مسلماً من «موريشيوس» صارحته برغبتى فى إشهار إسلامى، فنصحنى بألا أتعجل.. ولكن أصررتُ على ذلك بعد أن زاد اقتناعى بالإسلام الذى وجدته الدين الذى يسمح بالتقرب إلى الله بغير قيود، فكل واحد حر فى اختيار منهجه الذى يحقق به مرضاة الله، فالإسلام لم يشترط الانعزال عن حياة الناس حتى يكون المرء مؤمناً صالحاً، بل هو يأمرنا أن نمارس حياتنا الطبيعية، وأن نكون خلالها بالقرب من الله.

أما دستور الإسلام ـ وهو القرآن الكريم ـ فهو كتابٌ صريح واضح واقعى لا تحتمل نصوصه الالتواء أو الغموض، وتأتى السُّنة النبوية فتفسر الآيات القرآنية وتوضح مضمونها.. ولذلك فقد قررت اعتناق الإسلام، وتسميتُ باسم «حليمة» مرضعة رسول الله محمد ﷺ».

وتستغرق «حليمة» فى لحظة صمت طويلة لتقول بعدها:

«إذا نظرنا إلى مكانة المرأة فى الإسلام نجد أنه قد حفظ كرامتها، بأن ستر جسدها فأصبحت جديرة باحترام نفسها، واحترام الآخرين».

وهكذا استطاع نور الإسلام أن يغزو قلب راهبة فى أحد أديرة الروم الكاثوليك ليحيلها إلى مسلمة مؤمنة، عابدة لله وحده.

* * *

مع خادمة الكنيسة الأمريكية التى صارت «جهادة أمة الله» الداعية المسلمة

كان مجال اهتمامها ـ حينما كانت فتاة صغيرة ـ قراءة حضارة وتاريخ مصر القديم، وتستمتع أكثر بقراءة ما يُكتب عن حياة الملوك القدماء وأسرهم، وبسبب اهتماماتها تلك فقد أشار عليها بعض أصدقائها أن تقرأ أيضاً عن ديانة الشرق.

(١) المرجع السابق (بتصرف).

وبدأت حياتها تتغير فى وقت مبكر بعد أن قرأت نسخة من ترجمة معانى القرآن باللغة الإنجليزية، فقد زاد شغفها بتعلم المزيد عن حقائق هذا الدين وتعاليمه... وبدأت تحرص على حضور الدروس الدينية التى كان يلقيها بعض علماء الإسلام على الأطفال، واستطاعت من خلالها أن تتفهم الكثير من حقائق الإسلام ومبادئه، وتزداد قُرباً وحُبّاً لهذا الدين، بالرغم من أنها كانت مستغرقة بعمق فى ديانتها المسيحية فى فترة بدايات حياتها التى تتحدث عنها فتقول:

«لقد كنت شديدة التمسك بديانتى المسيحية، بل كنت أنا وأسرتى لنا أنشطة عديدة فى الكنيسة، نقوم بتقديم أى خدمات تطلبها منا الكنيسة.... كما أن طبيعة ونوعية تعليمى المسيحى نتج عن التردد على الكنيسة لمدة عشرين عاماً... وكنت أقوم بالتدريس بمدرسة الأحد لأكثر من عشر سنوات، وأعزف البيانو لكل صلاة بالكنيسة، وأنظم وأدير جوقة الأطفال المرتلين فى الكنيسة، وكان أبى وأمى يحضران إلى الكنيسة بانتظام، وقد شغل والدى أحد المناصب الإدارية بالكنيسة، أما جدتى فقد كانت تعمل كراعية... إننى أذكر هذه الأمور لكى أعطى صورة دقيقة عن مدى انخراط أسرتى العميق فى الكنيسة وطوائفها وأنشطتها.

وعلى الرغم من الصرامة التى تربينا عليها أنا وأفراد أسرتى على الالتزام بتعاليم الكنيسة، فإننى عندما أرجع بذاكرتى قبل اعتناقى الإسلام أرى مدى سطحية وضحالة بعض تعاليمنا.. كنت ألقن تلاميذى بمدرسة الأحد الكلمات بدون أن أشعر أن الله يمكن أن يعين على حل مشاكل الحياة، فقد كنتُ أعتقد أن المشاركة النشطة فى الكنيسة أيام الأحد والأربعاء تكفى إذا حاولت أن تعمل صالحاً!».

وتصمت برهة ثم تسترسل قائلة:

«لقد أثارت بعض تعاليم الكنيسة الأساسية قلقى، فحضرتُ الكثير من الحلقات الدراسية للمعلمين بالكنيسة، ولكن قضاياى لم تُحَلّ. . .كنتُ أؤمن بقوة أن على كل المسيحيين واجباً لله يتمثل فى أن يعملوا صالحاً، وأن ينصروا الآخرين كلهم من أجل إنقاذهم من دخول جهنم، ومن ثم كان عملى كله مقتصراً على الكنيسة. . . وأذكر أن الكاهن كان يجيب عن أسئلتى بقوله: آمِنى فقط بذلك وعَلِّميها كذلك، لأن الكنيسة والكتاب المقدس يأمران بهذا».

وتمضى «جهادة أمة الله جلكريز». وهذا اسمها بعد اعتناقها الإسلام - فى حديثها لتقول:

«لم تكن لدىَّ أية فكرة عن مدى التحول الذى سيطرأ على حياتى، فقد كان القرآن قوة محركة فى حياتى. . وأننى أحمد الله أننى كنتُ ممن تمتع بنعمة الجلوس مع الأطفال وتعلُّم دين الله الواحد الأحد. ولقد منحنى الله القدرة على احترام والدى بدون الإذعان لرغبتهما فى عودتى إلى المسيحية وإلى معبودهم «ابن الله» المزعوم».

ثم تثير «جهادة أمة الله» قضية مهمة فتقول:

«لقد اكتشفت على مدى السنين أن أغلب المجتمعات المسلمة تلقى بضغوط غير لازمة على المهتدى الجديد، فالكل يريد أن يطمئن إلى أن المهتدى يعمل كل شئ بالضبط وفقاً لفهمه هو عن الإسلام.

كما أن المهتدى الجديد يخضع للنقد لقصورة فى معرفته باللغة العربية، ولعدم قيامه السريع بالواجبات الإسلامية كلها على النحو المفروض، وتنسى هذه المجتمعات المسلمة أن هذه الأمور تكفى لتثبيط همة المهتدى الجديد، إنْ لم يكن المهتدى قوياً مثابراً فى تفهمه وتعلمه ليعرف ماهو الإسلام بحق.

ويجب أن نعلم أن هناك مسئولية جسيمة تقع على عاتق كُلٍّ منا، تتمثل فى أن يكون مَثَلاً إسلامياً يُحْتَذَى فيما يجب أن يكون عليه المسلم الصالح فى هذا العالم، فالحياة الإسلامية الصحيحة هى نوع من الجهاد يستطيع كل منا أن ينجح فيها إذا أخلص النية».

حقّاً.... لقد صدقت «جهادة» فى إيمانها، فخرجت كلماتها صادقة واعية، تحمل تفهماً وإدراكاً واضحاً لحقيقة الإسلام كما آمنت بها[1].

* * *

---

(١) مجلة «هاجر» ـ ملحق المختار الإسلامى عدد فبراير ١٩٩٢ (بتصرف).

مع الفرنسية المهتدية «سيلفى فوزى»

نشأت فى باريس، ودرست الهندسة الكيميائية وحصلت على الماجستير، وتعد لرسالة الدكتوراه، وبرغم الرفاهية المادية التى كانت تعيشها، والمكانة العلمية التى حققتها، فإنها كانت دائماً حزينة، تعانى من القلق والحيرة، تعبر عن ذلك بقولها:

«كنت أعيش فى أزمة مع نفسى، وبداخلى تساؤلات عديدة.. لماذا أعيش؟... وماذا بعد هذه الحياة؟.. لم أكن منسجمة مطلقاً مع ما يحيط بى من تحرر وانحلال.... حياتى اكتئاب دائم، وقلق مدمر.. لم يكن الإسلام مطروحاً أمامى كحلٍّ فى تلك الفترة، فالتشويه الغربى دائم متواصل على الإسلام، يقدمونه باعتباره دينَ جهلٍ وعبودية، لا يستحق التفكير والنظر إليه، وغير جدير بالتقدير، وأن المسلمين دون البشر.

كنت أنظر إلى الناس من حولى فأراهم يعيشون فى حرية مطلقة بلا حدود، ينعمون برفاهية مادية، ويتميزون بمستوى علمى رفيع، يُقبلون على دراسة كل الأديان بموضوعية إلا دين الإسلام!.... ويتعرفون على البوذية، والهندوسية، وكل الأديان الوثنية، فى حين ينكرون الإسلام كدين، فيزعمون أنه دين قد اخترعه محمد الذى ألَّفَ القرآن من بين أفكاره!!

وتمضى «سيلفى» فى حديثها قائلة:

«لقد روَّجَ أعداء الإسلام ـ وأكثرهم من اليهود الذين يسيطرون على الإعلام الغربي ـ أن المرأة المسلمة عَبْدَةٌ مقهورة بلا أدْنَى حقوق. . . وقد فنّد هذا الاتهام والافتراءَ ما لمستُه بنفسي، فقد كانت لي شقيقة تزوجت من رجل عربيٍّ مسلم يتميز بالالتزام الذى يفيض عليه رجولة وصدقاً. . شئ لم أعهده وفوق تصوراتى، فمعظم الرجال فى أوربا مخنثون، يعيشون كالأنعام فى عبث ولا مبالاة، ويتحدثون كلاماً تافهاً كنت أكرهه، فى حين كان النموذج المسلم بمثابة النور الذى من خلاله بدأت أقرأ وأتعرف على الإسلام، ومن ثم بدأت نفسى تهدأ تستريح، فلقد عرفتُ سِرَّ قلقى وحُزنى.

ثم دارت الأيام، وتزوجت من شاب مسلم يعمل مهندساً فى فرنسا، كان له دور كبير فى هدايتى لدين الإسلام، حيث أحضر لى ترجمات لمعانى القرآن بالفرنسية، وبعض الكتب الإسلامية المترجمة، شعرت بعد قراءتها أننى كنت فى ضلال قديم، وأن كل الأسئلة التى كانت تدور فى نفسى لها إجابات شافية فى الإسلام. . فلم أملك إلا أن أعلن إسلامى، وتسميت باسم «سيلفى محمد فوزى». . وتسترسل «سيلفى» فى حديثها وتقول:

«نعم. . لو وجدتُ فى الإسلام منهاجَ حياة يجيب عن كل التساؤلات، وينظم للإنسان حياته وفق ما ينفعه ويتناسب مع فطرته. . ملبسه ومأكله، عمله ونظام زواجه، اختياراته فى الحياة، علاقاته بالآخرين. . ومن ثم فلا عجب أنَّ من يلتزم بالإسلام يستشعر الاطمئنان والأمان النفسى، الذى هو ـ فى رأيى ـ أهم العناصر لاستمرار الحياة، فطفلى الصغير الذى لم يتجاوز السابعة من عمره يدرك معنى وقيمة الحياة بإسلامه أكثر من أمى وجدتى اللتين لا تدينان بالإسلام، فهو يعلم جيداً لماذا يعيش؟. . . وماهى الآخرة؟. . . وماذا يعنى الثواب، والصَّدَقَة، والإحسان إلى الناس؟

إننى بعد أن أسلمتُ عرفتُ الطمأنينة والأمان ولذا عشقتُ هذا الدين

الذى جاء به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وكلى عِزَّة بالإسلام، لأننى كنت فى ضلال، وعشت وسط الضَّالين، فدائماً أشكر الله أن هدانى للإسلام، فأنا أعرفُ قيمة الإسلام فى كل تفاصيل حياتى، وأحاول أن ألتزم بكل أوامر الله وأتجنب نواهيه، فالإستسلام لله أمر عظيم، ومعنى لا إله إلا الله أمرٌ أعظم، ولكن للأسف بعض المسلمين الذينُ ولدوا مسلمين بالوراثة لا يعرفون قيمة الإسلام، ويؤجلون دوماً التعرف على دينهم.

وبعض النساء لا يرتدين الحجاب، وهو شئ بسيط وهين، ويَدَّعين أن الإيمان جوهرٌ وليس مظهراً، وهذه الكلمات تؤلمنى كثيراً».

ثم تضيف: «ولعلها مناسبة لكى أقول لكل امرأة مسلمة إذا كان لديكِ طفل تحبينه هل تعبرين عن هذا الحب بالكلمات فقط أم تقومين على رعايته والسهر على راحته وتقديم جميع الاحتياجات له كدليل على الحب؟.... أم سيظل حبك له مجرد كلمات وعواطف فى صدرك لا تترجم إلى أفعال؟.. وإذا كان حبكِ لأى إنسان يجب أن يترجم إلى عمل وسلوك فكيف بالله الذى خلقنا ونعمه علينا لا تُعَدُّ ولاتُحْصَى؟!. ألا يستحق أن نبرهن له على حبنا وولائنا بالتزامنا بأوامره والبعد عن نواهيه؟

وإذا كان الإيمان فى القلب فهذا صحيح، ولكنَّ جزءاً من الإيمان أشياء ظاهرية يجب أن تترجم إلى عمل وسلوك فعلى ولتعلم المرأة أنها إذا بعدت عن هذا الدين صارت سلعة رخيصة تُبَاعُ وتُشْتَرى، وتُسْتَغَل أسوأ استغلال، يتاجرون بها على كل المستويات».

وعن سبيل عودة المسلمين إلى الإسلام ترى الأخت «سيلفى» المسلمة:

«إنه يجب أن نحدد أولاً الأسلوب الخاطئ فى التربية، ثم نصحح هذا الأسلوب وتلك العادات الخاطئة.. ويجب أن نعلم أن البداية دائماً تحتاج إلى جهود مضنية، ولكننا مطالبون بأن نجاهد أنفسنا، ونفرق بين الحق

والباطل، ونعترف بالخطأ، فالإيمان لا يقوى إلا من خلال المجاهدة والتضحية».

هذه بعضُ كلمات الفرنسية المهتدية «سيلفى فوزى» التى أصبحت أُختاً ملتزمة ترتدى الزىَّ الإسلامى، وتقرأ القرآن، ولا يشغلها الآن سوى قضايا الإسلام وهموم المسلمين، والتفكير والعمل على رفعة شأنهم.

* * *

(١) صحيفة المسلمين فى ١٦ / ٤ / ١٩٩٣ (بتصرف).

مع الطبيبة الهندية «أوشا»
التى صارت «آمنة قريش»

تلقت دراساتها وعلومها فى الهند التى اصطبغت بالعقيدة الهندوكية، التى تقول إن للكون أكثر من إلـه، وإن الإلـه لا يمكن عبادته مباشرة، بل لا بد من رجال الدين الذين يوصلوننا إلى تلك الآلهة.....

ولكن لم تك نفس التلميذة «أوشا» التى تدرس فى مدرسة «براتيمك» الثانوية فى بومباى ترتاح إلى تلك العقيدة، ولا سيما أن الشك دَبَّ فى نفسها حيالها... فكيف يكون للكون أكثر من إلـه؟!... وكيف يكون هناك وسطاء من البشر ـ أى رجال الدين ـ موكلون من هذه الآلهة ويصلون بهم إلى مرتبة التقديس؟!...

أجل... لم تقتنع «أوشا» ـ على صغر سنها وقتئذ ـ بهذا التعدد فى الآلهة، وهذه الوساطة المناقضة للطبيعة الإنسانية، بل للعقل والمنطق.

وبعد أن أتمت «أوشا» المرحلة الثانوية والتحقت بكلية الطب فى بومباى... بدأت الشكوك تزداد فى نفسها، ولاسيما وهى بصدد مادة «التشريح» التى أظهرت أمامها حقائق لم تكن تعرفها من قبل..... عن ذلك تقول:

«من خلال دراستى لحالات المرض عرفت أن الأمراض التى تُصيب الإنسان سببها ميكروبات وفيروسات دقيقة تعادلها مخلوقات فى جسم الإنسان تقاومها وتتغلب عليها أحياناً، وتفشل فى ذلك أحياناً أخرى... هذه المعركة

التى تحدث فى جسد الإنسان تلقائياً وبدون ترتيب، كنت أقف أمامها وأسأل نفسى: لابد أن هناك سبباً خفياً وراء ذلك. . . . وازدادت شكوكى وتساءلت أكثر من هذا. . . . عن هذه الأنسجة الدقيقة التى يتكون منها جسم الإنسان، كيف خُلقت؟. . . ومن الذى خلقها بهذه الكيفية البديعة النظام؟!! وكيف تلتئم الجروح، وتتجمع الأنسجة بعضها حول بعض من جديد، فيعود نسيج الجروح إلى ماكان عليه من قبل؟!!. . . . وبرغم أننى كنت أدرس مبررات هذه العملية التى تجرى داخل الإنسان فإننى لم أكن أقتنع بها. . فكنت أقول لنفسى: لابد أن هناك شيئاً مَّا وراء ذلك يخفى علىَّ. . . . فتركيب جسد الإنسان وتنظيمه على هذه الصورة الدقيقة لابد أن يكون وراءه صانع مبدع».

ومرت الأيام والشهور، وطالبة الطب «أوشا» فى حالة التفكير المضنى بين ما تراه وتدرسه وبين ما ورثته من عقيدة وثنية لم تؤمن بها، حيث لم تقتنع بها فى يوم من الأيام. . . . وظلت هكذا حتى تعرفت على زميلة لها بالكلية قد سبق أن لاحظت عليها أنها لا تختلط بزملائها الطلبة، وتقصر صداقاتها على عدد معين من الطالبات. . . . ولفت نظرها أنها ترتدى ملابس محتشمة، تختلف عن الملابس التى ترتديها معظم الطالبات، ويبدو عليها الهدوء والوقار. . وجدت «أوشا» فى صحبتها ألفة لم تعهدها فى غيرها من قبل، واطمأنت نفسها إليها. . . فتعبر عن ذلك قائلة:

«تعرفت على زميلة لى فى الكلية يبدو عليها الهدوء والوقار، ووجدت فى صُحبتها أُلْفَةً لم أعهدها فى غيرها من قبل، واطمأنت نفسى إليها. . . وفى النهاية عرفت السبب فى هذا كله. . . عندما قالت لى أنها مسلمة».

ثم تصمت برهة لتكمل كلامها:

«لم أناقشها كثيراً فى هذه المسألة. . . وإنما كنت أسألها نفس الأسئلة الحائرة فى عقلى. . . هل للكون أكثر من إله؟. . . . ومن هو الخالق المبدع لجسم الإنسان الذى ندرسه على هذه الصورة العجيبة. . البالغة التعقيد؟».

وتطرق برأسها التى احتشدت بها تساؤلات تبغى الحقيقة لتقول بعدها:

«لقد فهمت زميلتى المسلمة أسباب حيرتى.. فكانت تعيرنى بعض الكتب التى تتحدث عن الإسلام.. وكان أغلبها كتباً علمية عن جسم الإنسان، والدورة الدموية، والتشريح... وعندما سألتها عن مصدر هذه الكتب وواضعيها أخبرتنى أنها لمؤلفين مسلمين ماتوا منذ مئات السنين، وقد ترجمت إلى اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأجنبية».... ولكن كنت كلما قرأت فى هذه الكتب ازدادت دهشتى وتساءلت فى نفسى: كيف عرف هؤلاء هذه الأسرار الدقيقة الموجودة فى جسم الإنسان منذ مئات السنين.. كما قالت لى زميلتى المسلمة، وكما تأكدت بنفسى؟!. مع أن المناهج التى ندرسها الآن قيل لنا إنها أكتشافات لم تُعْرَف إلا فى القرن الحالى!... وبدأت الشكوك تساورنى فى صحة أسانيد العلوم التى ندرسها... فى الوقت الذى كنت أشعر فيه براحة نفسية عميقة عندما أجلس مع صديقتى المسلمة».

وتلتقط «أوشا» أنفاسها وتعود إلى هدوئها الخاص الذى يميزها فى الكلام والحركة، فتأتى الكلمات بطيئة قاطعة، كأنها تقرأها على لوحة خفية لايراها إلا هى... وهى تقول فى نبرة حزن وأسًى:

«... وانتهيت من دراستى فى كلية الطب... كان ذلك منذ ١٣ عاماً... وتزوجتُ من شاب هندوكى باركَتْهُ أُسرتى بدون أَخْذِ رأيى فيه.. وكانت حياتى معه لا تُطاق.. كلها خلافات وشجار دائم، ولاَ سيما عندما كان يطلب منى أشياء لم أكن مقتنعة بها، مثل ممارسة الطقوس الهندوكية التى لم أمارسها فى حياتى قط.. وكان ذلك موضع الخلاف بيننا فى الغالب....

وبرغم هذا الزواج فلم أقطع صلتى بزميلتى المسلمة... كنت ألتقى بها بدون علم زوجى، فقد كان متعصباً لدينه ومعتقداته الوثنية.... لا يُبارك علاقة الصداقة بزميلتى المسلمة».

وتستأنف حديثها قائلة:

«وبعد فترة وجيزة توفى زوجى، واستبشرت خيراً بعد وفاته... فقد كنت أتوقع مزيداً من الحرية فى حياتى.. ولكن خاب ظنى، فالعادات الهندوكية تحتم على الأرملة أن تبقى فى بيت أهل زوجها إلى الأبد.. من هنا أحسستُ أن هناك طوقاً يلتف حول عنقى إلى الأبد...

ولم يكن لى منقذ فى هذه الحياة التعسة التى أعيشها سوى علاقتى السرية بصديقتى المسلمة وأسرتها... وكانت سعادتى بالغة عندما وجدتها تنصحنى ذات يوم بأن أهاجر خارج الهند، وأخبرتنى أن أفضل بلد أستريح فيه هو ديار الإسلام، وحددت لى «السعودية» لأنها فى حاجة إلى عملى كطبيبة».

وفى نبرة صوت مفِعم بالسعادة. قالت:

«وهكذا انفتح أمامى باب الأملِ على مصراعيه بعد أن حصلت على عقد عمل بالسعودية.. وهناك تعرفتُ على زميلاتى الطبيبات المسلمات اللاتى وجدتُ منهن مودَّة وأُلفة نسيت معها جو الغربة عن بلدى، فقد انغمستُ معهن فى حياتهن كأنى واحدة منهن... وهنا امتلأ وجدانى بحب الإسلام فأسلمت، ولكنى لم أشهر ذلك رسمياً.... وذات يوم وجدتهن يجرين استعدادات غير عادية للسفر خارج الرياض حيث نعمل.. وعلمت منهن أنهن سيقُمن بزيارة للمدينة المنورة، ثم مكة المكرمة.. ولم أكن أعرف أهمية هذه الزيارة ولا الهدف منها، غير أن زميلاتى لم يُرِدْنَ أن يتركننى بمفردى، فاصطحبننى معهن، لأنهن كن يشعرن برغبتى فى معرفة الكثير عن الإسلام.

وفى هذه الزيارة رأيت ما لم أره من قبل.. وسمعتُ مالم أسمع عنه.. زرتُ المسجد النبوى الشريف، وقبر الرسول الكريم، كما زرت الكعبة المشرفة والبيت الحرام.. وهناك سمعت عن الإسلام كلاماً لم أسمعه من قبل بعد أن رأيتُ الإسلام والمسلمين على الطبيعة..»

وتقطع حديثها بابتسامة سعادة الإيمان ترسم بذلك صورة عالمها النفسى الداخلى الذى يطرب لما هو فيه من رِضًا وراحة نفسية وهى تقول:

«لم أكن فى حاجه إلى شرح وتوضيح أكثر مما رأيتَ وسمعتُ.. لقد عرفتُ أن هذه الأماكن كانت النقطة التى أشرقت منها شمس الإسلام على العالم كله... وفيها ملأت شمس الحقيقة نفسى وقلبى... فكان لابد أن أدخل فى دين الإسلام رسمياً بأن أشهره... وكان ذلك فى منتصف شهر رمضان، وبعد الإفطار... فى يوم لا أنساه أبداً.... وكيف أنساه وقد شعرت أننى قد وُلِدْتُ فيه من جديد؟!...

وتصمت لحظات ليرتفع بعدها صوتها فى حرارة كلماتها وهى تحرك يديها فى حماس واعتزاز بيوم مولدها كمسلمة قد تسمت باسم «آمنة قريش»... فتتذكر ذلك اليوم فتقول عنه:

«فى هذا اليوم توجهت إلى مسجد الريحان المجاور للمستشفى الذى أعمل فيه.. وقلتُ للإمام: إن رغبتى قد استقرت على شَهْرِ إسلامى....».

ثم تتنهد وتستطرد قائلة:

«عندما نطقت بالشهادتين أمامه شعرت أننى تحررتُ لأول مرة من قيود الشك التى كَبَّلَتْنِى ثلاثين عاماً، واخترتُ لنفسى اسم «آمنة قريش» بدلا من اسمى القديم «أوشا».

وفى المركز الإسلامى بمكة المكرمة أخذت «آمنة قريش» تتعلم مبادئ الإسلام من صلاة وصوم، حيث انتظمت فى صوم بقية شهر رمضان بعد إسلامها مباشرة، وغيرهما من مبادئ وتعاليم وآداب زادت عليها بالثقافة الإسلامية التى حرصت على الاستزادة منها كلما استطاعت على ذلك سبيلا.

ومن الطريف الجميل أن تحرص «آمنة» على زيارة بيت الله الحرام أسبوعياً، وتشرب من ماء زمزم... وعن دافعها فى ذلك تقول:

«إننى فى كل مرة أشعر بمزيد من الأمان النفسى والاطمئنان الروحى.. فأنا أعتقد أن ذلك وحده هو الكفيل بتكفير الذنوب التى ارتكبتها طوال ثلاثين عاماً عشتها بعيداً عن الإسلام».

وعن أمنيتها تقول وقد دمعت عيناها:

«أتمنى أن أعيش بمكة المكرمة وأُدْفَنُ فى المدينة المنورة».

* * *

مع الأستاذة الجامعية «سمية كاربراين»

أستاذة جامعية[1]، تبلغ من العمر سبعاً وأربعين سنة[2]... سمعت كثيراً عن الإسلام والمسلمين منذ صغرها، وأعجبت بالإسلام لاحترامه المرأة وحفاظه عليها...

ولما بلغت مرحلة الشباب اهتمت بقراءة الكتب التى تحكى تاريخ الأديان.. وأُتيحت لها فى تلك الفترة أن تقرأ ماكتبه المستشرقون عن الإسلام والمسلمين، إلا أنها لم تقتنع بكتاباتهم، وفى ذلك تقول:

«لقد أتيح لى فى تلك الفترة أن أقرأ ماكتبه المستشرقون عن الإسلام والمسلمين، إلا أن هذه الكتب كانت للأسف سطحية ولا تعطى صورة صحيحة عن الإسلام، ولذلك حاولت أن أعرف المزيد عن الدين الإسلامى، فبدأت أتعلم اللغة العربية».

---

(١) أستاذة للجغرافيا والجيولوجيا بكلية ستيفنج ببريطانيا.

(٢) يلاحظ أن للعمر دلالة مهمة فى تحول المرء إلى دين جديد غير الذى توارثه عن أبويه.

ثم تستطرد قائلة:

«لفت نظرى ذلك التقدم العلمى والحضارى الكبير الذى كان يعيش فيه المسلمون خلال القرون الستة الأولى من بدء الإسلام.. ومن هنا فهمت أن الدين الإسلامى يدعو إلى العلم والتقدم، على عكس أوربا فى تلك الفترة، فقد كانت تعيش عهداً كئيباً مظلماً».

واتسعت ابتسامتها النابعة من ارتياحها النفسى وهى تقول:

«بدأت قراءاتى تزيد وتتعمق فى مبادئ وتاريخ الإسلام، وكنت كلما توغلت فى القراءة يتضح لى أن الإسلام دين العلم والفلسفة والحياة بمعناها الواسع.... فلقد عكفت على قراءة الكثير من الكتب الإسلامية المترجمة باللغة الإنجليزية، فتبينت منها أن الدين الإسلامي يدعو إلى الأُخوة والمحبة بين الناس، وإلى المساواة والعدل بينهم.. كما يركز على الجانب الروحى فى حياة البشر، وبالتالى فهو يمنح المسلم شحنة إيمان قوية تتضح فى علاقة المسلم بربه حيث يتقبل القضاء والقدر بنفس راضية وقلب مطمئن.. كما لفت نظرى احترام الإسلام للمرأة وتكريمه لها، على عكس ما كنت أجده فى المجتمع البريطانى من امتهان لكرامة المرأة، والعلاقة غير الإنسانية بين الرجل والمرأة، لقد وجدت أن هذه الدين يحرص على طهارة ونقاء المرأة والحفاظ على كرامتها وإنسانيتها.. من ذلك كله حرصت على اعتناق الإسلام والالتزام بسلوكياته وتعاليمه».

* * *

مع الدنمراكية «جنة سالم»

إنها شابة فى الثلاثين من عمرها . . . نشأت فى الدانمارك من أسرة متدينة بسيطة . . وتخرجت فى إحدى كليات «كوبنهاجن» التى مكنتها من ممارسة مهنة التدريس حيث عملت مدرسة للغة الإنجليزية والجغرافيا بالمدارس الثانوية وأتيحت لها الفرصة لأن تزور كثير من البلاد الأوربية والإفريقية، ومنها نيجيريا.

وفى نيجيريا تمكنت من التعرف عن قرب على أحوال المسلمين ومخالطتهم، فضلاً عن دراسة ومطالعة كثير من الكتب التى تتناول التشريع والمبادئ والقوانين والأحكام الإسلامية، خاصة أن أهل نيجيريا فى معظمهم يدينون بالإسلام. . ومنذ ذلك الحين بدأت تزداد معرفتها بالإسلام شيئاً فشيئاً. . فتعبر عن ذلك قائلة:

«بعد رحلة طويلة فى هذه الكتب الإسلامية أيقنت أن العقل البشرى قاصرٌ، وأن الناس فى جميع أنحاء العالم بحاجة إلى تشريع إلهى محكم، لا توجد فيه ثغرات أو غموض أو تعقيد، فالإنسان مهما أُوتى من عبقرية فى الإدراك قاصر عن وضع القوانين والمبادئ التى تسعده، والدليل على ذلك هو وجود الصراعات المختلفة على الأرض والتى تحتاج إلى قوة تنظيم ترشد الإنسان».

ثم تضيف قائلة:

«لقد وجدت أن بعض التعاليم الدينية فى الغرب تقوى الظنون والشك لتعرضها للتحريف، فضلاً عن أن رجال هذه التعاليم ينقسمون فى الرأى.. ومن هنا كان سفك الدماء والتناحر بين طوائف الدين الواحد، بالإضافة إلى التمييز العنصرى، وتفكك روابط الأسرة، وتدهور العلاقات الإنسانية، والغرق فى الملذات والمحرمات والمنكرات، مما يتعارض مع جوهر الدين الحق الذى يرفضها شكلاً وموضوعاً... وكان هذا هو الإسلام».

وتصمت فى لحظة استغراق وتأمل لتقول بعدها:

«أود أن أشير فى نهاية كلمتى هذه إلى أننى ولله الحمد أشعر كأننى وُلدت من جديد، بين الهُدَى والنور بشهادة الحق أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

وبدافع من قوة الإيمان والغيرة على دينها الجديد الإسلام وجهت نداءً ورجاءً للمسئولين على الدعوة الإسلامية على مختلف مستوياتها قالت فيه:

«ارجو أن تركز جميع الحكومات والمنظمات والهيئات الإسلامية والعربية فى عملها على شعوب الدول الأجنبية، وأن تعمل جاهدة على توسيع نطاق نشر الدعوة الإسلامية، بإيفاد الدعاة المسلمين للوقوف فى وجه التيارات المضادة، وتوفير الكتب والمراجع الإسلامية حتى تكون فى متناول يد كل شخص باحث ودارس لهذا الدين الإسلامى القويم.

* * *

مع «ليلى رمزى» مذيعة التليفزيون الأمريكى(١)

عملت مذيعة فى التليفزيون الأمريكى عقب تخرجها وحصولها على بكالوريوس فى هندسة الإليكترونيات.. ويبدو أن طبيعة عملها استلزم منها

(١) لم يذكر المصدر الذى رجعنا إليه اسمها قبل أن تعتنق الإسلام.

أن تكون على درجة كبيرة من الثقافة، فكانت تطالع كثيراً من الكتب وما يصدر من مؤلفات متنوعة.. وقد مكنها ذلك من قراءة الكثير عن الأديان، مثل دين الإسلام الذى استوقفها مراراً وهى تتأمل وتمعن التفكير فى تعاليمه وآدابه.

وأرادت الاستزادة من المعرفة بالإسلام، فاتجهت إلى قراءة ترجمة بعض سور من القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وتفاسير سيد قطب، والغزالى، وغير ذلك من كتب إسلامية متعددة.

وبينما هى مستغرقة فى القراءة تنهل من زاد المعرفة الإسلامية، كانت تقارن فى الوقت ذاته بين الأديان كلها وبين الإسلام، حتى شرح الله صدرها للإسلام، فاعتنقته.. فتعبر عن مشاعرها تجاهه قائلة:

«وجدتُ الدين الإسلامى يسيطر على مشاعرى وكيانى.. ويجعلنى أعيش فى الحقيقة بعد وَهْم طويل»

وعندما سُئلت عَمَّا تَعْنيه بالوَهْم الطويل.... قالت:

«البعد عن الحقيقة.. حقيقة الله تعالى وعدم معرفته كما ينبغى هُوَ الوَهْم.. ولذلك كنتُ فى وَهْم طويل قبل أن أتعرف على الإسلام الذى أعطى العَقْلَ تعريفاً بالله وصفاته.... فالعقل لا يقبل أن يُطلق على الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، صفات تتنافى مع وحدانيته... وهو القائل فى كتابه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١).....

كما أن العقل لا يمكن أن يستسيغ ما يتنافى مع وحدانية الله».

ولذا فلاعجب أن تكون سورة الإخلاص التى تجزم بوحدانية الله وتفرده بصفات لا يشاركه فيها أحد الدافع وراء نطقها بالشهادتين وإشهارها للإسلام..... كما عبرت عن ذلك بقولها:

(١) سورة الشورى - من الآية الحادية عشرة.

«كنت أقرأ ترجمة بعض سور من القرآن الكريم، باللغة الإنجليزية، وخاصة جزء «عم»، مثل سورة «الفجر»، و«البينة»، و «الضحى».... حتى وصلتُ إلى سورة «الإخلاص».. فقرأتُ فيها حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾....

فإذا بى أنطق بالشهادتين نطقاً صحيحاً كاملاً باللغة العربية دون سابق معرفة بها.. وكان ذلك منذ أربع سنوات».

وحضرت «ليلى رمزى» إلى القاهرة بعد اعتناقها الإسلام لتدرس اللغة العربية حتى تتمكن من قراءة القرآن الكريم الذى ارتبط بوجدانها، وتتمنى أن تحفظه كله بلغته العربية.

ومن الطريف ـ كما تذكر ـ أنها حصلت على بكالوريوس فى هندسة الإليكترونيات لتمارس عملاً يختلف تماماً مع تخصصها كمذيعة فى التليفزيون، ليكون ذلك سبباً فى هدايتها للإسلام من خلال حرصها على التزود بثقافات متنوعة..

ولم تكتف الأمريكية المسلمة «ليلى رمزى» باعتناقها للإسلام، بل إنها تحرص على إقناع غيرها من بنات جنسها من الأمريكيات لاعتناق الإسلام، حيث قالت:

«سأعمل واعظة فى الدين الإسلامى لتوجيه الناس إلى الطريق الصحيح».

* * *

(١) صحيفة اللواء الإسلامى فى أحد اعدادها الأسبوعية.

مع «فابيان» عارضة الأزياء الفرنسية التى صارت مجاهدة مسلمة

فتاة فرنسية فى نحو الثامنة والعشرين من عمرها، اجتذبتها بيوتات الأزياء العالمية لتعمل عارضة أزياء لها جمالها المبهر، ورشاقتها لفتت الأنظار إليها... وحرضها الجميع - بما فيهم أهلها - على أن تستغل جمالها فى عمل يدر عليها ربحاً كثيراً وشهرة واسعة... وكان لها ما أرادت وما أرادوه منها، فذاع صيتها كعارضة أزياء لا تفهم شيئاً غير حركات جسدها وإيقاعات الموسيقى...

تعلمت «فابيان» أن تكون باردة، مغرورة، فارغة تماماً من الداخل، مجرد جماد يتحرك ويبتسم، ولكنه لا يشعر بأى شئ شأنها فى ذلك شأن كل عارضة أزياء.

وعاشت «فابيان» عارضة لأحدث خطوط الموضة بكل مافيها من تبرج وغرور، ومجاراة لرغبات الشيطان فى إبراز مفاتن الأنثى دون حياء أو خجل.. فعلى من يمتهن ذلك أن يتخلى عن الخجل ويودع الحياء إلى الأبد تذكر فابيان أنها كانت تحيا فى عالم الرذيلة بكل أبعادها الممجوجة، لابد أية واحدة من العارضات ليس فى إمكانها أو باستطاعتها أن تكتفى بعملها فقط، فذلك يعنى القضاء عليها، لأن السادة يريدون أن تمارس كل أنواع الفحش والرذيلة، فهذا فى اعتبارهم مكسبهم الحقيقى.

(١) من عالم الشهرة إلى رحاب الايمان: اسماء ابو بكر الجهينى (بتصرف).

وحدث التحول المفاجئ فى حياة «فابيان».. أثناء رحلتها إلى بيروت بلبنان، ورأت كل شئ ينهار ويتحطم تحت وابل طلقات المدافع والقنابل... كل شئ ينهار، الفنادق، والمنازل، حتى المستشفيات لم تسلم منها... لقد رأت مستشفى للأطفال ينهار فى دقائق معدودة ويصير كومة من تراب... عندئذ صرخت وبكت، وانقشعت الغشاوة عن عينها... غشاوة الشهرة والمجد والحياة الزائفة، واندفعت نحو أشلاء الأطفال الأبرياء، كانت تحاول ماوسعها الجهد أن تنقذ من بقى منهم على قيد الحياة

ولم تعد «فابيان» إلى الفندق الذى تقيم به فى «بيروت» حيث تنتظرها الأضواء الخادعة المزيفة التى لا روح فيها ولا حياة.... فقد تاقت نفسها أن ترجع إلى فطرتها النقية التى فطرها الله عليها... النقاء والصفاء... أرادت أن تشعر بإنسانيتها... وأنها إنسانية بمعنى الكلمة.

وتطوعت «فابيان» للعمل كممرضة تعمل ماوسعها الجهد على تخفيف الآلام للأطفال المصابين فى إحدى مستشفيات «بيروت».

وفى أثناء عملها سمعت عن حاجة «أفغانستان» لمساعدتها مما تعانيه من دمار الحروب، فتركت «بيروت» الجريحة وسافرت إلى باكستان لتصل من حدودها إلى «أفغانستان» حيث عاشت الحياة الحقيقية التى طالما تطلعت إليها شوقاً، وتاقت نفسها إليها...

وفى أثناء معايشتها للحياة الأفغانية وما رأته من جهاد الأفغان وتضحيتهم بأنفسهم تَطَلُّعاً إلى مصير بلدهم وتحريره أو الشهادة فى سبيل الله... فأخذت تسأل عن دين الإسلام الذى يعتنقه الأفغان ويدفعهم إلى مثل تلك التضحيات النادرة.

وزاد اقتناعها بالإسلام الذى يلتقى مع أحاسسها وإنسانيتها التى عادت إليها بعد أن رأَتْ فى الإسلام حياة حقيقية كانت تفتقدها قبل أن ترى سلوك وتصرفات المسلمين الذى يضحون بأرواحهم فداءً لدينهم وأوطانهم....

لقد بلغ من حب «فابيان» للإسلام أن أرادت أن تقرأ القرآن الكريم بلغته العربية، فأخذت فى أثناء تطوعها فى رعاية الأُسَر الأفغانية ـ تتعلم اللغة العربية حتى أحرزت فى ذلك تقدماً ملموساً بشهادة من حولها.

ولم تلبث أن أعلنت «فابيان» عن إسلامها أمام الأسر الأفغانية التى أحبتها وفرحت بإسلامها.

وبرغم ضغوط الإغراءات التى كانت تصل إليها للعودة كعارضة أزياء، والكم الهائل من الهدايا الثمينة التى أرسلت إليها فإنها أبَتْ أن تعود إلى حظيرة الفسق والضلال بعد أن رأت نعيم الطُّهْرِ والإيمان... فلقد تغير نظام حياتها تماماً وفقاً لمبادئ دينها الجديد «الإسلام» وتعاليمه...

كيف تتخلى عن الروحانيات العظيمة المتفردة التى تعيش فى رحابها وتعود للطرقات المُظلمة الجافة؟!.

هكذا عبرت «فابيان» عندما حاول أعوان الشيطان أن يستدرجوها مرة أخرى إليهم.

يقول من رأوها وهى تقضى أوقاتها فى أعمال شاقة وسط الهضاب والشعاب والجبال فى معاونة الأُسر الأفغانية:

«لَكَ أن تتعجب، كيف صارت عارضة أزياء فرنسية ماجنة إلى مجاهدة مسلمة الآن؟.. ولكن يزول العجب إذا أمعنا النظر فى دين يدعو إلى إنكار الذات، والتضحية فى سبيل الغير... دين يتفق مع فطرة الإنسان التى فَطَرَهُ الله عليها من النقاء والطهارة.. فالرجوع إليها عودة لوجود كائن وليس اختلاقاً لشئ لم يكن... المهم أن ترجع النفس إلى نفسها وبارئها».

* * *

مع الفنانة الألمانية «كارولا» التى صارت السيدة «سكينة»

كانت تتربع على قمة المجد والشهرة، فقد كانت ممثلة سينمائية ومسرحية يحيط بها الألوف.. ويعجب بها الملايين.... وبالرغم من الشهرة والأضواء، فقد كانت تشعر فى أعماقها بقلق وعدم استقرار... فقد كانت تحس أن شيئاً ما ينقصها، برغم أنها تمتلك كل ما يسعى إليه المرء من متاع مادى.. «الفيلا» و «السيارة».. والسفر إلى معظم بلدان العالم... ومع ذلك تذكر أنها كانت تشعر أنها تعيش حياة بلا طعم.. بفراغ قاتل ووحدة موحشة، برغم أنها تعيش وسط الأضواء، ويطاردها المعجبون فى كل مكان.

وذات يوم، وبينما هى جالسة فى فيلتها التى تقع فى ضواحى «برلين» راحت تفكر فى حياتها التى تعيشها، وقد نسبت تماماً ما تمتلكه من متاع مادى لم يسبب لها السعادة التى تنشدها... فعزمت على أن تبحث عن طريق آخر وحياة أخرى علّها تجد فيها السعادة والطمأنينة وهدوء البال.. فرأت أن أفضل طريق لها أن تبعد عن المجتمع الألمانى الذى تعيش فيه... وأن تزور بعض البلدان الأخرى لتختلط وتعايش أبناءَها.... وبالفعل غادرت ألمانيا، وكان ذلك فى عام ١٩٣٤ بمساعدة أحد معارفها الذين يعملون فى الحكومة، فقد كان «هتلر» الذى يحكم ألمانيا وقتئذ يمنع الألمان

من مغادرتها . . . واتجهت إلى «تونس» التى لم تمكث فيها .طويلا ، حيث شعرت أنه مجتمع لايختلف عن المجتمع الذى كانت فيه ، فقد كان الفرنسيون يحكمون هذه البلاد ويسيطرون على كل شئ فيها . . .

ومن تونس توجهت إلى «مصر» . . وتسترجع ذكريات حبيبة على نفسها عن مصر ، فتحكى قائلة :

« . . كانت أكثر هدوءًا وجمالا من الآن . . . كنت أسير فى شوارعها فتأخذنى مناظر المساجد ومآذنها المرتفعة . . . وذات يوم بينما كنت أتجول فى خان الخليلى . . . سمعتُ صوتاً عالياً مصدره مكبر للصوت يُرَدِّدُ جُمَلاً مكررة بصوت جميل . . كانت تلتقطها أذناى من هنا وهناك . . فقد كانت تتردد فى أكثر من مكان . . . ولما اقتربت من المصدر الذى يأتى منه هذا الصوت لاحظتُ أن الناس يُسرعون مهرولين إلى داخل المبنى الذى عرفتُ فيما بعد أنه «المسجد» . . . وأنهم يدخلونه لأداء الصلاة بعد أن يسمعوا هذا النداء الذى لفت انتباهى ، وهى «الأذان» . . وسألت عمّا سمعتُ ورأيت وعرفت الإجابة» .

وتغيم عيناها خلف سحابة ذكريات بعيدة تحاول أن تسترجعها ، ثم ماتلبث أن تعود لحديثها فتقول :

«كنت أتجول فى الشوارع أتحدث مع الناس وأطالعهم . . . وترددت على هذا المكان الذى عرفت فيما بعد أنه يسمى بالمسجد . . . . كنت أرى أشخاصاً ـ أشكالهم مختلفة ، وملابسهم متمايزة ـ يجلسون فى حلقات ويلتفون حول شيخ مسن يجلس على كرسى عريض . . . وبعد ساعات يقوم شخص فيعتلى مكاناً عالياً فى المسجد ، عرفت أنه يسمى «المئذنة»[1] وينادى بالعبارات التى سمعتها وشدت انتباهى من قبل ، وسرعان ما يقوم هؤلاء

(١) يلاحظ أنها تتحدث عن فترة لم ينتشر فيها مكبرات الصوت التى تُغْنى الآن عن اعتلاء المآذن كما يفهم من سياق حديثها ، فقد كان فى الفترة ما بين ١٩٣٦ إلى أواخر الأربعينيات .

الأشخاص من جلستهم ويقفون فى صفوف منتظمة، ويؤدون حركات متكررة.... ولما سألت عن هذه الحركات...عرفت أنها «الصلاة»...

كنت أحرص على المجئ إلى هذا المكان ساعات من كل يوم لأشاهد هذا المنظر».

ثم سرعان ما تبتسم وهى تكمل رسم صورة عالمها النفسى بتحديد أكثر وهى تقول:

«لقد شدتنى حركاتهم، ونظامهم، وسكونهم فى الصلاة.... فبدأت أفعل مثلهم وأنا أقف من بعيد[1].. فلقد كنت أشعر براحة وطمأنينة لهذه الصلاة التى لم أكن أفهم بعد ما الذى يُقال فيها.... كما كنت أشعر بهذه الراحة والطمأنينة أيضاً كلما دخلت هذا المكان».

وتصمت للحظات لتؤكد بعدها على ماتريد توضيحه بقوة لاتسمح بأى تصورات أخرى أن تشوبها فتقول:

«وعرفت أن هؤلاء الأشخاص هم «المسلمون» الذين يدينون بدين يسمى «الإسلام» الذى سمعت عنه لأول مرة... ودفعتنى رغبة كامنة فى نفسى أن أعرف المزيد عن هذا الإسلام الذى خفقت له جوارحى وأحببته...فقد شعرت بأنى أحيا حياة جديدة لم أعرفها من قبل».

وترتفع حرارة الكلمات التى تنطق بها لتعبر عمّا تريد قوله بحماس وإصرار عندما قالت:

«صممت على أن أعيش حياة المسلمين... فأعلنت إسلامى على يد أحد الشيوخ، وكان يجلس الناس حوله فى حلقات...ويبدو أنه كان يلاحظ الحيرة على وجهى... فأخذ بيدى وانتحى بى جانباً... وكان قد فرغ لتوه من هذه الجلسة التى يعتادها كل يوم.... وردد أمامى كلمات، وطلب منى

(١) لنا أن نتأمل نحن معشر المسلمين مدى سحر الصلاة الذى جذب من هم على غير ملة الإسلام.

أن أكررها وراءه. . . . ولم أنس هذه الكلمات حتى اليوم. . . . قولى: أشهد أن لا إله إلا الله. . . وأشهد أن محمداً رسول الله. . وهكذا أعلنت إسلامى وأنا سعيدة جداً»[1].

وشعرت السيدة الألمانية بالطمأنينة والسكينة فى نفسها، فقامت بتغير اسمها من «كارولا» إلى «سكينة» وصارت تعتز بكونها مسلمة. .

إنها تتذكر تلك الأيام التى عاشتها وهى تولد من جديد فى دنيا أخرى كدنيا الأحلام على حد تعبيرها. . . إنها تقارن بين حياة الناس فى الغرب وما يتوافر لهم من وسائل الراحة والمتعة، وبرغم ذلك لا تجدهم سعداء فى حين تذهل عندما ترى أناساً بسطاء فى معيشتهم يعيشون حياة أقرب إلى الحياة البدائية، ولكنهم سعداء فى حياتهم. . . اقتربت منهم أكثر لتعرف السبب. . فوجدت أنهم يعيشون مع الله دائماً. . يجتمعون عند الصلاة. . يؤدون شعائر دينهم برضاً واقتناع. . يتوكلون على الله فى تسيير أمورهم بعد أن يفعلوا ما عليهم من واجبات. . . . أما فى الغرب فلم تر هذه المعانى والمظاهر الإيمانية التى تشعر بها الآن، فتعبر عن ذلك قائلة:

«فى الغرب طغت المادة على كل شئ حتى صارت حياة كل الناس، فأصبحوا جسداً بلا روح. .وكنت مثلهم من قبل. . أعيش جسداً بلا روح. . . . .واليوم أصبحت أعيش حياة تختلف تماماً. . . حياة لها قيمة ومعنى».

وتختتم «كارولا» التى صار اسمها «سكينة» حديثها فى نبرة أسى ممزوجة بأمل قائلة:

«فى الغرب لا يعرف الناس عن هذا الدين الحنيف إلا الصورة المشوهة المغلوطة التى يرسمها أعداء الإسلام. . . ولكن من يعرف الإسلام عن قرب يدرك عظمته، ولابد أن يعرف قدره مستقبلا».

---

(١) جريدة اللواء الإسلامى فى أحد اعدادها الأسبوعية من حديث اجراه الزميل محمد صبرة (بتصرف)

وبعد. . . . فهذه رحلة إيمانية كان الدليل فيها إلى دين الحق والهدى النفسُ الصافية التى تحررت من شوائب العناد والتمسك بالباطل، سعياً وراء الحقيقة التى وجدتها فى الإسلام وحده[1].

* * *

مع «كارولين» أشهر لاعبة سلة فى مصر

كانت «كارولين» دائماً تجلس إلى والدتها وتتساءل:

«لماذا نعتنق الدين المسيحى، وغيرنا يعتنق الدين الإسلامى؟

هكذا كانت أمها تتساءل معها فيما يساورها من رغبة فى البحث عن الحقيقة لمعرفة مَنِ الذى يسير على الطريق الصحيح. . . . بل كانت تشجع ابنتها فى البحث عن تلك الحقيقة. . . فقد كانت والدتها قد سبقتها إلى تلك الفكرة منذ أكثر من عامين حيث قرأت معانى القرآن الكريم باللغة الفرنسية، لأنها لا تجيد القراءة باللغة العربية. . كما كانت تقرأ كثير من الكتب عن الإسلام. . . . . وكانت الابنة «كارولين» تحصل منها على بعض هذه الكتب وتقرؤها بتمعن شديد.

منذ ذلك الحين بدأت «كارولين» تنقطع عن زيارة الكنيسة، ولم تجد فى ذلك أى صعوبة، لأنها طوال حياتها لم تكن مواظبة على الذهاب إليها كباقى صديقاتها المسيحيات.

وعن لحظة اهتدائها إلى الإسلام كدين قد تغلغل فى وجدانها وفكرها تقول:

«فى يوم شتوى دافئ تتجلى فيه قدرة الله تعالى على بزوغ الشمس بإشراق ممتع، ويشاء الله أن يكون يوم ٧ يناير، وهو يوافق عيد القيامة عند المسيحيين. . . شعرت برغبة جارفة لإشهار إسلامى بعد أن قرأت أجزاءً من

(١) من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان: اسماء أبو بكر الجهينى (بتصرف).

القرآن الكريم وبعض كتب التفسير. . . من لحظتها قررت بدون أى تردد الذهاب إلى مديرية الأمن بالإسكندرية، وبعدها لمكتب الشهر العقارى، مع أمى، وذلك للقيام بإجراءات إشهار إسلامنا»[1].

وتذكر «كارولين» أنها وجدت صعوبات جمة تمثلت فى معارضة والدها وشقيقها على إسلامها هى ووالدتها. . . . ولكنها لم تأبه لها، حيث انفصلت والدتها عن والدها طبقاً للشريعة الإسلامية، وعاشت مع والدتها فى منزل خاص بها. . . .

لقد تغلغل الإيمان فى وجدان «كارولين» وازداد تمسكها بدين الإسلام كعقيدة، وتسعى للمزيد من المعرفة بمبادئه وتعاليمه، فتكثر من قراءة الكتب الإسلامية، وخصوصاً كتب التفسير القرآنى. . . وعندما تُسْأل عن هذا النهم لمثل تلك النوعية من القراءة تقول:

«إننى أعتزم أن أعمل جاهدة على معرفة كل شئ متعلق بالدين الإسلامى لكيلا أفعل شيئاً ـ مهما كان صغيراً ـ يتعارض مع تعاليم الإسلام بدون أن أدرى».

* * *

(١) يلاحظ أن هناك تصرفا فى التعابير التى وردت فى المرجع السابق ذكره فى محاولة منا لتسليط الضوء على الجوانب الخفية وراء اعتناق الإسلام ممن كانوا لا يدينون بالإسلام سلفاً.

الفصل الثانى

مواقف كانت سبب إسلامهن

* مع الدانمركية «ماريانا» التي صرخت فرحة عندما شعرت بتيار خفى يشد من عصب قدميها المشلولتين ثم تنهض وتسير.
* مع البريطانية «ميشيل» التي رأت فى منامها أنها تَرْجُمُ الشيطان، فأسرعت فى الصباح ونطقت بالشهادتين.
* مع الألمانية «موسلر» التى توسل إليها طفلها فى ضراعة وفى عينيه دموع: «يا أمى أريد أن أكون مسلماً».!
* مع اليونانية «فيالو بطرس» التى ناقشت راعى الكنيسة فى الديانة النصرانية فطردها من القاعة.
* .... و مواقف أخرى.

مع السيدة «ماريانا» الدانمركية أو «مريم»

تأثرت بشقيق زوجها[1] الذى كان يُكثر من زيارة شقيقه فى «الدانمرك»، وذلك من خلال تأديته للصلاة، حيث ترك عندها إحساساً وانطباعاً عميقاً دفعها إلى النهج على خطاه، وبالتالى اعتنقت الإسلام، وصارت عضوا بجمعية الشابات المسلمات فى «كوبنهاجن» العاصمة الدانمركية.

وتقارن بين حالتها قبل الإسلام وبعده فتقول:

«قبل إسلامى كان لباسى حسب تقاليد الحضارة الغربية «البنطال، القميص، الفستان).. أما اليوم فإننى أرتدى الجلباب الشرعى والحجاب الذى لا يفارقنى.... كما كنت آكل الأشياء المحرمة كلحم الخنزير... أما الآن فقد أدركت سر التحريم، وامتنعت عنه نهائياً، حيث كنت أشعر بألم فى البطن (مغص) بعد تناول وجبة لحم الخنزير، وهذا الألم كان يصاحبنى يومياً بعد الغروب».

ثم تابعت حديثها عن دافع إسلامها قائلة:

«لقد قادنى اعتقادى بأن الإنسان عندما يموت سيُعاقب، والمسلم سيذهب إلى الجنة، فرغبة منى فى الذهاب إلى الجنة بعد الموت أحببت الإسلام، وأسلمت طمعاً فى الجنة وثوابها، ولقد تأثرت بشقيق زوجى الذى كان يكثر من زيارتنا فى «الدانمرك» وذلك من خلال تأديته للصلاة».

(١) يلاحظ أنه كثيراً ما نجد بعض الأزواج المسلمين لا يهتمون كثيراً بالتزام زوجاتهم الأجنبيات وباعتناقهن للإسلام... وهذه السيدة التى نحن بصددها مثال حى على ذلك، فلقد كان تأثرها الأول بشقيق زوجها.

وعن نظرة أهل الغرب للإسلام تقول:

«الأوربيون ينظرون للإسلام نظرة مملوءة بالحقد والعصبية، وكأن فى آذانهم وقراً عن سماع تعاليم الإسلام وأعينهم قد عميت عن رؤية ما يأتى به الإسلام... ولكنى سأبذل كل جهدى لدعوة من أستطيع دعوته إلى الإسلام من فتيات ونساء الدانمرك أثناء وجودى هناك».

وتحكى «ماريانا» أو «مريم» ـ كما تحب أن تُدْعَى به ـ قصة غريبة مرت بها، وهى لمهندسة «دانمركية» تعرفها قد أسلمت وشفيت من الشلل وهى تؤدى صلاتها فتقول:

«هناك مهندسة «دانمركية» كانت قد تزوجت من جندى إنجليزى، وكانت تسافر معه باستمرار... وتوفى الزوج فى إحدى المعارك.... وبينما كانت تسوق سيارتها، وقع لها حادث أدى إلى شللها تماماً، فأمضت عشر سنوات مُقْعَدَةً فى المستشفى... وفى أثناء تلك الفترة أخذت تطالع الكتب والمجلات ولفت نظرها نسخة من معانى القرآن الكريم مترجمة، فشعرت بارتياح لما قرأته منه، وطلبت بإلحاح شديد من جيرانها الأتراك المجاورين لها أثناء زيارتهم لها بأن يأخذوها إلى المسجد لتتعرف أكثر على الإسلام وتعاليمه... وفعلاً تم حملها على أكتاف المسلمين إلى هناك، ودخلت المسجد، وأدت الصلاة مع المصليات بعد أن أعلنت إسلامها...

والشئ الغريب أنه أثناء تأديتها للصلاة وهى جالسة شعرت بشئ خفى يدفع بظهرها ويُسَوِّى من اعوجاجه، حتى استقام ظهرها.. كما شعرت أثناء ذلك بأن هناك تياراً خفياً يشد من عصب قدميها المشلولتين.. عندئذ صرخت بانفعال فرحة ودهشة عما اعتراها من تحسن مفاجئ فى حالتها..

ولم يقتنع أحد بحديثها إلا عندما رأوها وهى تنهض وتسير على قدميها وكأنها لم تكن مشلولة من قبل»[١].

وتروى «مريم» قصة أخرى حدثت مع شقيقها الذى كان يحاول أن يطلع على القرآن ويُمسك به، فى حين كان زوجها يمنعه من ذلك لأنه غير مسلم، فعليه أن يتطهر أولا حتى يمس القرآن.

وحدث أن انتهز شقيقها فرصة غياب زوجها فأمسك به بالإبهام والسبابة من أصابع يديه، فما كان له إلا أن انكسر عظم أصبعيه المذكورين اللذين أمسك بهما القرآن الكريم، وذلك فى اليوم التالى عندما كان يمازح صديقاً له...

وتختتم حديثها قائلة: «إننى الآن أمضى أكثر أوقاتى فى المساجد والمراكز الإسلامية أدعو فيها إلى الإسلام، وأُحببه إلى نفوس الآخرين»[٢].

* * *

(١) كتبت قصتها صحف «الدانمرك» ومختلف وسائل الإعلام هناك، وأجريت معها مقابلات عديدة لتروى قصتها الغريبة، وقد عزت ذلك إلى فضل الله واعتناقها للإسلام الذى تعتز به، وتسمت باسم إسلامى هو «خديجة».

(٢) المجلة العربية مايو ١٩٨٧ (بتصرف).

مع السيدة البريطانية «ميشيل» أو «جميلة»

في بريطانيا... تعرفت «ميشيل» على شاب سورى مسلم، كان زميلاً لها فى العمل.. دعاها إلى وطنه، فسافرت إلى دمشق، وهناك استمعت إلى الأذان لأول مرة.. كانت لاتدرى لماذا كانت تستعيده دائماً وهى لا تفهم معنى كلماته.

وتسترجع «ميشيل» ذكريات حبيسة فى نفسها، فتذكر أنها كانت تُشارك إحدى زميلاتها فى العمل الحديث فى موضوعات الأديان، وكانت المناقشة تستغرق ساعات طويلة، ولاحظت زميلتها ـ وقت ذاك ـ أن آراءَها تأخذ دائماً جانب الإسلام، فتتعجب لهذا.. وعن سبب هذا الميل للإسلام تصرح «ميشيل» فتقول:

«كنت أرى أن آراء الإسلام أكثر منطقية، وأنها صريحة وواضحة وقريبة من الطبيعة البشرية».

ثم تمضى فتروى قصتها قائلة:

«ذات مساء كنت أقرأ كتاباً عنوانه: «كل ما يجب أن تعرفه عن الإسلام والمسلمين» للأمريكية «سوزان جنيف».. وكانت آخر صفحة قرأتها عن شعائر الحج، وشعرتُ أنى أضع قدمى عند أول الطريق، وأخذت أبكى إلى أن غلبنى النوم.... ورأيت فى منامى أنى أَرْجُم الشيطان، وتنبهتُ فى الصباح على رنين «التليفون» وكان المتحدث هو زوجى السابق «أمين»..

وأخذت أبكى وأرجوه أن يأتى ويصحبنى إلى المسجد لأنى أريد أن أنطق بالشهادتين أمام مسلم متدين. . . لقد رجمتُ الشيطان وانتصرتُ عليه، ولن أسمح له بأن ينتصر علىَّ مرة أخرى».

وقد كان. . واغتسلت «ميشيل» ونطقت بالشهادتين، وأصبح اسمها «جميلة» وارتدت الزىَّ الإسلامىَّ، وتعلمت الصلاة، وبدأت تقرأ القرآن الكريم. . . ويعيد الإسلام الوئام إلى القلبين اللذين فرق بينهما العناد. . . وتقترن «جميلة» «بأمين» الشاب الذى طلبت الطلاق منه يوماً، لأنها لم تفهم حقيقة سلوكه. . . . . وتبتسم وهى تستعيد كلماته لها بعد إسلامها. . . «أنتِ صِرْتِ مسلمة، وأنا عدتُ إلى تدينى، فلنعد زوجين».

وتتذكر «جميلة» عندما سأله شيخ المسجد عن مهرها الشرعى، فقال له: «سأساعدها على حفظ سورة من القرآن». . .وبالفعل ساعدها «أمين» وحفظت سورة «التين»، وبدأت تتعلم اللغة العربية لتقرأ القرآن الكريم وتفهم معانيه. .وتجرى دموع «جميلة» على وجهها وهى وتقول:

«أشعر كأنَّ أحداً قد غسل عيونى ثم أعادهما إلىَّ مرة أخرى. . لقد تغير العالم فى نظرى. . .هذه دنيا جديدة وحياة مختلفة». .

وتبعث «جميلة» برسالة إلى المرأة فى البلاد الإسلامية تقول فيها:

«يجب أن تعرف المرأة المسلمة أن حرية المرأة فى أوربا ليست حرية حقيقية، فليس لها حقوق متساوية فى الأجر والعمل مثل الرجل. . كما أن الرجل هنا لا ينظر إلى المرأة نظرة تقدير واحترام. . .هو فقط ينظر إلى جمالها وفتنتها، ولا يفكر فيها إلا كشريكة فى الفراش!

لقد أعطى الإسلام المرأة حقوقها الكاملة، وكرم إنسانيتها منذ أربعة عشر قرناً، فى حين أنها لم تحصل على بعض هذه الحقوق فى مجتمعاتنا الغربية

إلا فى هذا القرن الحالى... وعلى المرأة المسلمة ألا تنظر إلى الغرب بحثا عن حريتها، بل أدعوها إلى النظر فى تعاليم الإسلام وقيمه، ففيها الحرية والكرامة الحقيقية للمرأة».

وهكذا لم تكتفِ «جميلة» بإسلامها، بل تدعو المرأة المسلمة ذاتها إلى التمسك بتعاليم دينها وقيمه.

* * *

مع السيدة الألمانية «أمينة موسلر»

نَشَأَتْ فى «دير» ومن ثم فقد تعودت أن تنظر إلى الحياة من زاوية الدين، ولا سيما أنها قد نشأت فى بيئة متدينة متمسكة بالعقيدة المسيحية.

ولكن حدث فى حياتها ـ فجأة ـ موقف غريب لا تنساه أبداً، وتذكره تماماً، فهو أمام مخيليتها حاضِر لا يُفارقها كان كما تروى قائلة:

«ذات يوم سمعتُ ولدى الصغير يتوسل إلىَّ فى ضراعة وفى عينيه دموع: «يا أمى لا أريد أن أكون مسيحيّاً بعد الآن، إننى أريد أن أكون مسلماً، وأنْتِ أيضاً يا أمى، يجب أن تنضمى معى إلى هذا الدين الجديد».

وتعقب على ماحدث فتقول:

«كانت تلك هى المرة الأولى التى شعرتُ فيها بوجوب معرفة الإسلام، فاتصلتُ بإمام مسجد برلين الذى شرح لى هذا الدين.. وأننى ما لبثت أن اقتنعت أن الإسلام بالفعل هو الدين الحق الذى أرتضيه، فقد كان الإيمان بالثالوث الذى تدعو إليه المسيحية أمراً مستحيلاً بالنسبة لى، حتى عندما كنت شابة فى العشرين من عمرى.... غير أننى ـ بعد دراسة الإسلام ـ اقتنعتُ تماماً أنه لايمكن أن يقبل العقل الصحيح أموراً مثل تقديس البابا، أو الاعتراف بسلطاته العليا، أو بعملية التعميد المسيحية، وما شاكَلَ ذلك من عقائد.. وهكذا أصبحت مسلمة».

ويشرق وجهها بابتسامة عَذْبَة وهى تقول:

«الآن.. ما أسعدني وأنا جدة! إذْ أستطيع أن أفاخر بأن حفيدى وُلِدَ مسلماً، لأن أبواه مُسْلِمِين، والله يهدى من يشاء إلى طريق مستقيم».

***

مع السيدة «هايدى محمود خليل»

بكل المقاييس المادية لم يكن ينقصها شئ، فأسرتها من أثرياء صعيد مصر، وزوجها واحد من مشاهير أعلام الطب وأمراض النساء كانت تتمتع بأسباب السعادة الدنيوية، ومع هذا تستشعر ـ كلما تحرك لها هاجس الإيمان الروحى ـ أنها محرومة من كل شئ، فاقدة الإحساس بالحياة وبالناس!

كانت تعلم حجم المضايقات التى سوف تواجهها إن قامت بتنفيذ ما يجول بنفسها، ولكنها فى الوقت ذاته كانت توقن بمدى حجم السكينة والطمأنينة النفسية التى ستنعم بها مع إيمان روحها بما ارتضته ملاذاً لها.

وقررت أن تشهر إسلامها، ونسيت كل شئ فى سبيل ذلك.. نسيت أولادها الثلاثة لتعيش فى معية الله، برغم محاولات أهلها تحطيم أعصابها بأصوات أبنائها وهم يستصرخون من آلام التنكيل بهم لكى تعود إليهم وتبتعد عن سبيل الرشد الذى هداها الله إليه.

تتحدث عن رحلة إيمانها وهى تسترجع صورتها قبل أن تنعم بالإسلام فتقول:

«كنت أعيش فى أسرة شديدة التقاليد، كانت تحدد فكرها فى قالب من التدين الصارم الذى لا يسمح بالخروج على أبسط قواعده ومبادئه، غير أنه تدين سطحى وظاهرى إلى أقصى حد.... ومنذ عشرة أعوام وصل الخواء النفسى مداه، وفى هذه الظروف عايشتُ صوت القارئ الشيخ «عبد الباسط عبد الصمد»... كانت آيات القرآن الكريم تهزنى من الأعماق.

وفى هذه الفترة رأيت رؤيا غير مسبوقة. . . رأيتُ أننى أزور البيت الحرام وأطوف وأتوقف أمام حِجْرِ إسماعيل، وعندما أستيقظ أتساءل: يا إلهى! كيف أفعل هذا وأنا لم أكن مسلمة بعد. . . . . كيف أؤدى المناسك وأنا لا أعرف عنها شيئاً. . . بل الأعجب من ذلك أننى قرأت فى الرؤيا التالية بَعْضاً من آيات القرآن الكريم، ولم تملك نفسى إلا أن تبكى بكاءً حاراً. . .

ومرت فترة من الزمان لاحظتُ خلالها تغييراً واضحاً فى سلوكى، من ذلك اعتزالى الناس، وصار لدىَّ شوقٌ شديد إلى سماع القرآن الكريم. . وازداد تحشمى وتحجبى، وكثرت صداقاتى مع الأخوات المسلمات، مما أصبح الأمر بعده لا يحتمل الكتمان والتستر عليه، فقررت الإعلان عن إسلامى أمام الجميع».

ثم تصمت برهة وقد غامت عيناها خلف سحابة ألم تنذر بدموع لتقول:

«لن أتحدث عن المعاناة والحرب التى لاقيتها من أسرتى، وكيف أنهم قد حرمونى من أولادى الثلاثة، وأسمعونى أصواتهم وهم يستصرخون من آلام الضرب الواقع عليهم حتى أحن عليهم وأعود إليهم تاركة دينى الجديد. . ولكن يكفينى النعيم الذى أستشعره الآن»[1].

* * *

مع الكندية «جاكلين فيمات»

امرأة كندية عادية تقطن بولاية «كيباك». . . نشأت فى بيئة مسيحية متعصبة جداً، فقد كانت تُجْبَرُ على ممارسة الطقوس والشعائر المسيحية، وبرغم ذلك فإنها كانت بعيدة عن المسيحية أو أى دين. . فتتحدث عن تلك الفترة التى سبقت إسلامها قائلة:

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ١٥ / ١١ / ١٩٩١ (بتصرف).

«قبل أن أسلم كنت ملحدة كافرة بجميع الأديان، مع أننى من بيئة مسيحية متدينة جداً. . فأمى كانت متشددة: تجبرنى على ممارسة الطقوس المسيحية فبعثنى إلى الكنيسة للتعلم حيث بقيت فيها ست سنوات أتربى على أيدى خدمات المعبد، فكنت فى أثناء الدراسة مواظبة ومتفوقة، ولكن عند أوقات العبادة كنت مشاغبة وعنيدة، فكانت مديرة المدرسة تعزلنى عن بقية البنات عند ممارسة الشعائر حتى لا أفسد عقولهن، وتضعنى مع العابدات، فقد كنت مع صغر سنى لا أستسيغ الديانة المسيحية وأرى أن فيها أموراً غير منطقية لا يقبلها العقل والمنطق».

ولكى توضح ما تعنيه قالت:

«صحيح أننى قبلتُ «مريم» والمسيح، ولكن لم أقبل أنه ابن الله. . أو أن يتحول الله إلى رجل وينجب، وهو رب الوجود كله. . رب العالمين».

ولكن كيف حدث تحولها من مرحلة الإلحاد وعدم إيمانها بأية ديانة إلى مرحلة الإيمان بوجود الله الخالق لكل تلك الكائنات والمخلوقات؟!

زفرت زفرة حارة وهى تتذكر ذلك اليوم الذى أحدث انقلاباً حقيقياً فى حياتها كلها. . فتسعيده قائلة:

«كان ذلك يوم السادس والعشرين من أكتوبر ١٩٦٦. . وأذكر ذلك اليوم لأنه عزيز علىّ، فهو اليوم الذى تبنيتُ فيه طفلى الأول الذى كان عمره وقتها ثلاثة أشهر، حيث لم انجب اطفالاً مع رغبتى الملحة فيهم، فكنت عندما أقوم باستحمامه وتنظيفه أتساءل فى نفسى: هذا المخلوق الضعيف المسكين لايمكن أن يوجد بدون خالق له، ولكن من هو؟ وكيف هو؟. . . وظللت أرقب نموه وأفكر. . وكان هذا التفكير هو بداية رحلتى إلى الإيمان بالله أولا قبل الإيمان بديانة معينة».

ثم مضت مستطردة فتقول:

«وعندما كبر طفلى الذى تبنيته واحتجتُ إلى تعليمه صرت أتردد على المكتبة لاستعارة الكتب التى تفيدنى فى تعليمه.. فحدث ذات مرة أن وقع بصرى على قسم الديانات، فاتجهت إله أُقَلِّبُ فى صفوفه إلى أن لفت نظرى جزء من القرآن مترجم للإنجليزية، فوجدت نفسى أطالعه بدافع من حُب الاستطلاع والفضول لا أكثر، فلم أكن أتصور حينئذ ـ أنى سأرسى على بر الإسلام.. ولكن الذى حدث أننى شعرت براحة وميل لما أُطالعه، حتى آمنت بكل شئ يدعو إليه هذا الدين، فلم أجد بداً من اعتناقه عن اقتناع تام».

واعتنقت «جاكلين فيمات» الإسلام بعد تجربة خاضها عقلها الباحث عن الحقيقة.. ونفسها التواقة إلى الإيمان، لما تسكن إليه من طمأنينة... وكان لابد من رد فعل من بيئتها المسيحية المتشددة فعن ذلك تقول:

«وجدتُ مقاومة كبيرة من أمى.. وكان لى أصدقاء من أتباع يهود، فقاطعونى.. ومع أنهم يعادون المسيحيين فقد تمنوا لو بقيت مسيحية ولم أعتنق الإسلام!».

ولم يثنيها موقف الأهل والأصدقاء منها بعد اعتناقها للإسلام الذى آمنت به، وترى أن له مستقبلاً أفضل بعد انتشاره فى العالم، فتعبر عن نظرتها تلك بقولها:

«إن المستقبل للإسلام، فكلما تقدم الزمان ازداد عدد المسلمين، فالمسألة مسألة وقت، وهذا الوقت يقترب، فأنا أتذكر أنه منذ خمسة عشر عاماً لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن الإسلام.: واليوم لا أحد يجهل الإسلام أجل.. أعتقد أنه لن يمضى عقد آخر حتى يكون الإسلام أهم ديانة فى شمال أمريكا، إن لم يكن فى العالم أجمع».

* * *

مع السيدة اليونانية «فيانو بطرس»

رنّتْ بعينيها إلى الماضى البعيد.. منذ أن أسلمت أمها، فقد كان هذا عاملاً مهما دفعها إلى اعتناق الإسلام، فقالت والراحة والهدوء تغمر نفسها:

«فى الواقع أننى منذ صغرى وحُب الإسلام والمسلمين يجرى فى دمى، وخصوصاً أن والدتى قد أسلمت منذ زمن بعيد، وكذلك أولاد خالتى.... فقد كنت أجد فرقاً كبيراً بين الإسلام والمسيحية من جهة قوة العقيدة المتأصلة فى النفس، والتى تظهر واضحة فى تمسك المسلمين بشعائرهم الدينية، وليس أدل على هذا من وقوفهم بين يدى الله - سبحانه وتعالى - فى اليوم خمس مرات.... فى حين أن المسيحيين لايذكرون الله، ولا يفكرون فى الذهاب إلى الكنيسة إلا يوم الأحد.... ومن هنا أحسست بالفارق الكبير بين الديانتين... وعرفت ما للإسلام من قوة ومكانة فى النفوس لاينكرها إلا كل مكابر».

ثم استطردت تقول وهى تضحك فى سخرية:

«إنى لأذكر تلك الحادثة التى حدثت معى وأضحك لها من كل نفسى أسّى، فقد حدث أن كنت فى إحدى المرات فى جمعية قبطية، وكان هناك راعى الكنيسة يلقى موعظة، فوجدته يقول فى أثناء حديثه: أن عيسى ابن الله، وأخذ يقدم الأدلة والبراهين على ذلك، ولكن عقلى لم يقبل هذه

الترهات، وأيقنت أنها أباطيل مكذوبة، فلم أتمالك نفسى، وقلت له: إن عيسى ليس ابن الله، لأن الله واحد وليس له ولد، فصعق الراعى وطردنى من القاعة...».

وسرحت قليلاً لتقول بعد ذلك:

«منذ هذا الوقت وأنا أفكر جدياً فى اعتناق الإسلام.. وقد ساعدنى على ذلك أنه كانت تلازمنى منذ صغرى ظاهرة قوية، وهى أننى كنت أميل إلى سماع القرآن الكريم، فأحس بقوة خفية تدفعنى إلا الإنصات لتلاوته بكل جوارحى، ولهذا فلقد أثرت آيات القرآن فى نفسى، بما تحمل فى معانيها من المبادئ السامية، والمثل العليا، والتعاليم الرشيدة..... نعم الذى يستمع إلى آيات القرآن يجدها قد حوت كل شئ فى هذه الحياة، فلم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرتها... فهل بعد هذا دليل على صدق تلك الرسالة العظيمة التى جاءت على لسان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟».

وعندما سُئِلتَ عن سبب اختيارها لاسم «هدى منصور» الذى تسمت به بعد إشهار إسلامها قالت:

«لقد اخترتُ هذا الاسم بعد أن هدانى الله وشرح صدرى وقلبى إلى نور الحق، فانتصرتُ بقوة إيمانى على ظلمة الشك وترهات الباطل، فقد وقف فى وجهى كل من يحيطون بى، وحاولوا منعى بكل وسيلة، ولكنى كنت مدفوعة بقوة لا أستطيع ردها.. قوة الله التى جعلتنى منصورة عليهم... ولذا لم أتردد مطلقاً فى التيمن بهذا الاسم ليكون نبراساً لى عند الشدائد والملمات، وحافزاً لى على السير فى طريق الهدى والرشاد»[1].

***

(١) يذكر محدثها أنها كانت تتحدث بقوة واعتزاز، جعلته يشعر بقوة إسلامها وعُمق إيمانها، ذلك الإيمان الذى يشع من عينيها ومن كل كيانها... فهل يتذكر أولى الألباب من الذين يعاندون أنفسهم فى مكابرة كاذبة؟!.

مع السيدة الإنجليزية « مافيز . ب . جولى »

نشأت بحكم المولد فى بيئة مسيحية، والتحقت منذ طفولتها بمدرسة تابعة للكنيسة، وبرغم ذلك فإنها لم تكن تتحمس للمسيحية، مما كان يدفعها إلى التفكير فى البحث عن عقيدة تؤمن بها عن اقتناع، ولذا ظلت ملحدة لاتؤمن بدين لا يتوافق مع منطق العقل الذى به تقيس الأمور، ولاسيما أنها وجدت نفسها أمام أشياء كثيرة لا تقتنع بها. . . .

وتعيش «مافيز» مرحلة البحث عن عقيدة تؤمن بها. . . فتتحدث عن تلك المرحلة فتقول:

«شرعت فى دراسة الأديان الرئيسية فى العالم. . درستُ البوذية، فوجدت أنها وإن كانت تهدف إلى الخير فإنها تفتقر إلى التفاصيل، وينقصها وضوح الاتجاه. . . .

ودرست الهندوسية، ورأيتنى أمام مئات الآلهة لاثلاثة فقط، ولكل منها قصة وهمية مثيرة لا يمكننى قبولها. . . . ثم قرأت اليهودية فى العهد القديم، وخرجت من قراءاتى بأنها تنقصها المقومات التى أرى أنها لابد من توافرها فى الدين. . . . ودرست علم الروحانيات، ولكن بدون جدوى أيضاً».

ثم تضيف قائلة:

«وحدث ذات يوم أن أرسلت بمقال إلى إحدى الصحف المحلية أنتقد فيه إحدى النظريات الدينية فى المسيحية، وهو تأليه المسيح كما ورد فى الإنجيل. . . وكان أن اتصل بى بعض القراء من بينهم قارئ مسلم، كانت

بداية تعارفى عليه بداية لدراستى للإسلام... وكنا كلما ناقشنا جانباً منه أشعر بانهيار رغبتى فى مقاومته، حتى اقتنعت تدريجيّاً بصحة ما جاء به الإسلام، وآمنت بأن أرقى الحكومات فى أواخر القرن العشرين لم تستطع أن ترقى بتشريعاتها إلى ما يفوق رسالة الإسلام بتشريعاته، بل إنها تقتبس أنظمتها باستمرار من النظام الإسلامى...».

وتصمت برهة لتستطرد فى حديثها فتقول:

«وبدأتُ فى قراءة القرآن، وبدا لى للوهلة الأولى عدم استيعابى لما فيه، غير أننى وجدته يصل إلى القلب رويداً رويداً، ومع الأيام أصبح جزءاً منى لا يفارقنى.. وكثيراً ماكان يشغل فكرى هذا التساؤل العجيب:

«كيف يعقل أن يأتى هذا الهدى الكامل للإنسانية بطريق البشر المتصفين بالنقص فى حين لم يقل المسلمون قط أن محمداً صلى الله عليه وسلمْ فوق البشر»... وتذكر السيدة «مافيز» أنها تعرفت بعد ذلك على عدد من المسلمين، وقابلت بعض السيدات الإنجليزيات اللاتى شرح الله قلوبهن للإسلام، فبذلن قصارى جهودهن لمعاونتها وإطلاعها على مزيد من المعلومات عن هٰذا الدين الحنيف...

وكان يشغلها مع ذلك أسئلة كثيرة تراودها فى تلك الفترة، مثل: لماذا لاينزل الوحى على رسُل فى القرن العشرين؟

وكانت الإجابة تجدها فى القرآن الكريم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين... وهكذا كانت تجد الإجابات على تساؤلاتها فى القرآن المجيد الذى وجدته كتاباً شاملاً بحق جاء تبياناً لكل شئ، ومصدقاً.لما بين أيدينا... وهو باقٍ ثابت إلى الأبد، بلا نَسْخٍ أو عبث، كما يقرر القرآن ذاته ويؤكده الواقع الفعلى.

وتذكر أيضاً أنها كانت متأثرة بما يأخذه غير المسلمين على الإسلام من إباحة تعدد الزوجات... ثم اقتنعت أخيراً أن هذه الإباحة فى الحدود الضيقة

المقررة، بل إنها علاج لما يجرى الآن فى الغرب من زيادة الاتصالات السرية بين الجنسين.... كما أيقنت - أنه بعد الحروب بصفة خاصة يصبح عدد النساء فى سن معينة يفوق كثيراً عدد الرجال، ويستتبع ذلك أن نسبة غير قليلة منهن لا تجد فرصة للزواج... فهل خلقهن الله لمعاناة هذا الحرمان ؟!

إنها مازالت تذكر ذلك البرنامج الإذاعى «سيدى العزيز» الذى سمعت فيه يوماً فتاة إنجليزية تطالب بتشريع يبيح تعدد الزوجات.... وقالت إنها تفضل العيش كزوجة أخرى على حياة العانس الموحشة التى يبدو أنها كتبت عليها.

ثم تقطع هذه القضية بقولها: « لقد وجدتُ أنه ليس فى الإسلام مايلزم بتعدد الزوجات إلا عندما تدعو إليه ضرورات الحياة...».

ومما تذكره السيدة «مافيز» أنها سألت القارئ المسلم - الذى تعرفت عليه، وكان بداية معرفتها بالإسلام كما سبق أن ذكرت:

« ولماذا الصلاة خمس مرات فى اليوم... لاشك أن هذا سيجعلها مجرد تقليد عادى لا معنى له؟

وكانت إجابته حاسمة لتساؤلى:

«وماذا عن ممارسة عزف الموسيقى؟ ألا تقضين كل يوم نصف ساعة فى تكرار هذه المقامات الموسيقية سواء نالت منك بسحرها أو لم تنل؟.. لاشك أنها ستفقد جمالها إذا أصبحت مجرد عادة.. إن تفكيرنا فيما نؤديه هو الذى يجعله أعمق أثراً، وحتى فى حالة الموسيقى فإن مجرد العزف بغير تفكير أوقع أثراً فى النفس من الامتناع عن العزف، وهكذا الشأن فى الصلاة».

وتعلق الأخت المؤمنة «مافيز» قائلة:

«كانت مقارنته وحجته حاسمة لى، فكل من يدرس الموسيقى يدرك هذه الحقيقة - خاصة إذا علمنا أن الصلاة فى الإسلام لا يفيد منها إلا من يقيمها، لأن الله غنىٌ عن العالمين، ومن هنا بدأت نفسى تطمئن تدريجياً إلى الحق

الذى جاءت به تعاليم الإسلام، فأعلنت إيمانى واعتناقى إياه. . . لاعن عاطفة خاطفة مؤقتة إلى حين، وإنما عن اقتناع كامل، ودراسة واعية مستفيضة، وتفكير دائب قرابة عامين. . . فلم أجد أمامى إلا أن أسلك هذا السبيل طارحة كل العواطف الأخرى التى كانت تشدنى شداً إلى الطريق المضاد، فالحمد لله رب العالمين».

***

الآنسة الكندية «ليز سانت بيير»[١]

نشأت نشأة كاثوليكية فى بيئة ريفية حيث تسكن أسرتها فى مزرعة بعيدة عما يجرى فى المدن. . . وكان والداها يصحبانها إلى الكنيسة كل يوم أحد كأى طفلة فى عائلة متمسكة بدينها. .

وعندما بلغت من العمر سن الرابعة عشرة ونضج عقلها وتفكيرها كثرت فى ذهنها تساؤلات عن الدين والنفس وعن ذلك تعبر بقولها:

«بدأت حيرتى فى سن الرابعة عشرة حين كثرت فى ذهنى أسئلة لم أجد لها إجابة يمكن أن يتقبلها عقلى، سواء عن النفس أو الدين المسيحى الذى أنتسبُ إليه. . . . وقررت حين ذاك الانقطاع عن الذهاب إلى الكنيسة كلية. . . واستمرت هذه الحال زهاء السنوات الثلاث، وحين بلغت حوالى السابعة عشرة من عمرى قمت بمحاولة أخرى للرجوع إلى الكنيسة، عسى أن يتغير الحال، وللأسف لم أجد إجابة مقنعة للأسئلة التى مازالت تبحث عن إجابة شافية».

لقد كانت الأسئلة التى تدور فى نفس «ليز» ترتبط بعلاقة الإنسان بخالقه، وهل تحتاج تلك العلاقة إلى وسيط ـ كما هو معهود فى الكنيسة ـ لتعترف له بالأخطاء حتى يعطيها صك الغفران؟. . . . فتجيب قائلة:

«كنت أعتقد دائماً أن صلتى بالله لا تحتاج إلى إنسان وسيط أعترف له

---

(١) مجلة الدعوة عدد مايو ١٩٨١ (بتصرف).

بأخطائى، ويملك سلطة الغفران.. كذلك لم أؤمن يوماً بنظرية «التثليث» والتجسيد، فنظام الكون يؤكد أن هناك إلهاً واحداً لا ثلاثة، وإلا لاضطرب نظام الكون».

وعن صَلْب المسيح كتصور كَنَسِيٍّ أثار تساؤلها فتقول:

«... والشئ الآخر الذى أثار تساؤلى هو عدم قدرتى على مجرد تصور كيف يضحى أب بابنه[1] ليقتل على صليب، أو مجرد تقبل فكرة أن هذا القتل كان رحمة من أجل غفران ذنوب البشر جميعاً».

وفى عام ١٩٧٦ انتقلت «ليز» إلى مدينة «أوتاوا»[2]... واشتغلت بالتدريس.. وسكنت فى مبنى شرقى المدينة وكان يسكن فى الدور الأرضى سيدة كندية مسلمة تعرفت «ليز» بها، وارتبطت برباط صداقة معها مكنتها من أن تناقشها كثيراً فى أمر الأديان، ومنها دين الإسلام الذى وجدت فيه إجابات عن تساؤلاتها المتعددة التى طالما حيرتها.... وفى ذلك تقول:

«... ولدهشتى وجدت إجابات لكل الأسئلة التى حيرتنى وشغلتنى طوال حياتى... إجابات يتقبلها العقل سهلة واضحة تناسب طبيعة الحياة وقدرات العقل التى خُلقنا بها.... وأدركت فوراً أنى لم أكن على الطريق السليم، وقررت أن ازداد علماً بهذا الدين.. دين الإسلام، فبدأت فى البحث عن الكتب التى تتحدث عن الإسلام بصدق، وكنت أستشير صاحبتى وأناقشها فيما أقرأ».

وعن الإحساس الذى تشعر به تجاه هذا الدين الإسلامى، والتحول الذى طرأ عليها بالسكينة النفسية، والاطمئنان يوم اعتناقها للإسلام تقول:

«كنت أعلم فى نفسى أن هذا هو الدين الحق، بغض النظر عن الصراع الداخلى بين ما نشأت عليه وبين هذا التحول.... ولو أنى لا أتذكر جيداً

(١) المقصود هنا المسيح عليه السلام حسب المعتقد الكنسى.
(٢) العاصمة الكندية.

الرؤيا التى شاهدتها فى منامى فى هذه الأيام إلا أنى رأيت ملائكة فى ثياب بيضاء، وكانوا كثيرين حولى.. صاعدين إلى حيث أسكن يريدون أن يساعدونى.... وأذكر فى هذه الرؤيا أنى كنت أرى كثيرين غيرى يحتاجون إلى هذه المساعدة.

وكان اليوم الذى أعلنت فيه إسلامى يوماً جميلا أمضيته مع صدبقتى نقرأ ونتحدث عن الإسلام... يومها أحسست بالسلام النفسى، وبالطمأنينة التى غمرت روحى...

وإذا سألتنى عن التحول الذى طرأ على شخصيتى بعد اعتناقى للإسلام فأقول لك: إنى لم أتغير كثيراً، فالأشياء التى رفضتها ورفضها عقلى طوال حياتى كمسيحية جعلتنى مسلمة بدون أن أعرف... فقد كنت مسلمة بقلبى فأصبحت مسلمة بقلبى وعقلى وجوارحى...».

ثم تبتسم وقد فاضت عليها بارقة أمل عريضة وهى تتمنى فتقول:

«أتمنى أن يحصل على هذا الخير[1] كل إنسان يريد طريق الحق، لأنه الطريق السليم، لأنه ما أكثر الديانات التى يرتبط بها الناس، ولكن لايؤمنون بها».

ثم تستطرد قائلة:

«الحمد لله، لقد تبعنى فى إعتناق الإسلام أخى الأصغر «ميشيل» الذى كان شديد التدين، لدرجة أنه كان يأمل أن يصبح قسيساً كاثوليكياً... ولكن حين نصحته أن يقرأ ويدرس الديانات الأخرى قبل أن يتخذ هذا القرار عمل بنصيحتى، ولم يلبث أن تحول إلى الإسلام حين قرأ ترجمة لمعانى القرآن وتمعن فيه، حتى صارت حياته كلها متجهة إلى الله ورسوله».

وتختتم حديثها وهى تهز رأسها فى سعادة وارتياح بالغ قائلة:

«أستطيع أن أقول الآن: إنه ليس بينى وبين الله واسطة...».

* * *

(١) تقصد نعمة الإسلام واعتناقه.

مع الفتاة الأمريكية «هدى»

فتاة أمريكية ضاقت ذرعاً بماديات الغرب وجفاف المعاملة بين الناس، هَدَى الله قلبها إلى الإسلام، فأطلقت على نفسها اسم «هدى».... تتحدث عن قصة إسلامها فتقول:

«كنت أجلس مع بعض صديقاتى المسلمات اللاتى يدرسن فى أمريكا، وتطرق الحديث إلى الإسلام كدين يصلح لقيادة المجتمع الإنسانى فى وقت كثر فيه حديث الأوربيين والأمريكان عن أنه دين لا يصلح للقيادة، وأنه دين يحض على الإرهاب والعنف، خاصة فى أعقاب بعض الأحداث الدولية.

وبعد عودتى للمنزل عزمت على دراسة الإسلام، فأخذت فى التردد على المركز الإسلامى بـ «لوس أنجلوس» وهناك قرأت ترجمة معانى القرآن، واطلعتُ على بعض المؤلفات الإسلامية التى تتناول بعض الجوانب العقائدية والعبادات والمعاملات.. وفى ذات اليوم سمعتُ صوت المؤذن داخل المركز الإسلامى وهو يؤذن للصلاة، فهمت بعض الكلمات ولم أفهم معظمها، وبرغم ذلك أحسست أن زلزالاً ضخماً حدث فى قلبى، حيث شعرت أن ثمة قوة جديدة أخذت تُخاطب وجدانى، فأخذت انظر إلى المؤذن، ثم أخذت أراقب المصلين الذين كانوا من بلدان مختلفة، وأتعجب وأتساءل فى نفسى كيف تجمع كل هؤلاء واتحدت غايتهم برغم ما بينهم من تباعد فى الأوطان واختلاف فى النُّظُم والعادات».

ثم تضيف فى دهشة استغرقتها:

«أنا لم أعرف إلى الآن ماذا حدث فى ذلك اليوم، لم أعرف ذلك الشئ الذى دفعنى لمراقبة المصلين لمدة سبعة أيام، بعد ذلك اليوم كنت خلالها قد تغيرت تماماً، ووثقتُ صلتى بصديقاتى المسلمات، ثم قررتُ السفر لمصر لإشهار إسلامى، ولكسب المزيد من المعرفة الإسلامية».

وتتحدث «هدى» عن جوانب العظمة التى لمستها فى دين الإسلام، برغم حداثة عهدها به قائلة:

«أول ما شدنى صفاء العلاقة بين العبد وربه، فلا وساطة ولا محسوبية، ولا فَضْلَ لشخصٍ على آخر إلا بالتقوى، وباب العبادة مفتوح أمام الجميع بدون واسطة من أحد. . . . وما يتميز به من عقيدة التوحيد التى راقت فى نفسى وعقلى، وخصوصاً أن فكرة التثليث لم تدخل عقلى فى يوم من الأيام، فلا يمكن العقل والمنطق أن يقبل أن يكون الله ثلاثة.

إن «وحدانية» الخالق هى صوت الحق الذى يتردد داخل نفس كل داخل إنسان عاقل متعقل، فضلاً عن أنها الفطرة الحقَّة دون أن يعكرها فكر منحرف.

كما أعجبنى فى الإسلام انتظام أبنائه فى العبادات، خاصة الصلاة، حيث يقبل المسلمون عليها كل يوم خمس مرات بدون إجبار من أحد طاعة لله وخوفا منه، والذى يتضح ـ أيضاً ـ فى معاملاتهم فيما بينهم، واعتقادهم أن الله وحده هو الذى كفل لهم الرزق والحياة، وبيده الأمر كله».

وتستطرد فى حديثها وتقول:

«لقد أذهلتنى شدة حرص الإسلام على علاقة الزوج بزوجته، وبيان معايير الاختيار السليم، وأسس الحياة الزوجية نفسها لتكوين الأسرة التى تسودها المودَّةُ والأُلْفة.

والحقيقة أننى شعرت أن الأمريكان يتجنون كثيراً على الإسلام، خاصة فى الحديث عن وضع المرأة داخل المجتمع الإسلامى، والدور الذى تؤديه. .

أنا معجبة أشد الإعجاب بتقرير الإسلام أن دور المرأة وعملها الحقيقى هو فى المنزل، فلا تخرج للعمل إلا فى حالة حاجتها الملحة إلى هذا العمل الخارجى».

وتختم الفتاة الأمريكية الحديث بقولها:

«لقد ضقتُ بماديات الغرب، وجفاف المعاملة بين الناس، حتى فى الأسرة الواحدة التى تأخذها مشاغل الحياة بدون أن يشعرون بعضهم ببعض، فلا مكان للمشاعر إلا من باب المصلحة العامة، فى حين يحرص عليها الإسلام كقيمة فى حد ذاتها، وكفضيلة تقصد لذاتها».

* * *

مع السيدة الإسكتلندية «نانسى أتوال ماكلفى»

برغم أنها من أصلٍ إسكتلندى فإنها عاشت فى ولاية تكساس الأمريكية، حيث كان أبوها رَجُلَ أعمالٍ ناجحاً... إنها تذكر أيام طفولتها عندما اصطرعت أسرتها فى نقاشٍ مع القسيس ذات مرة عن مفهوم «الخطيئة الأولى»، فانتقلت الأسرة فى إثْرِها إلى كنيسة «الابسكوبال» بعد أن كانت تتبع الكنيسة «البرسبيتارية».

ومازالت فى ذكريات طفولتها مناقشات أمها التى كانت شديدة التدين، واسعة الثقافة...

كما تذكر أنه كان من دأبها أن تختلى فى أحضان الطبيعة كل مساء ترقب مغرب الشمس وانسدال الليل ومطلع النجوم، وهى تشعر بداخلها ـ وقتها ـ حيرة غامضة، وكأنها تبحث عن ذاتها... حتى التحقت بجامعة «تكساس»، فكان مما درسته الدين المقارن الذى تناول الإسلام بقبح وبصورة سيئة للغاية.

وبعد تخرجها أرادت أن تستزيد من ثقافتها الدينية، يدفعها إلى ذلك رغبتها فى معرفة حقيقة الكون الذى حولها.. وما الموت؟ وما الحياة؟ وماذا

بعد الموت؟ . . . واستهوتها النظرية الكبرى التى تؤكد الصلة بين عالم الغيب وعالم الشهود. . . وتوقفت كثيراً عند عقيدة «التثليث» وناقَشَتْ فيها قسيس الكنيسة التى تتبعها، ثم عديداً من القساوسة بعده، فكانت الإجابة دائما عند مرحلة معينة «إلى هنا وعليك أنْ تؤمنىْ فقط».

ولم يرتو غليلها، فانتظمت فى حضور دروس معبد يهودى، شجعها على ذلك حاخام المعبد الذى كان أوسع صدراً، وأسمح بالحوار، فدخلت فى الدين اليهودى، وكان مدخلها فلسفيّاً محضاً، فهذا دين لا يقول بالتثليث، ولكن بالتوحيد، ولكن لم تلبث أن شعرت بعد ممارسة لشعائرها أنها لم ترو غليلها. . . وعن ذلك تقول:

«الواقع أن الممارسة أسفرت أن اليهودية لم ترو غليلى، فشعرت أننى مارلت ظَمْأى لمعرفة الصلة بين الله والإنسان، فلم أستسغ فكرة الشعب المختار، ولا تجسيد الله سبحانه وتعالى فى قوالب إنسانية محدودة، وأحياناً غير مقبولة. . وفيما كنت أتلمس الطمأنينة الروحية فى اليهودية اصطدم عندما أجد أن الوعظ قد انحصر فى مرارة ما أصاب اليهود فى ألمانيا، والدعوة إلى الانتقام».

وبينما تحاول «نانسى» التعمق فى دراسة الديانات إذْ ساقتها الدراسة إلى أستاذ مسلم امريكى أدْرَكَ قَلَقَها، فسألها إنْ كانت قد اطلعت على القرآن. . . وهنا تذكرت أن الحاخام من سنوات سألها إن كانت اطلعت على القرآن. . . وزودها أستاذها بنسخة مترجمة لمعانى القرآن الكريم، وغيره من الكتب التى تتناول الإسلام بالفهم والإيضاح. . وقد لفت نظرها حينئذ رحابة صدر الأستاذ المسلم، وبشاشته، وطيبة قلبه، حيث لم يدفعها إلى أى اتجاه، ولاعاب عليها ماهى عليه، وإنما اكتفى بأن حَدَّثَها عن الإسلام فى بساطة وتدرج منطقى لكى تفهم ما جاء به من تعاليم وماتحلى به من آداب. . . .

وبينما هى تنصت إليه إذْ شعرت بشعور غريب على نفسها. . شعور بالراحة والسكينة يروى روحانيتها. . فتعبر عن ذلك بقولها:

«لقد شعرت ما يروى روحانيتى فى أعماق وجدانى وما أستهدى به فى حياتى بين الناس. . شعرت بحلاوة الصلة بالله، واستشرفت معالم طريق القربى إليه فى رحلة لها بداية ولكنها لا تنتهى. . . وقلت لنفسى: الآن فقط عرفت من أنا. . . إننى مسلمة بعد أن وجدت فى الإسلام الإجابة السلسة عن كل علامات الاستفهام الفلسفية التى حملتها طول السنين. . لقد وجدت ما يرضينى عن مفهوم الله والكون والإنسان».

وبعد. . . ماذا فعلت «نانسى» بعد أن وضحت لها معالم الطريق إلى الإيمان؟

تقول «نانسى» فى نبرة سكينة واطمئنان:

«لم أملك إلا أن أنطق بالشهادتين. . ولكنى كتمتُ إسلامى عن زوجى وحماتى التى تعيش معى، ولكنها استطاعت أن تعلم بأمر إسلامى عندما ضبطتنى وأنا أصلى، فأخبرت زوجى ذات مساء وهو عائد من الخارج ثمل، فمد يده فانتزع قلادة من رقبتى مكتوباً عليها اسم «الله» فألقاها على الأرض وأخذ يدقها بحذائه صارخاً هذا رأيى فى إلـهكِ. . وعليكِ أن تختارى بينى وبين الله هذا، وإلا فسأطردك شر طردة».

وتتساقط دمعات حارة من مآقيها وهى تستطرد قائلة:

«لقد كان من البديهى عندى عندما يكون الخيار بين الله وبين الزوج فليس هناك اختيار. . . وغادرتُ المنزل ليلاً بدون أمتعة أو مال، وذهبتُ إلى صديقة لى استضافتنى حتى أدبر أمر نفسى».

وتذكر «نانسى» التى تسمت فيما بعد باسم «نصيحة» أنها فى أثناء فترة قيامها بإجراءات الانفصال عن زوجها وذهابها إلى المحكمة كانت لا تنسى أن

تردد: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مؤمنة بأن الأمور بيد الله يُسَيِّرُهَا كيفما شاء، ولذلك كانت تقول:

« لقد وقر فى قلبى أن الأمور بيد الله فلن يصيبنى إلا ما قَسَم الله لى.. فقد كنت أحس فى أحلك الأوقات بالرضا والسكينة.. وكلما صادفت مأزقاً أحسستُ أن الله سيجعل لى منه مخرجاً».

وتم للأخت المسلمة «نصيحة» ما أرادت من الانفصال عن زوجها الشرير لتنعم بحريتها فى عالم الإيمان والدعوة إلى دينه الذى ارتضاه الله لها بعد طول ضياع وحيرة.. إنها - الآن - تتمسك بالزى الإسلامى وبالأخلاق الإسلامية.. وتدعو غيرها من المسلمين والمسلمات أن يدركوا قيمة الكنز الثمين، وجوهرة الجواهر التى يملكونها ألا وهى «الإسلام»..

* * *

مع المرأة اليهودية «دانئيلا»
التى وجدت خلاصها فى الإسلام

ولدت «دانئيلا» لأسرة يهودية شديدة التعصب، فنمت الصغيرة فى أحضان أسرة تبغض الإسلام، ولا يهمها سوى المال، والتفاخر بأنها تنتمى إلى شعب الله المختار!

وفى سن مبكرة نسبياً زفها والداها إلى عجوز مطلق، له من الأولاد خمسة، ومن المال قسط لا بأس به، فكانت زيجة تجارية بحتة، العجوز يستمتع بشباب الصبية، والأبوان يستمتعان بمال العجوز.

ولبثت «دانئيلا» سنوات قليلة مع زوجها العجوز، الذى جمع مع كبر سنه فظاظة خُلُقه، فحوَّلَ حياتها معه إلى سجن وَدَّتْ أن تتخلص منه، فاستنجدت بوالديها، فلم تجد منهما إلا نصيحة بضرورة العودة لزوجها حتى لا ينقطع عنهما صنبور المال، وعبثاً حاولت إقناعهما، فلما يئست سعت إلى السلطات تطلب تطليقها، فتبين لها استحالة ذلك إلا بموافقة الطرفين معاً.

وظلت «دانئيلا» تبحث عن حل لمشكلتها، خاصة بعدما رفضت المحاكم تطليقها، لكنها لم تيأس هذه المرة، وظلت تبحث عن مخرج ينقذها من المصير المظلم مع زوج عجوز تنفر منه، واقترح عليها بعض أصدقائها وصديقاتها مازحين أن تشهر إسلامها، ففى ذلك طلاقها المؤكد.

وبرغم أن هذا الاقتراح كان مجرد مزحة ودعابة، فإنه مس شغاف قلبها، فلم تُطل التفكير، فهرعت إلى المحكمة الشرعية فى «يافا» ونطقت

بالشهادتين، وأشهرت إسلامها، ومن ثم حصلت على الطلاق، أو بمعنى أصح صك التحرر من عبودية زوجها.

وبعد إشهار إسلامها اختارت «دانئيلا» اسم «أمينة» ليكون اسمها الجديد، ولكنها مع ذلك استمرت سراً في يهوديتها دون تدين أو اقتناع، فلم يكن الإيمان قد تمكن من قلبها، كما أنها - في ذات الوقت - لم تكن متعلقة بديانتها اليهودية، بل كانت تنظر إلى الأديان كافة نظرة واحدة.

وكان أمراً متوقعاً أن ينبذها أهلها بعد إشهار إسلامها، وأن تجد صعوبات في الحياة في ذات المنطقة، لذلك قر قرارها أن تعمل بعيداً عند البحر الميت، وهناك عملت في أحد الفنادق، ولم تكن تدري أن أقدارها سوف تجمعها في وقت لاحق بشاب مسلم فلسطيني يعمل في فندق مجاور يسمى «حسن» أيقن كل منهما أنه قد وجد نصفه الآخر، غير أن الارتباط لم يكن سهلاً، فعائلة «حسن» المسلمة ذات النزعة الوطنية لم تكن موافقة أو مقتنعة بارتباط ابنها بفتاة يهودية حتى ولو كانت أشهرت إسلامها انطلاقاً من عاملين: الأول الشك في صحة إسلامها... والثاني: الخوف من مصاعب ومضايقات قد تنجم عن مثل هذا الزواج، لأن الإدارة العسكرية الصهيونية لن تسكت.

غير أن الشابين واجها كل معارضة بإصرار على ارتباط كل منهما بالآخر، ولم يكن في وسع عائلة «حسن» أو أهل قريته إلا أن يوافقوا، وتم القران في حفل كبير حضره أبناء القرية، ولم يحضره - بالطبع - أحد من أسرة «أمينة».

وكان زواج «حسن» و «أمينة» بداية مرحلة طويلة من المضايقات، إذ لم يكد يمضي أسبوع حتى فُوجئا في الساعة الرابعة من صباح أحد الأيام بمندوب من الشرطة يأمرهما بالذهاب معه إلى المركز، حيث ظلا في الانتظار حتى الثامنة صباحاً، وجاء شخص يدعى «أبو النور» فاستقبلهما بعصبية واحتقار، وأمر «حسن» أن ينتظر خارجاً، وانفرد بأمينة، وبدأ في تعنيفها

صارخاً فيها: كيف تزوجتِ من هذا العربيّ القذر؟ . . . وظل يهددها ويسب زوجها، ثم حين لم يجد منها تجاوباً اضطر لصرفها.

وظن «حسن» و «أمينة» أن المشكلة انتهت، لكنهما كانا واهمين، إذ لم تحل الساعة العاشرة من اليوم نفسه حتى فُوجئا بطرقات جنود الاحتلال على باب المنزل، وعلما أنهما مطلوبان فى اليوم التالى لمقابلة الحاكم العسكرى.

ولم تكن المقابلة فى مكتب الحاكم العسكرى الصهيونى بأفضل من سابقتها، إذ صرخ فى وجه «أمينة»: أتُريدين إنجاب طفل من عربى قذر ليكبر ضمن صفوف «فتح»؟! لو كان بيدى الأمر لأمسكتُ بكِ وأجهَضتُكِ. . ثم انطلق لسانه بأحط عبارات السباب، متُهماً أمينة فى عفتها وشرفها، ومَتوعداً إياها إن لم ترجع إلى حظيرة اليهودية وتُطَلَّق من زوجها وتعود إلى مطلقها اليهودى. .ولكن «أمينة» اعتصمت بدينها، وردت بجرأة وثقة على تهديدات الحاكم العسكرى بأنها متمسكة بزوجها، ولا تفكر لحظة واحدة فى أن تتركه. . . وانتهت المقابلة بإمهالها مدة يومين، وإلا سيتخذ إجراءات شديدة بحقها وحق حسن، ثم أمرها بالانصراف. . وانصرفت «أمينة» وزوجها وتوجها إلى المحامية «فيلسيا لانجر» حيث وكلها «حسن» لإنهاء تلك المشكلات التى تواجهه وزوجته، بعد أن زَوَّدَها بكل تفاصيل المضايقات التى تعرضا لها.

وقامت المحامية بدورها بإرسال رسالة إلى وزير الدفاع الصهيونى ـ آنَ ذاك ـ «عيزرا وايزمان» محذرة إياه من أنها سوف تتخذ إجراءات قانونية ضد الوزارة مالم يأمر رجال الحاكم العسكرى بالكف عن مضايقة الزوجين.

وبالفعل توقفت المضايقات، وإن فقد «حسن» و «أمينة» عملهما، لأن أصحاب الأعمال قد خشوا أن يترتب على تشغيلهما مضايقات لهم[1].

(1) مجلة الفيصل ـ عدد يونيو ١٩٩٢ (بتصرف).

ولكن سفينة الحياة سارت بالزوجين بفضل إيمانهما بالله، حيث رُزِقا ولداً، وبنتاً، أَسْمَياَ الولد «عرفات»، والابنة «فلسطين»... وحرصا على تنشئتهما تنشئة إسلامية.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

* * *

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٣٢.

مع السيدة البريطانية «فاليرى»[1]

من بريطانيا تبدأ قصة «فاليرى» مع الإسلام عندما قرر زوجها المصرى المسلم أن يُطلقها، وكانت هى متمسكة به، وبالارتباط بزواجها منه... ولما كانت عائلة هذا الزوج تقيم فى مصر وليس له أى أقارب فى لندن، فقد لجأت «فاليرى» إلى المسجد، وطلبت من بعض المسئولين به أن يساعدوها فى إقناع زوجها بألا يطلقها..... وتتكرر زيارتها للمسجد، وتواظب على حضور درس «السبت» حيث كان أول تعارف بينها وبين دين الإسلام.

وبرغم فشل مساعيها للإبقاء على حياتها الزوجية مع هذا الزوج المسلم الذى أصر على تطليقها، فقد مضت «فاليرى» تقرأ عن الإسلام وتسأل عنه الأئمة والعلماء أثناء زياراتها للمسجد.

وتتذكر «فاليرى» يوم العاشر من شهر يونيو عام ١٩٩٢ عندما وقفت أمام شيخ جامع لندن تنطق بالشهادتين ودموعها تجرى غزيرة على وجهها فرحة بالدخول فى الدين الجديد ـ الإسلام ـ الذى جعل لحياتها لوناً جميلاً، فتعبر عن ذلك بقولها:

«بعد طلاقى من زوجى كنت أشعر بالضياع، وبأنى فقدتُ كل معنى فى حياتى، بل وفقدت الرغبة فى الحياة نفسها، وتملكنى اليأس.... وعندما

(١) مسلمات بريطانيا يتحدثن: تحقيق أجرته سلوى العنانى بمجلة نصف الدنيا فى أحد اعدادها.

دخلت الإسلام عادت لى الرغبة فى الحياة، والثقة فى الناس، والإيمان بالله.. لهذا اخترت اسم «أمانى» ليكون اسمى الإسلامى الجديد.

وتضحك «أمانى» وهى تسترجع إصرارها وعنادها مع زوجها السابق عندما أكدت له أنه لايمكن أن تغير دينها الذى ورثته عن آبائها، أو أن ترتدى هذه الثياب الطويلة المحتشمة.. فتقول:

«أنا أتعجب الآن من نفسى.. كيف قلت هذا الكلام؟!.... ولماذا؟!»!.

* * *

مع السيدة البريطانية «سلمى خان»(١)

عندما سُئلت عن كيفية إسلامها... أجابت بلا أى مقدمات قائلة:

«كنت أعمل مع إحدى إرساليات التبشير فى إفريقيا.. وحدث أن التقيت بأحد المسلمين، الذى حاولتُ دعوته بشتى الوسائل والطرق إلى ترك دينه، لكنه كان يرد علىَّ بطرح بعض الأسئلة البديهية التى وجدت نفسى عاجزة عن الإجابة عنها.

وفى النهاية اضطررتُ إلى الاعتراف له بعجزى، فدعانى إلى قراءة القرآن الكريم ودراسة معانيه.. وبالفعل عملت بنصيحته... ولما انتهيت من قراءة القرآن وتفاسيره لم أملك إلا أن أعتنقه وأُشْهِرُ إسلامى على الفور، وأَتَسَمَّى باسم سلمى خان».

* * *

(١) مجلة أسرتى الصادرة فى ٣٠/ ٦/ ١٩٩٠ (بتصرف).

مع السيدة الألمانية «باتينا»

دعته إلى النصرانية حيث تُشارك فى أعمال التنصير من خلال الجمعياتدعته إلى النصرانية حيث تُشارك فى أعمال التنصير من خلال الجمعيات التبشيرية... فدعاها هو إلى الإسلام بعد أن أجرى معها سلسلة من المناقشات والحوارات انتهت إلى اقتناعها التام بعقيدة الإسلام، ثم بزواجها منه فى المركز الإسلامى فى «ميونيخ» الذى شهد حفل زفافها إلى الشاب المصرى على حسن عثمان، كما شهد حفل رفافها لدينها الجديد... فقد أمسكت بالميكروفون فى المكان المخصص للنساء لتعلن قائلة:

«ثمة شئ مهم قبل وقائع عقد القران والزفاف.. أريد أن أشْهر إسلامى، وأن يشهد الحضور عليه لأزفّ فى ليلة عُرْسى مرتين.. مرة لزوجى، ومرة لدينى الجديد.. لقد تركتُ الأهل والأحباب والجيران، وهأنذا أُولَدُ بينكم من جديد».

ثم تلتقط أنفاسها من حرارة انفعال حماسها وفرحتها مما أعلنته لتبدأ فى سرد قصة إسلامها، ويسود المكان سكون تام، والحضور ينصتون وهى تقول:

«والداى لم يكونا يوماً مؤمنين بأية ديانة، وعندما كان عمرى اثنى عشر عاماً كان لدىّ شعور عميق بحتمية أن أعتنق ديناً، ولم يكن أمامى وقتها إلا النصرانية فالتزمت بها، وأردت أن أصوغ حياتى كلها بعد ذلك وفقاً لها، مما أزعج عائلتى كثيراً.... وفى بداية التزامى بالنصرانية لجأتُ إلى «البروتستانت»، وجعلت همى كله رعاية الأطفال والاهتمام بهم، ولكن بعد

حين اكتشفتُ أن مجموعة «البروتستانت» التى أحيا بينها لا تحمل من النصرانية غير اسمها، فابتعدتُ عنهم إلى أن التقيت بمجموعة من رجال الكنيسة، فمارستُ حياتى الكَنَسِيَّة، غير أننى كنت أشعر أنه مازالت هناك رغبات نفسية لم تأت بها الممارسات الكنسية، لقد كنت أسعى دائماً إلى البحث عن الكمال الذى يشبع كل رغباتى النفسية.. كنت أدعو الله دائماً أن يوفقنى إلى الارتباط برجل مناسب يكون زوجى، والحمد لله وجدته أخيراً».

ثم تضيف «باتينا» وقد ارتفعت حرارة كلماتها وهى تقول:

«كنت أشعر أن علاقاتى مع عيسى عليه السلام لم تتوافق يوماً من الأيام مع التصورات الكنسية عنه عليه السلام، فى الوقت الذى كان الإسلام بالنسبة لى مازال مجهولا تماماً..

ومع نهاية عام ١٩٨٩ عندما كنت أسجل مذكراتى كان لدىَّ إحساس عميق أن عام ١٩٩٠ سيشهد تغيرات جذرية فى حياتى، ولم تكن تلك التغيرات فى تصورى غير تعميق النصرانية فى حياتى ومشاركتى فى أعمال التنصير فى إفريقيا مع إحدى الجمعيات التبشيرية.... وبينما كنت فى قمة علاقاتى الإيمانية بمعتقداتى النصرانية التقيتُ بشاب مصرى - زوجى الآن - فى أثناء ممارستى لعملى الذى أنا بصدده فأحببت أن أدعوه إلى النصرانية كما أفعل مع الجميع... وبالفعل بدأنا سلسلة من المناقشات والأسئلة بيننا عن الرب والإسلام والنصرانية.. وفى البداية وجدتنى عاجزة عن تفسير قضية التثليث، ومن هو الروح القدس، وشخصية عيسى عليه السلام، لأنه لم يذكر حتى فى الأناجيل المحرفة أنه الرب..كما وجدت نفسى أيضاً عاجزة عن الإجابة عن أسئلة كثيرة، فاضطررت أن أقرأ الإنجيل مرة أخرى وأن أتعمق فيه.. ووجدت أن صورة عيسى عليه السلام فى الإنجيل صورة بشرية تماماً، وبحثت عن تطبيق النصرانية فى حياة الناس فوجدتهم يطبقون منها

ما ذكره «بولس»، وهو «أن كل شئ فى الحياة مسموح، وإنْ كان ممنوعا». . . هذا التناقض بالإضافة إلى أننى لم أجد فى النصرانية منهاجاً أو أيديولوجية كاملة أشعرتنى بأن قوة علاقتى مع النصرانية بدأت تقل بالتدريج. . هذه العلاقة التى حاربت الأهل من أجلها. . . وبدأت فى دراسة القرآن، وظللت فترة طويلة بين البحث والدراسة والتردد، فلم يكن أمراً هينا أن أبدل دينى إلى أن شعرت أخيراً بعد مناقشات وبحث مستمر أن كل العوائق التى كانت تحول بينى وبين الحقيقة قد سقطت، وأن القرآن وحده بما جاء فيه حق، وفى هذه اللحظة كان إحساسى بميلادى الجديد. . . . بعدها بدأت أقترب بالتدريج من الشعائر الإسلامية، فبدأت أقوم بأداء الصلوات الخمس، وصُمْتُ يوم عرفه، وغير ذلك من فروض وسنن. . بعد أن تأكد لى من خلال هذه الممارسات حقيقة أن عقيدة الإسلام هى الطريق الحق».

ثم توقفت «باتينا» فجأة لتقول باللغة العربية المكسرة، وبصوت خافت خاشع أَسَالَ دُموعَ الكثيرين من الحضور فى المركز الإسلامى فى ميونيخ:

«أشهدُ أن لا إلـه إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم إنى أشْهدكُ وأُشهد حَمَلَةَ عَرشكَ وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إلـه إلا أنت، رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيّاً ورسولاً».

ثم بدأت وقائع حفل الزفاف لزوجها بعد أن أشهرت دينها الجديد الذى تتحمس له بفخر وغيرة.

* * *

مع السيدة الاسترالية «سيسيليا محمودة كانولى»

قبل أن تتحدث عن سبب إسلامها قالت: «أولا وقبل كل شئ أود أن أقول إننى أسلمت لأننى كنتُ فى قرارة نفسى مسلمة بدون أن أعلم ذلك»[1].

وعندما سُئلت ماذا تعنى بالتحديد؟

(١) سبحان الله! صدق من قال إن الإسلام دين الفطرة.

أجابت قائلة:

«منذ حداثة سنى كنت قد فقدتُ الإيمان بالمسيحية لأسباب كثيرة، أهمها أننى ما سألت مسيحيّاً ـ سواء كان ممن يقال عنهم رجال الكهنوت والأسرار المقدسة، أو من العامة ـ عن أى شئ يبدو لى غامضاً فى تعاليم الكنيسة، إلا تلقيتُ الجواب التقليدى «ليس لكِ أن تُناقشى تعاليم الكنيسة، ويجب أن تؤمنى بها». . . وفى ذلك الوقت لَم تكن الشجاعة الكافية لأقول لهم «إننى لا أستطيع الإيمان بشئ لا أعقله». . وأدركت من خلال تجاربى أن غالبية الذين يسمون أنفسهم مسيحيين لا يجدون هذه الشجاعة كذلك».

ولكن ماذا كانت النتيجة؟. . وما فعلته من جراء ذلك؟. .

اعتدلت فى جلستها أكثر لتجيب وتقول:

«كل ما فعلته أننى هجرتُ الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها، وركزت إيمانى فى الإلـه الواحد الحق، لأن الإيمان به أيسر على النفس من الإيمان بثلاثة آلهة فى وقت واحد كما تقول الكنيسة».

وعن رؤيتها للحياة التى أعقبت إيمانها بإلـه واحد قالت:

«بدأت أرى الحياة أوسع وأرحب، طليقة من الطقوس والتعقيدات. . كنت حيثما وجهت وجهى أجد آيات الله فى خلقه. . كنت أقف أتأمل كل هذا الإبداع فى خلق الله: الأشجار، الأزهار، الطيور، الحيوانات. . كل شئ حتى الطفل الوليد أصبحت أشعر أنه معجزة رائعة جميلة، وليس كما كانت الكنيسة تصوره لنا. . . تذكرت كيف أننى كنت فى صغرى إذا نظرت إلى طفل حديث الولادة تصورته مغطى بسواد الخطيئة. . . أما الآن فلم يعد لتلك النظرة القاصرة مكان فى نفسى، فقد أصبح كل شئ أمامى جميلاً رائعاً».

وعن أولى خطواتها على درب اعتناق الإسلام بعد أن مهدت لها النفس الإيمان بالـه واحد. . قالت:

«كان ذلك عندما عادت ابنتى - ذات يوم - إلى المنزل ومعها كتاب عن الإسلام الذى أثار اهتمامي بعد أن قرأته معها حتى أتبعتاه بقراءة كتب كثيرة أخرى عنه. . . وسرعان ما أدركنا أن الإسلام هو نفس العقيدة التى كنا نؤمن بها بالفطرة.

ولم يمض وقت طويل حتى بحثت عن بعض المسلمين لأسألهم عن الأمور التى لم تكن واضحة تمام الوضوح أمامى. . وهنا أيضاً سقطت نهائياً تلك الأستار التى كانت تحجب ما بينى وبين الإسلام، فما خطر لى من سؤال إلا كنت أتلقى عنه الجواب المقنع الدقيق، على النقيض تماماً من ذلك الهراء الذى كنت أسمعه حينما كنت أناقش المسيحية».

ثم ابتسمت ابتسامة راضية مطمئنة وهى تقول:

«وبعد طول قراءة ودراسة قررت أنا وابنتى أن نعتنق الإسلام وتسمينا باسم رشيدة ومحمودة».

وعندما سُئلت عن أهم جانب فى الإسلام قد اجتذبها أجابت على الفور بحماسة وسعادة المستغرب لهذا السؤال:

«تسألنى عن أهم جانب فى الإسلام اجتذبنى. . إنها الصلاة، لأن الصلاة فى المسيحية لاتعدو أن تكون دعاء لله بواسطة المسيح عيسى ليمنحنا خير الدنيا. . . . أما فى الإسلام فهى ثناء على الله وتحميد له على كافة نعمه، وتضرع إليه أن يغفر لنا ويجنبنا الضلال، ويهدينا إلى سواء السبيل».

***

مع السيدة الإنجليزية «أليسون محمود»

سيدة انجليزية نشأت فى أسرة بروتستانتية، تعنى الأم بأمور الدين إلى درجة كبيرة، فتحرص على اصطحاب بناتها إلى الكنيسة لأداء الشعائر والطقوس الكنيسة، ولكن الابنة «أليسون» اختلفت عن أخَواتها الأُخريات، فقد كانت ذات طبيعة خاصة تتميز بولعها بالقراءة، وميلها إلى الانطواء

والانفراد بنفسها، فضلاً عن أنها كانت أكثرهن عَدَمَ اعتقادٍ واقتناع بما يُمارِسْنَه فى الكنيسة.

كانت كثيراً ما كانت تفكر: لماذا لا يترك للإنسان حرية اختيار عقيدته. . . لماذا يولد ويُعَمَّدُ ليصير مسيحياً؟. . .ولماذا يُعد التعميد وثيقة دخول دين جديد؟. . . ولماذا هذا الفراغ الهائل بداخلها، وهى دائمة الذهاب مع أسرتها إلى الكنيسة؟. . . لماذا؟. . . ولماذا؟. . . . أسئلة كثيرة كانت تتردد بخاطرها من جراء الإحساس بعدم الأمان،ولذا كانت دائمة البحث عن قوة تلجأ إليها تريحها وتستكين إليها. . حتى واتتها فرصة كانت بداية فتح جديد فى حياتها تتحدث عنها فتقول:

«جاءت لى فرصة التعرف على أسرة مسلمة فى منزل أختى الكبرى وزوجها. . . ودارت مناقشات عديدة بينى وبين تلك الأسرة المسلمة، وكثرت بيننا اللقاءات، وكما لو كنتُ قد عثرت على كنز ثمين، فقد أصبحت مشْغُوفَة بكل ما يتصل بالإسلام بعد أن قرأتُ عنه كتباً كثيرة بالإنجليزية، وبدأتُ أجد بين تعاليمه ومبادئه إجابات كثيرة لأسئلتى المتراكمة. . وأتاحت لى هذه الأسرة فرصة التعرف على مكتبتها الدينية، وصرتُ صديقة لها، كلما قرأت كتاباً زاد نهمى لمعرفة المزيد عن هذا الدين الذى يفترى عليه الكثيرون».

ثم تستطرد بعد برهة من الصمت والتأمل لتقول:

«لا أنكر أبداً فضل تلك الأسرة المسلمة التى أَنسْتُ إليها، ووجدت منها كل الترحاب بأية استفسارات أو إيضاحات حول الإسلام».

ثم لم تلبث أن تبتسم وتزم بشفتيها قائلة:

«. . وبالمناسبة، فقد تعرفت على زوجى عندهم، ووجدنا تفاهماً كبيراً وتقارباً ملموساً بيننا، وقررنا الزواج، غير أننى لم أشهر إسلامى إلا بعد زواجى بستة أشهر، ولم يكن هذا إلا بعد اقتناع كامل ودراسة طويلة لهذا الدين الحنيف».

وعن دوافع اعتناقها الإسلام وبداية رحلتها إلى الإيمان به قالت فى سكينة وطمأنينة:

«لقد بدأت منذ وقت طويل كنتُ فيه دائمة القراءة والاطلاع، تلح علىَّ تساؤُلات تدور حول الإنسان وحريته فى اختيار عقيدته بنفسه بعد أن تزاحمت فى نفسى أسئلة كثيرة حول الدين والعقيدة التى لم أجد لها جواباً مقنعاً وقتئذ إلى أن وجدتُ فى الإسلام إجابات عن تساؤلاتى، وارتياحاً بعد حيرة وقلق. . .»

ثم تعود بنظراتها إلى بعيد لتستأنف حديثها قائلة:

«نعم. . لقد وجدتُ الإسلامَ دين المنطق والعقل. . وهو الدين الذى يقنع الإنسان تماماً بردوده المنطقية، والذى يستسيغه العقل ويقبله، وترتاح له النفس وتطمئن إليه. .

لقد وجدتُ الإسلامَ دينَ يُسْرٍ، وهو صالح لكل زمان ومكان. . . يكفى أن القرآن الكريم الذى قرأته كله باللغة الإنجليزية يعد إعجازاً فى حد ذاته. . . فإذا كان لكل نبى دليل ومعجزة، فإن القرآن يعد معجزة لرسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام».

وعندما سُئلت عن محاولة تعلمها اللغة العربية لتقرأ القرآن الكريم بلغته. . . قالت فى اعتداء وثقة:

«لقد بدأت بالفعل تعلمها كتابة وقراءة بعد زواجى، حيث إننى مشغوفة جداً بتعلمها حتى أستطيع قراءة القرآن الكريم بلغة الأصلية، وخاصة أننى أؤدى الصلاة باللغة العربية. . وإن كنت لا أفهمها، غير أننى أجد فى قراءة الآيات باللغة العربية موسيقى وعمقاً تحببنى كثيراً فى تلك اللغة. . .».

وعندما سُئلت عن نظرتها للإسلام بعد اعتناقها له. . . هل وجدته كما سمعت عنه من الآخرين؟

هزت برأسها وزمّتْ بشفتيها، وقد غامت نظراتها فى أسف وأسى وهى تقول:

«للأسف الشديد، لقد وجدتُ أن هناك افتراءات كثيرة تُنسب إليه من جانب بعض المغرضين، إمّا عمداً وقصداً، أو عن جهل وعدم فهم منهم...

وكان أعظم ما عرفتُ وضع المرأة فى الإسلام، والمكانة الرفيعة التى تتمتع بها، وهى المكانة التى لم تَرْقَ إليها المرأة الغربية بعد، بلا أية مبالغة.. يكفى أن نعلم أن للمرأة فى الإسلام شخصية لها تقديرها، لقد سُميت سورة باسمها «وهى سورة النساء»، وفيها ما يخص المرأة فى الزواج، والإرث، والطلاق.. وكيف يرعى الإسلام حقوق المرأة التى هى شريكة للرجل فى رحلة كفاحه... فقد قرأت كثيراً عن زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام، وكيف كانت السيدة خديجة رضى الله عنها تقف بجانب الرسول وتشد من أزْره، وتخفف من آلامه، ومن أذى قبائل قريش له.. كما قرأت عن بطولات نسائية كثيرة خرجت للحرب مع الرجال... ألا يكفى ذلك دليلا على مكانة المرأة فى الإسلام التى ينكرها الحاقدون أعداء الإسلام؟!».

وعندما سُئلت عن مدى مواظبتها على أداء فرائض الإسلام... أجابت فى سكينة وطمأنينة قائلة:

«حمداً لله، فأنا أصلى بانتظام، وأصوم شهر رمضان... وقبل هذا وذاك فأنا أرى الإسلام فى جوهره رسالة اجتماعية لتنظيم حياة الناس بعضهم ببعض، حيث إن الإسلام دين المعاملة... وليس أحلى من أن يعيش الإنسان فى سلام مع نفسه ومع الآخرين».

* * *

الفصل الثالث

سلوكيات الإسلام كانت وراء إسلامهن

* مع الهولندية «ماري» التي أدهشها الترابط الأسري في بيت صديقتها المسلمة أثناء زيارتها لها.
* مع الألمانية «فيلكوفيسكي» التي أعجبت بمجتمع المسلمين الذي يرفض الخطأ ويلفت نظر الآخرين للحلال والحرام.
* مع الفلبينية «أوليفيا» التي أدركت أن الإسلام يصون المرأة ويرتقي بها وبروحها من أن تكون مجرد جسد فارغ.
* مع الهندية «آسيا» التي أدهشها أن الإسلام يجيز للمطلقة أن تتزوج مرة أخرى.
* مع الأمريكية «لمياء» التي رأت أن بعض القيم في الثقافة الغربية المتحضرة تتماثل مع بعض القيم الإسلامية كالحث على العلم والمعرفة.
* .... وأخريات.

مع الفتاة الهولندية «ماری»
التـــى صارت ليلى المسلمـة

كانت الفتاة الهولندية الصغيرة «مارى» ـ برغم حداثة سنها ـ تتساءل: لماذا تمنعها أمها من مصاحبة صديقاتها المسلمات اللواتى يُؤْمِنَّ بإله واحد بعيداً عن فكرة الأقانيم الثلاثة التى ابتدعها كُهان وأَحبار النصارى؟!

وذات يوم قادتها المصادفة إلى زيارة صديقة مغربية من المسلمات المقيمات مع أهلهن فى بلدها هولندا، وأدهشها ما وجدته من ترابط اجتماعى فى بيت تلك الأسرة تفتقر إليه الأسرة الهولندية، حيث يمكن أن تنفصل البنت عن أسرتها لتقيم بمفردها كما فعلت هى حين أنهت دراستها الثانوية وأقامت بحجرة صغيرة فى أحد أحياء العاصمة الهولندية «أمستردام»، وفى تلك الحجرة عرفت الوحدة والخوف، ولذا فقد أكبرت «مارى» فى الأسرة المسلمة عدم تخليها عن بناتها وهن فى مثل سنها الغض.

وبدأت تتكشف لها مزايا الإسلام وفضائله، وأدركت بفطرتها السليمة أنه دين الحق، وأن ماسواه باطل. . ومن ثم أقبلت ـ بشغف ـ على قراءة ما تستطيع فهمه من أمور هذا الدين القيم، وما يصل إلى يديها من كتب إسلامية مترجمة، حتى اكتمل إيمانها، وهى بعد تناهز الخامسة عشرة من عمرها، فأشهرت إسلامها عن قناعة واقتناع كامل، وتسمت باسم «ليلى عز الدين».

تقول «ليلى» بعد أن أسلمت:

«إن أكثر ما شدنى إلى الإسلام هى تلك الروحانية التى تظلل حياة المسلمين، إذ رأيت كيف كانت صديقاتى المسلمات يتحملن الجوع والعطش لساعات طويلة تصل إلى مايزيد على ثلاثة أرباع اليوم خلال شهر رمضان المبارك تقرباً ومحبة لله الذى فرض الصوم وخَصَّهُ من دون العبادات بأن جعله له، يجزِى به العَبْدَ يوم القيامة.

كذلك شدنى إلى الإسلام ما رأيته ولمسته من تسامح المسلمين، وما يربطهم ببعضهم من روابط وثيقة مصدرها الأخوة فى الله التى تفرض الأُلفة وتشيع الحب بينهم.

وقد زاد اقتناعى بهذا الدين حين أكد أحد الأطباء أن ما قالته صديقاتى المسلمات عن لحم الخنزير صحيح من أنه يُورث المرض والسقم، ومن ثم تعمق إيمانى بصحة هذا الدين الذى يدعو إلى ترك الخبائث.... لذلك كنت كلما فهمت جانباً جديداً عن الإسلام ازدادت نفسى اقتراباً منه أكثر».

ولأن الزواج سُنة الحياة... فقد تمنت «ليلى» أن يرزقها الله زوجاً مسلماً صالحاً يعمق فى داخلها نور الإيمان بدينها الجديد، ووجدت الصفات المطلوبة فى مهاجر مصرى مقيم فى هولندا يدعى «أسامة عز الدين» وتزوجا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأثمر الزواج أربعة أطفال هم: عبد الله، وفاطمة، وأحمد، ومريم.. وسارت الحياة بالأسرة المسلمة هادئة إلى أن كبر الأطفال، وبدأت «ليلى» تقلق على أطفالها خشية انجرافهم إلى انحرافات المجتمع الهولندى غير المسلم، فالحت على زوجها كى يذهبا بأطفالهم إلى مجتمع مسلم ليشب الأطفال على عقيدة التوحيد والقيم الإسلامية النبيلة.

وكان لها ما أرادت، وحطت الأسرة الصغيرة رحالها على أرض الكنانة مصر» موطن الزوج.

ومن هنا ترى «ليلى» ضرورة العناية بأبناء الجيل الثانى من المهاجرين المسلمين، إذا أن هؤلاء فى زحمة انشغال والديهم بالعمل يضيعون بين قيم الإسلام وماتنهاه عنهم وبين إباحية الغرب وما تدعوهم إليه من سلوك غير قويم، الأمر الذى يؤدى إلى زعزعة الإيمان فى نفوسهم، وانسلاخهم رويداً رويداً عن الإسلام، وذوبانهم فى المجتمع الغربى، ومن ثم طمس الهوية الإسلامية لديهم، ووقوعهم فريسة سهلة للمنصِّرين الذين لا يألون جهداً فى اجتذاب الضائعين وضعيفى الإيمان من أبناء المسلمين.

وتشير «ليلى» إلى نقطة مهمة جديرة بأن تؤخذ فى الاعتبار، ألا وهى حدوث زيجات بين فتيات مسلمات بشباب غير مسلم، لجهل أو تجاهل الكثير من الفتيات المسلمات بأن الشرع لا يجيز مثل هذه الزيجة الباطلة.

وتُطالب الدُّعَاةَ بضرورة التركيز على ما يمنحه الإسلام للمرأة من حقوق ومزايا، لأن هناك فكرة خاطئة شائعة فى المجتمع الغربى، وهى أن الإسلام يهضم حقوق المرأة. . . كما تطالب الدعاة بتوضيح معنى قوامة الرجل على المرأة، وكيف أن هذه القوامة هى عبء على الرجل. . وأن المرأة المسلمة تتمتع بحقوق لا تحصل على نصفها مثيلاتها من الغربيات، اللاتى ينظر إليهن نظرة حيوانية تخدش حياء الأنثى.

وترى «ليلى» أن من الضرورى تعريف المسلمات قبل غير المسلمات أن الحجاب لا يعنى حجراً على المرأة، وإنما هو صيانة وحماية لها، وارتقاء بها من أن تكون مجرد جسد للإثارة والفتنة.

أما بالنسبة للدعوة الإسلامية. . فترى ليلى أنها تعانى من نقص الدعاة، وعدم توفر الكتب المترجمة بالشكل المطلوب، حيث إن الكثيرين ممن يرغبون فى معرفة الإسلام والتعرف عليه تصطدم رغبتهم بجدار اللغة، فضلاً عن عدم توافر الكتب التى تقدم لهم الإسلام بصورة وافية.

كما ترى ضرورة إرسال المزيد من الدعاة الذين لا يقتصر عملهم فى المراكز الإسلامية، بل ينزلون إلى الشارع ليختلطوا بالبشر فى أنديتهم ومقاهيهم، وفى أماكن تواجدهم بوجه عام، وذلك ليقدموا المشورة لمن يرغب ويجيبوا على الاستفسارات التى تُقَدَّمُ إليهم.

وهكذا نجد أنفسنا أمام شابة استشعرت وجود الله بقلبها، فألهمها الرؤية الصحيحة بإسلامها، والمشورة الناصحة بآرائها النافعة[1].

***

(١) مجلة الفيصل ـ عدد سبتمبر ١٩٩١ (بتصرف).

مع الفتاة الألمانية «فيلكو فيسكى» أو «فاطمة»

نشأت فى بلدة «بوستورف» بألمانيا من أبوين مسيحيين... وتعرفت على شاب مسلم من مصر فى أحد الأندية من خلال صديقة لها كانت تعرفه..

وفى جلسة تعارف لاحظت عليه أشياء غريبة.. إنه لا يشرب الخمر مثل الشباب الألمانى.. ولما سألته لماذا لا يشربها؟... قال: لأنها حرام....

واندهشت ـ وقتئذ ـ لهذا الرد الذى لم تفهم له معنى إلا بعد أن دخلت الإسلام وعرفت مبادئه وتعاليمه وتوطدت العلاقة بينها وبينه، واتفقا على الزواج.. وكان لهما ما أرادا.

وحضرت إلى «مصر» مع روجها «جمال»، ولم تكن تعرف شيئاً عن الإسلام.. وبالتالى لم تكن تدرك معنى ماتراه من حولها من أمور تعدها غريبة... فقد كانت ترى أم روجها «جمال» تقوم قبل طلوع الشمس كل يوم وتؤدى حركات لا تتغير.. تكررها مع مرور الوقت.... تعبر عن ذلك بقولها:

«كنتُ أتساءل فى نفسى: ماهذا الذى تفعله؟.. وزادت حيرتى عندما لاحظت أن أفراد الأسرة يفعلون نفس الشئ!... كنت أسألهم عن هذه الأفعال، فيقولون لى: إنها «الصلوات».. نحن نؤديها خمس مرات كل يوم لأننا مسلمون... وهنا سمعت كلمة «إسلام» لأول مرة...

ثم أضافت تقول:

«وتصادف أن أقبل شهر يُسمى «رمضان» وأنا فى «مصر»... فبدأتُ أُلاحظ تغييراً كثيراً فى حياة الناس بعد أن أخبرنى زوجى أنهم سيمتنعون عن تناول الطعام والشراب طوال النهار خلال هذا الشهر.. فقلت له: وأنا سأفعل مثلكم.. وصُمْتُ معهم الشهر كاملا... وبدأتُ أشعر بسعادة نفسية غامرة عندما اكتمل الشهر.. لم أكن أنا وحدى سعيدة، فقد لاحظتْ أن الكل يشعرون بنفس السعادة، وجدتهم يهنئ بعضهم بعضاً... ولما سألتهم عن ذلك قالوا لى: إن هذا هو «عيد الفطر» عند المسلمين».

وتغيم عيناها خلف سحابة من الذكريات تقول بعدها:

«كانت أم زوجى تحدثنى دائماً عن الإسلام فى الوقت الذى بدأتُ أتعلم وأعرف كثيراً من الكلمات العربية.. كانت تقول لى: إن الإسلام معناه أن نعبد «الله» الذى خَلَقَنَا.. وأن نطيع الرسول محمد ﷺ الذى أرسله ليرشدنا إلى الحق... كانت تقرأ أمامى القرآن الكريم حتى حفظتِ سورة «الفاتحة» و«الإخلاص».. بعدها تعلمت الوضوء والصلاة».

ثم لم تلبث أن تضحك فى تعجب من أمْرِ نفسها حيث تصارح بالقول: «كل ذلك وأنا لم أعتنق الإسلام، فكل ما فى الأمر أننى قد وجدتُ نفسى فى عبادات المسلمين.. أفعلُ ما يفعلون عن غير عقيدة».

ثم أردفت بعد فترة من الصمت لتقول بنظرات سارحة:

«وحدث أن أخذتنى أم زوجى إلى الجامع وقالت لى: سنصلى صلاة الجمعة.. فقلت لها: ولكنى لا أعرف عن الصلاة الجمعة شيئاً.. فقالت: افعلى كما يفعل الناس...

وذهبت معها إلى الجامع.. وكنت خائفة، لأننى سأدخل مكاناً لم أره من قبل، ولا أعرف ماذا أفعل فيه؟!.. ولما دخلت الجامع شعرت بسكينة

وطمأنينة وأنا أرى مئات الرجال من مختلف الأعمار يجلسون فى صفوف، والكل ينصت لشخص واحد يقف فى مكان مرتفع عرفت أنه يُسمى «المنبر».. بعدها وقفوا صفوفاً متراصة ليُصَلُّوا... فى حين كان السيدات فى مكان منفرد بهن، يفعلن مثلما يفعل الرجال.. وبعد أن انتهينا من الصلاة أخبرتُ أم زوجى برغبتى فى إعلان إسلامى... وبالتالى أبلغت أم زوجى إمام وخطيب المسجد برغبتى فى إشهار اسلامى».

وبنبرة سعادة تكشف عما يدور فى نفسها وقد لمعت عيناها بوميض الإيمان عندما استطردت قائلة:

«عندئذ أحضر لى بعضُ المصلين كرسيّاً وقالوا لى: اجلسى عليه... وأنا أرى كل الأنظار متجهه إلىَّ يهمسون: «الألمانية» ستعلن إسلامها.. الألمانية ستعلن إسلامها».

بعدها جاء إمام وخطيب المسجد وأخذ يردد فى مكبر الصوت كلمات طلب منى أن أرددها خلفه.. أذكر منها «أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله».... وكلمات أخرى...

وما إن فرغت منها.. حتى فوجئت بكل من فى المسجد يهنئوننى، بل إن بعض السيدات عانَقْتَنِى وهُنَّ يُرَدِّدْنَ: «الله أكبر.. الله أكبر».

وقيل لى بعد ذلك: أنتِ أصبحتِ مسلمة من اليوم.. تُصَلِّينَ وتعبدين الله... ففرحتُ جداً، وخَرجت معهم إلى قسم الشرطة المجاور للمسجد لأوقع على إقرار بأننى صرت مسلمة».

وتندفع حرارة كلماتها وهى تحرك يديها لتأكيد معنى كل كلمة تقولها: «كنت أشعر بجسدى كله يهتز.. وقلبى يخفق من فرط ما أسمع من صياح الناس وتكبيرهم حولى... نعم لا يمكن أن أنسى هذه اللحظات أبداً، لأنى لم أرَ مثلها من قبل!

هذا عن مشاعرها لحظة إشهار إسلامها... فماذا عن مشاعرها بعد أن دخلت فى الإسلام وانتظمت فى صفوف المسلمين؟..عن ذلك تجيب «فيلكوفيسكى» التى تسمت باسم «فاطمة» بقولها:

«عندما دخلت فى الإسلام شعرت بالراحة... عرفت أن الرزق من عند الله.. وأن لكل مشكلة حلا... فما دام الإنسان يؤمن بالله فهو معه، ولن يتركه بمفرده.. باختصار أصبح هناك حكم بين الحياة والإنسان بدلا من الصراع المستمر بينهما على المادة.

ويكفى أن أقول إن أعقد مشكلة واجهتنى خلال العام الذى مضى علىَّ فى الإسلام كانت الصلاة كفيلة بحلها.. فبمجرد أن أدخل فى الصلاة أشعر بالراحة وبالبعد عن المشاكل... وما إن أفرغ من الصلاة حتى أشعر بأن المشكلة قد انتهت تماما»[1].

إن قول «فاطمة» التى وُلدت من جديد بشهادة ميلاد إسلامها تعنى أنها لم تكن تقتنع بديانتها المسيحية التى نشأت عليها فى بيئتها...فتعبر عن ذلك بقولها:

«أنا لم أكن أقتنع بديانتى منذ طفولتى عندما كانوا يدرسون لى المسيحية فى المدرسة الأولية.. وكيف أقتنع بمسألة التثليث التى تعنى تعدد الآلهة؟!... ولذلك كنت أطرح كتاب الدين المسيحى جانباً ولا أنظر فيه.. كذلك نادراً ما كنت أذهب إلى الكنيسة... كنت أسأل والدتى: هل من الضرورى أن أذهب إلى الكنيسة؟... فترد علىَّ متعجبة من أمرى فى استنكار: لماذا تقولين ذلك؟!... فكنت أقول لها: لأنى لا أصدق الكلام الذى يقولونه لنا فى المدرسة... فكيف يا أمى يقولون لنا إن النبى عيسى عليه السلام عندما مات استيقظ مرة أخرى وجاءه الحواريون... فقال لهم لا تخافوا فأنا سأذهب عند «بابا»!!»

---

[1] ليتأمل هذا القول بعض المسلمين الذين ابتعدوا عن الله بتركهم للصلاة وتهاونهم عن أدائها فى أوقاتها.

ثم تصمت للحظات لتعود تؤكد على ما تريد توضيحه فتقول:

«من غير المعقول أن يصدق العقل السليم ما كانوا يقولونه لنا فى المدرسة... أنا أعرف أن السيدة «مريم» لم تكن متزوجة فكيف يكون لعيسى أب؟!.... ولهذا السبب أيضاً لم أكن أذهب للكنيسة».

ولكن هل عدم قناعتها بديانتها المسيحية هوالسبب الوحيد الذى دفعها لاعتناق الإسلام؟ أم أن هناك سبباً آخر؟

تجيب «فاطمة» الألمانية التى شرح الله صدرها للإيمان بقولها:

لا... إننى اقتنعتُ بالإسلام كدين ومنهج حياة لمن ينشد السعادة الحقة... وهو بمبادئه وقيمه أقرب إلى عقول الأوربيين، لأنه يقوم على المنطق السليم فضلاً عن إعجابى بطبيعة المسلمين التى تختلف عن طبيعة الأوربيين من حيث طبيعة العلاقات الاجتماعية التى تربط الناس بعضهم ببعض... فأنا - مثلاً - لم أشعر بالغربة قط بعد أن جئت إلى «مصر» وعشت فى مدينة السنبلاوين(١)...»

ثم تكشف ما يدور فى نفسها من انبهار بحال مجتمع المسلمين قائلة:

«لم أتعود أن أرى تجمع الناس مع بعضهم وهم يتحدثون فى أمورشتى تغمرهم السعادة والسرور... أعجبت بالناس فى عباداتهم المفروضة، من صلاة، وصوم، وزكاة...

أُعجبت بمجتمع المسلمين الذى يرفض الخطأ.. فإذا فعل أحد الناس شيئاً خطأً فالكل يلفت نظره ويقولون له: إن ذلك حرام، بعكس ما يحدث عندنا... فإن كل إنسان يعيش بمفرده.. وكل أسرة تعيش لنفسها فقط.. وإذا فعل إنسان خطأ فلا يسأل فيه أحد، ولا يُقال له: إن ذلك خطأ أو حرام.

---

(١) مدينة بمحافظة الدقهلية.

أعجبت بتعاون الناس مع بعضهم فى مودة ومحبة. . . ولو أنك ذهبت إلى بلدى «ألمانيا» فلن تجد من يعاونك على شئ. . . أكثر من هذا تجد كل أسرة تغلق مسكنها على نفسها، وتعيش فى حالها، إذ ليس هناك علاقات اجتماعية متميزة كالتى وجدتُها فى مجتمع المسلمين هنا».

وعن الزى الإسلامى وحرصها على ارتداء الحجاب دافعت عنه بحماس وقالت:

«قد ارتديت الحجاب فوجدتُ أننى قد أصبحتُ أكثر احتراماً. . ولذلك فأنا سعيدة بالزى الإسلامى، وبالتالى فأنا لم أشعر إطلاقا بضيق منه».

ثم أنهت «فاطمة» حديثها فأجملته فى كلمات محددة فقالت:

«إننى وجدت فى الإسلام طُمأنينة وراحة نفسية».

***

مع الفتاة الفلبينية «أولفيا أبرازادو» التى صارت غيورة على الإسلام

ولدت لأسرة نصرانية قلباً وقالباً. . وسمعت من أفواه الكثيرين ـ من بينهم بعض الآباء القسس ـ أن الإسلام دين المتخلفين، لذا لم تكن تفكر يوماً ما فى اعتناقه، أو مجرد التعرف على حقيقته، برغم أنها لم تجد ذاتها فى النصرانية، ولاسيما أن تساؤلات عدة طالما ضاق بها صدرها ولم تجد لها إجابة فى الإنجيل، وتهرب القسس عن مجرد مناقشتها فيها، ولكنها مع ذلك ظلت نصرانية تتردد على الكنيسة كل يوم أحد، تستمع إلى القس، وتشارك فى الإنشاد بطريقة آلية ـ كما يفعل المنوم مغناطيسياً ـ بلا إحساس أو اقتناع.

وشاءت إرادة الله تعالى أن تأتى «أولفيا» إلى المملكة العربية السعودية للعمل بها، وتختلط لأول مرة مع مسلمين ومسلمات من مختلف دول أنحاء العالم، وتجذبها بساطة تعاملهم وصدقهم، وإخلاصهم لدينهم، واعتزازهم به، وحرصهم على أداء الفرائض فى أوقاتها، ولكن الذى جذبها إليهم أكثر هو إيمانهم بأن للكون رباً واحداً مُنَزَّهاً عن أية صفة تُشَبِّهُهُ بعباده، فليس كمثله شئ.

وتوقفت «أولفيا» عند هذه النقطة، وقارنت بينها وبين ما تعلمته فى طفولتها وصباها فى الكنيسة من أن الله له ولد. . وأنه عز وجل له ثلاثة أقانيم. . . فوجدت نفسها تميل إلى ترجيح رأى المسلمين، فمثل هذا الكون البديع المنظم بدقة لا يمكن إلا أن يكون من صُنْعِ إلـه وَاحِد.

وتداعت إلى ذاكرتها ما فاضت به نفسها من قَبْلُ من تساؤلات لم تجد إجابات لها لدى القسس أو فى الأناجيل المعتمدة لدى النصارى، ولأول مرة وجدت نفسها تتشكك فى صحة الأناجيل، نظراً لما تحويه من طلاسم وخزعبلات، فضلاً عن أنها عرفت أن هذه الأناجيل لم تُدَوَّن إلا بعد رفع المسيح عيسى عليه السلام بقرون، مما ينفى حقيقة كونها نفس الإنجيل الذى نزل على عيسى عليه السلام. . . . ومن ثم تساءلت: لماذا لدى المسلمين كتاب واحد ولدينا أكثر من إنجيل؟!. . . ولماذا تُنْسَبُ الأناجيل إلى أشخاص بعينهم يختلفون فى رواياتهم باختلاف شخصياتهم؟!

تعبر «أولفيا» عن ذلك بقولها:

«كانت هذه التساؤلات مقدمة لرغبة ملحة فى الاطلاع على الدين الإسلامى من المسلمين أنفسهم لمعرفة حقيقته، ومن ثم المقارنة بين الإسلام والنصرانية لمعرفة أيهما أقرب إلى العقل والقلب والمنطق؟».

ثم تصمت للحظات لتستطرد قائلة:

«وبَدأَتْ تصوراتى السابقة عن الإسلام تتَهاوَى، فقد كنت أعتبره دعوة إلى التخلف، وقَيْداً على حرية المرأة يحيلها من نفس إنسانية كريمة إلى جسد لاروح فيه، ولكننى ما إنْ قرأتُ بعض الكتب الإسلامية المترجمة التى زودتنى بها بعض الصديقات المسلمات حتى تهاوى الاتهام الأول، فكيف يكون الإسلام دعوة إلى التخلف وهو الدين الوحيد الذى يحث معتنقيه على طلب العلم الذى جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة؟!. . . ثم أنا أرى بنفسى الفتيات المسلمات يتسابقن إلى مقاعد الدرس فى المدارس والمعاهد والجامعات».

ويجف ريقها فجأة لتندفع بعدها فى قولها وقد استغرقتها الدهشة:

«بل إننى علمتُ أن أول آية نزلت على نبى الله محمد ﷺ كانت «اقرأ». . .

ومع اختلاطها بالمسلمات تَهاوَى الاتهام الثانى حيث تقول:

«لقد عرفت منهن أن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها من الحقوق ما لم تحصل عليه المرأة فى المجتمعات التى تدين بديانات أخرى، وأدركت تماماً أن القوامة لا تعنى انتقاص المرأة، بل هى تقدير لظروف أنوثتها وضعفها، لأنها تفرض على الرجل أعباءً قد تعجز المرأة عن تحملها بحكم تكوينها الغريزى الأنثوى الذى لا يتناسب مع أى مهام توكل إليها..

كما أدركت أن الحجاب هو صَوْنٌ وعَفَافٌ للمرأة، وارتقاءٌ بها وبروحها من أن تكون مجرد جسد تنهشه الذئاب البشرية..وإننى أتذكر أن الطبيبة التى عالجتنى حين مرضتُ كانت امرأة مسلمة محجبة، ولم يمنعها الحجاب من دراسة الطب والتفوق فيه».

وحينما وصلت «أولفيا» إلى هذه القناعات كانت روحها قد تشربت بالمبادئ والقيم الإسلامية ورفضت ما عداها، لكنها كانت لا تزال عاجزة عن اتخاذ القرار، فالصراع فى داخلها عنيف بين الحق والباطل... بين عقيدة توارثتها عن أهلها، وأخرى اختارتها بنفسها عن قناعة، ومع توالى القراءات والاطلاع أيقنت تماماً أن الحق والحقيقة فى الإسلام، ومن ثم اتخذت قرارها باعتناق الإسلام... وفى هذه اللحظة أحسست بالسكينة والطمأنينة تملأ قلبها المضطرب، وأن حملاً ثقيلاً انزاح عن صدرها» ـ كما تذكر ونبرة صوت خفية تكشف عما يدور فى نفسها من سعادة لا تسعها..

وكان طبيعيّاً وقد اهتدت «أولفيا» إلى طريق الحق أن تنبذ اسمها وتتخذ اسماً قريباً من الإسلام هو «سارَّة»..وأصبحت «سارة» نموذجاً طيباً للفتاة المسلمة التى تؤدى فرائضها بانتظام وإخلاص، ملتزمة بالقيم الإسلامية النبيلة...

وأمنية «سارة» أن تتمكن من هداية أسرتها وأقربائها إلى اعتناق هذا الدين

الصحيح، كما تتمنى أن يكتب الله لها أن تكون واحدة من دعاته إلى الهدى، وأن يكتب لدينه الانتشار فى أنحاء العالم.

وترى أن فرصة انتشار الإسلام فى بلادها كبيرة، خاصة إذا ما أخذ فى الاعتبار وجود جالية مسلمة تعدادها ليس بالبسيط ، فضلا عن عشرات الآلاف من أبناء جنسيتها يعملون فى كثير من البلدان الإسلامية، مثل المملكة العربية السعودية، ودول الخليج، فهؤلاء من الممكن جذبهم إلى دين الإسلام ببعض الجهد وشرح حقيقة الإسلام لهم، لأن جميع معلوماتهم عن الإسلام مستقاة من مصادر كنسية أو يهودية، وهى ـ كما هو معروف ـ لا، تقدم سوى الأكاذيب على حد قولها.

وتدعو «سارة» الجمعيات والمنظمات الإسلامية وأثرياء المسلمين إلى دعم أنشطة الدعوة الإسلامية، ومن أهمها ترجمة الكتب الإسلامية إلى لغات العالم، ليتعرف غير المسلمين على عظمة الإسلام، فضلاً عن إطلاع المسلمين هناك على قيم دينهم والنهل من مناهل الفقه الإسلامى، فمن المؤسف ـ كما تذكر سارة ـ أن الكثيرين من المسلمين لا يعرفون عن دينهم إلا أبسط المبادئ والتعاليم، فى الوقت الذى يتعرضون فيه لهجمات تنصيرية شرسة تستهدف اغتيال عقيدتهم وسَلْخهم عن الهوية الإسلامية بجرِّهم إلى السلوك غير الإسلامى، كشُرب الخمر، وتعاطى المخدرات، وممارسة الرذيلة، وغير ذلك من الأمور التى تقتل روح الإسلام داخل الشباب، لتسهل بالتالى عملية تحويلهم عن ديانتهم، وتنصيرهم، أو على الأقل إفساد عقيدتهم.

ومما يدعو إلى الإعجاب بهذه الفتاة الفلبينية أنها استطاعت أن تُحكِّمَ عقلها وتتغلب على شيطان الضلال وهى فى سن صغيرة معرضة للأهواء، لكنها تمكنت ـ بعون الله ـ من إنقاذ نفسها باعتناقها للإسلام الذى طالما سخرت منه قبل الاهتداء إليه(١).

* * *

(١) مجلة الفيصل ـ عدد نوفمبر ١٩٩١ (بتصرف).

مع السيدة السويسرية «آمال لوليه»

سيدة سويسرية خامرها الشك فى المعلومات الدينية التى تتلقاها.... إذ كانت هذه المعلومات تقول لها: إنك إذا اعترفت بذنوبك فسوف يغفرها الرب لك... والاعتراف لابد أن يكون عن طريق وسيط بينك وبين الله....

وتملكتها الحيرة والبلبلة... إن الله الذى خلَقَ البشر جميعاً قد جعلهم متساوين فى عبادته ومناجاته، فكيف يدعى إنسان ـ كائناً من كان ـ أن له حقَ الوساطة بين الله وبين عباده؟!

ومن هنا كان شك «آمال لوليه» فى معلوماتها الدينية هذه أول خطوة لها على طريق الإسلام.. حيث بدأت تفكر فى عقيدة جديدة يمكن أن يطمئن إليها عقلها وروحها، فتستريح لها مشاعرها ووجدانها بعد أن يستسيغها فكرها الذى ظل رافضاً ما ورثته من دين قد لُقنت تعاليمه قسراً، فقد كانت من بيئة وأسرة مسيحية متدينة.

واصلت «آمال لوليه» دراستها حتى تخرجت وعُينت سكرتيرة بمكتب شرطة الأجانب فى «لوزان» بسويسرا، مما هَيَّأ لها فرصة الاحتكاك بفئات مختلفة من الناس لهم دياناتهم التى يدينون بها، ومن هؤلاء المسلمون الذين وجدتهم يتميزون بسلوكيات وآداب يراعونها فى حياتهم اليومية فى سكينة

وطمأنينة، واعتداد بأنفسهم فى تعاملاتهم مع الغير... فى حين كانت هى تفتقد لتلك الطمأنينة النفسية والاستقرار الاجتماعى، فقد كانت حائرة قلقة، لا تتبين معالم الطريق الذى تنشده... حتى حدث أن رأت برنامجاً عن الإسلام يعرضه التليفزيون السويسرى[1].... وعن ذلك تقول:

«ذات يوم عرض التليفزيون السويسرى برنامجاً عن الإسلام.. فرأيتُ المسلمين وهم يؤدون الصلاة فى خشوع، وبحركات متناسقة... فتمنيت فى تلك اللحظة أن أصلى معهم، فقد أحسست أننى مشدودة إلى الإسلام، وكأنى أهتف من أعماقى أنه الدين الذى أبحث عنه.... ومع ذلك فقد مرت سنتان علىَّ بدون أن أعتنق الإسلام، فقد كنتُ خلال هاتين السنتين أجمع معلومات عن هذا الدين الحنيف حتى أعتنقه عن فهم واقتناع تام.. فأخذتُ أتردد على المركز الإسلامى فى «لوزان» لألتقى بالمسئولين والمسلمين فيه لأعرف منهم المزيد والمزيد من تعاليم الإسلام وأركانه من صلاة وصوم وزكاة وحج وغير ذلك من آداب وسلوكيات قد حث عليها هذا الدين».

وتتوقف لحظة وقد زمت بشفتيها وأطبقت حاجبيها وكأنها تقرأ من لوحة خفية لا يراها إلا هى لتقول بعدها:

لقد كان مقدراً لى أن أعتنق هذا الدين منذ الصغر... فلم أكن أجد فى ديانتى أى حب.. فضلا عن أن المعلومات التى كنت أتلقاها فى المدرسة لا يمكن أن يقبلها عقل متفتح واع... فقد كانوا يعلموننا أن الإنسان إذا اعترف بذنوبه أمام أحد رجال الدين، فإن هذا الاعتراف مبرر لغفران ذنوبه.. وهذا شئ لا يمكننى أن أقتنع به... وبرغم ذلك فإننى أخذت أؤمل نفسى بأننى ربما أقتنع بعد أن يكبر عقلى وينضج فكرى أكثر وأصير امرأة متزوجة، فربما لو تزوجت يزداد اقتناعى بدينى».

(١) هذا يعطينا دلالة واضحة على مدى أهمية دور الإعلام الإسلامى فى التعريف بالإسلام فى البلاد التى لا تدين به.

ثم تصمت فجأة وهى تشير بأصبعها بالنفى القاطع ثم تقول:

«حتى بعد أن كبرت ونضج عقلى أكثر وتزوجت واستمر الزواج عدة سنوات فإننى ظللتُ غير مقتنعة بالدين الذى ورثته ولُقنت تعاليمه.. وكنت من جراء ذلك أتساءل.. ولكن كيف أخرج منه إلى دين جديد.. وهذه هى المشكلة».

وبنبرة سعيدة يضفى على صوتها عندما أجابت على نفسها قائلة:

«وجدت أن حل هذه المشكلة أن أتجه إلى الإسلام، وخصوصاً أننى قد أحسست أننى مشدودة إلى تعاليمه وآدابه وما يحث عليه من واجبات يستتبعها حقوق كتلك الحقوق التى منحها الإسلام للمرأة، والتكريم الذى أضفاه عليها ووصاياه بها، والتى جاءت فى القرآن الكريم، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ.... وعندئذ لم أتردد بعدها لحظة فى اعتناق الإسلام بعد أن فهمت رسالته ووعيتها عن اقتناع وحب..... بعدها أحسست بالسكينة تملأ جوانب صدرى.. وأخذت مباشرة فى ممارسة شعائر الإسلام وأركانه كما تعلمتها وعرفتها من قبل».

وفى محاولة لاستقراء قوة إيمانها بدينها الجديد «الإسلام» وما تردد منها من إعجابها به لتكريمه للمرأة وإعطائها لحقوقها والوصية بها.... قيل لها: ولكن الإسلام يبيح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، فله الحق فى أن يتزوج أربع نساء.. فهل تقبلين أن يتزوج عليكِ زوجك تطبيقاً لمبادئ الإسلام؟».

عندئذ قالت فى حدة وغضب: «إن ذلك ما يردده أعداء الإسلام.. وهم جاهلون أو حاقدون على هذا الدين العظيم... فالإسلام سمح بتعدد الزوجات ولكن قيده بالعدالة التى لا يمكن أن تتحقق إلا قليلا جداً.... وبرغم ذلك فأنا أُفَضِّلُ أن يتزوج الرجل بأكثر من امرأة على أن تكون له عشيقات كما نجد فى معظم أورُبا وغيرها من دول العالم البعيدة عن الإسلام، فالرجل فيها يتزوج وفى الوقت نفسه يتخذ له أكثر من عشيقة!!

وفى محاولة أخرى لاستقراء قوة إيمانها بالإسلام قيل لها: ألا تشعرين بأن الإسلام قد فرض قيوداً عليكِ؟

أجابت فى سخرية واستنكار قائلة:

«لا ... لم أشعر بذلك مطلقاً.. فالإسلام لا يمنع المسلم إلا عن الأشياء التى تضره، ولذا حرَّمَها الله تعالى كالتبرج، وسفور المرأة الذى يؤدى بها إلى طمع الغير فيها قد يصل إلى حد الاعتداء عليها باغتصابها كما نسمع كثيراً... ومن هنا جاء حث الإسلام على ارتداء الحجاب... وإذا كانت بعض المسلمات للأسف لا ترتدى الزى الإسلامى المحتشم فهؤلاء لاشك لم يفهمن تعاليم دينهن.. ولو أنهن تمسكن بالقرآن الكريم وتعاليم الرسول ﷺ لَلَبِسْنَ الحجاب على الفور».

ثم استطردت تقول:

«أنا مثلا يمكننى أن أمارس أنشطتى العادية فى إطار مبادئ الإسلام، فلم أشعر بأى قيد علىَّ من تعاليمه، بل بالعكس شعرت بحرية النفس التى تحررت من عبودية الجسد الذى كنت أهتم بإبراز مفاتنه لأنال إعجاب نظرات الغير، ولكن الحمد لله قد هدانى الله إلى الطريق الصحيح، وأنا أشعر بفيض من النور يغمر كيانى كله، بل إننى تحولت إلى إنسانة جديدة».

هذه رحلة مضيئة قطعتها «آمال لوليه» لتصل إلى بر الأمان.. إلى الإسلام، حرصت على أن تؤدى فرائضه كاملة، ومن ذلك فريضة الحج التى جعلتها تشعر بأنها قد تغيرت تغيراً كاملا لتعيش فى عالم الطهر والنقاء والشفافية..

أنها رحلة إيمانية مرت خلالها بمراحل عديدة من الشك والحيرة والتردد، شأن من يؤمنون بعد اقتناع فيدخلون الإسلام بحماس وقوة، ولا يكتفون بإيمانهم، بل يدافعون عنه، كما فعلت «آمال» مع الذين يشككونها فى دين الإسلام.

***

مع الفتاة الرومانية «كاترين»
التى تعد نفسها كداعية مسلمة

فتاة فى العشرينيات من عمرها، ذات ملامح شرقية هادئة، تعبر عن نفسها من خلال حركات يديها وبعض مفردات اللغة العربية فتقول:

«نشأتُ فى أسرة متوسطة الحال فى العاصمة الرومانية «بوخارست».. وكانت أسرتى لا تعرف شيئاً عن الدين، ولذا لم أرَ للدين أثراً فى حياتى الأسرية....

انفصلت والدتى عن والدى وأنا فى الخامسة من العمر.... وفى سن الخامسه عشرة تركتُ منزل والدى إلى جنوب العاصمة حيث عملتُ فى إحدى دور النشر، وعن طريقها حصلت على المؤهل المتوسط، وأجدت اللغة الإنجليزية.

ومنذ ثلاثة أعوام عملت فى إحدى شركات السياحة الأوربية، وعن طريقها سمعتُ لأول مرة عن الإسلام عندما التحقت بدورة تدريبية وصحبتنى فيها بعض المضيفات العربيات ـ من ليبيا والعراق وسورية ـ اللائى بدأن يُحَدِّثْننِى عن الإسلام».

ثم تستطرد قائلة:

«لقد لاحظتُ أنه لا توجد بينهن مَنْ تتناول كأساً واحدة من الخمور أو الكحوليات، فسألت إحداهن عن سبب ذلك.. فقالت: لأن دين الإسلام يُحرم تناول الخمور.. ثم أعطتنى كتيباً عن الإسلام باللغة الإنجليزية، ومنه عرفت معنى الإسلام ومبادئه وتعاليمه وعلاقته بالأديان الأخرى.. وبعد ذلك

قرأت ترجمة لمعانى القرآن، فأحسست بالاطمئنان والراحة النفسية وخصوصاً أننى استشعرت بالإيمان الحقيقى يدخل قلبى كلما قرأت كلمة من ترجمة معانى القرآن، لذا عزمتُ على أن أُشهر إسلامى.

وبالفعل نطقت بالشهادتين وأشهرت إسلامى عام ١٩٨٩ عندما زرتُ لجنة الفتوى بالأزهر فى أثناء زيارتى لمصر».

وتصمت برهة لتستكمل حديثها فتقول:

«إننى أؤدى العبادات التى جاء بها دين الإسلام، ولكن أشد ما يضايقنى هو عدم وجود المؤلفات الكافية، فضلاً عن عدم وجود ترجمات للقرآن باللغة الرومانية، كما يُضايقنى عدم وجود هيئات تعين الذين يُشهرون إسلامهم فى دولة «رومانيا»، وبرغم أن المسلمين أقلية فى بلادى فإننى أعرف أن كثيراً من المسيحيين لا يحبون دينهم، ويريدون ديناً ببساطة الإسلام ووضوح عقيدته وسمو تعاليمه.

وإننى أرى أن كل امرأة فى أوربا غير آمنة على عرضها وشرفها وأنوثتها، والإسلام هو المنقذ لهن، لأنه يحميها ويصونها ويوفر لها كرامتها».

هذا، وجدير بالإشارة أن «كاترين» توشك أن تتحول إلى داعية إسلامية، ولاسيما أنها قد ألمت بجوانب كثيرة من الأحكام والتعاليم الإسلامية، فضلاً عن تَخَلُّقِها بالآداب والعادات الشرعية التى حثها عليها الدين الإسلامى[1].

***

(١) صحيفة المسلمين ـ العدد الصادر فى ٢٣/ ٨/ ١٩٩١ (بتصرف).

مع الإسكتلندية «باترشياها هاوشن»
التى أسلمت تأثراً بأطفالها

نشأت فى أسرة ريفية من إحدى ضواحى منطقة اسكتلندا بإنجلترا، فى حياة بسيطة بعيدة عن ضجيج المدينة وحياتها المتحررة التى غرقت فيها معظم النساء والأسر الأوربية... لم تكن تعرف مطلقاً أن هناك ديناً اسمه الإسلام.. وتحكى عن بدايات حياتها فتقول:

«كانت أسرتى تنتمى إلى «البروتستانت» وتحرص على ذهابى للكنيسة، فى حين أننى لم يكن فى نفسى قرب أو ميل إلى المسيحية، وأعترف أنه لم يكن يعنينى ما يردده القساوسة أو تحكيه الأناجيل، لأنه كان ديناً غامضاً بالنسبة لى، فى الوقت الذى لم يكن هناك أمامى بديل لرفضه».

ثم تتحدث عن طور جديد من أطوار حياتها عندما تعرفت فى العمل على شاب مسلم فتقول:

«فى مدينة «اسكتلندا» تعرفت على شاب عربى مسلم كان فى مهمة عمل، جذبتنى إليه قوة شخصيته وثقته الشديدة بنفسه، فقد كنتُ أعمل بجانب دراستى فى إحدى الشركات التى يتعامل معها هذا الشاب... وعندما طلب أن يتزوجنى سألته: هل يجوز أن يتزوج مسلم بمسيحية؟ قال: نعم.. عندئذ سألت نفسى: أية سماحة هذه؟!... وتزوجنا.

وبدأ زوجى يشرح لى تعاليم الإسلام وعقيدته ويقول لى: لكِ مطلق الحرية فى ترك المسيحية واعتناق الإسلام».

وتسترسل فى كلامها قائلة:

«كنت أستشعر فى داخلى بحب ورضاء كامل لهذا الدين، ولكن كنت أريد أن أستزيد من القراءة عن الإسلام حتى أتعرف أكثر على جوانب عظمته... وقد عاقنى عن ذلك قصر الفترة التى تزوجت فيها، ثم إنجابى لأطفالى الذين بدءوا يترعرعون أمام عينى ويحبون الإسلام بفطرتهم السليمة التى تُوحّدُ الله ولا تُشرك به شيئاً، فشعرتُ تجاههم بالخزى والحَرَج، إذ كيف أكون علَى دين غير دين أطفالى، وخصوصاً أننى اقتنعتُ وأحببت هذا الدين بعد أن قرأتُ فى العقيدة وسيرة الرسول الكريم... لقد بدأتُ أحس بسعادة غامرة وأنا أعيش فى عالم لا يعرفه إلا من يتذوق حلاوة الإيمان.

وفى حجرة مغلقة كنت أركع وأسجد... وفى أثناء تجهيزى للطعام نطقت بالشهادة، عندئذ أحسست أننى مستعدة لتحمل تبعاتها والالتزام بمنهاجه، فذهبت إلى إحدى صديقاتى المسلمات لأصحبها معى إلى الأزهر.. وهناك أشهرت إسلامى عام ١٩٨٩، وكانت مفاجأة سارة لزوجى وأولادى الذين اعتبروا إسلامى فتحاً جديداً لهذه الأسرة».

ثم تصمت برهة لتعود تؤكد بانفعال صادق فى قولها:

«إن دخولى فى الإسلام كان عن قناعة تامة من داخلى، وعن دراسة واعية متفحصة، حتى يتسنى لى معرفة حقيقة هذا الدين ومبادئه وتعاليمه».

وللسيدة «فاطمة عزت إبراهيم» ـ وهو اسمها الذى اختارته بعد اعتناقها الإسلام ـ آراء حكيمة فى الجوانب الاجتماعية والتربوية بما يتفق مع النهج الإسلامى، فمن ذلك تقول:

«الطفل مظلوم من الناحية التربوية فى المجتمع المسلم ـ فى وقتنا الحاضر ـ لأن المرأة المسلمة انجرفت فى بعض البلاد العربية وراء التقليد الأعمى للغرب، وقد فَضَّلَت العَمَلَ الوظيفى على البيت وتربية الأولاد... وعندما تعود من العمل تُعاملَ أطفالها بعصبية إذا بدت منهم أية شقاوة، فى حين أن

هذا أمر طبيعى من الأطفال الذين يحتاجون للين إلى جانب الشدة فى بعض الأحيان.

لقد أصبحت الأم منشغلة بالعمل، ظناً منها أن المستوى الاقتصادى هو الأهم.. ولكننى أضرب لها مثلاً بسيطاً: الأطفال والشباب الأوربى الآن يعيش إلى حد كبير فى مستوى اقتصادى متقدم، ولكن النتيجة النهائية هى الإدمان، وعدم المبالاة، وجرائم العنف، والانحرافات الأخرى، وهذه نتيجة حتمية لغياب القدوة والتربية السليمة... فى حين أن الإسلام ـ والحمد لله ـ يتضمن نظاماً تربوياً صحيحاً، إذا التزمت به المرأة كسبت الدنيا والآخرة».

وعن تصورها للأسلوب الأمثل لنشر الإسلام فى أوربا تصرح بقولها:

«من الواضح أن المجتمع الأوربى يختلف عن المجتمع الشرقى فى نظرته للمعتقدات وغيرها من الأمور، ولذا يجب على من يتصدى للدعوة فى هذه المجتمعات أن يكون لديه معرفة تامة بأصول الدعوة ومنهاجها القويم، وطبيعة هذه المجتمعات.. كما يجب أن تكون لديه معرفة تامة بالقرآن والسيرة والتاريخ لكى يعرف الإسلام فى صورته الصحيحة، ويستطيع بالتالى أن يرد على الشبهات والافتراءات التى تُقال عنه من قِبَلِ أعدائه.

وأود أن أشير إلى أن النساء الأوربيات الآن يدخلن فى دين الله أفواجاً، لأن المرأة هى أول من ظُلِمَتْ من قبل الحضارة الأوربية، ويعد الإسلام بالنسبة لها كطوق نجاة يحميها ويعلى من شأنها كما أراد الله لها.

وأنا أحسب أن الإسلام قادم قريباً من قلب القارة الأوربية، وسوف يكون للنساء فضل واسع فى نشر الإسلام».

من هنا نرى أن الأخت المسلمة «فاطمة عزت إبراهيم» قد تعرفت على الإسلام وحقائقه ومنهاجه حتى صار لها فكر سديد فى مجال الدعوة الإسلامية[1].

* * *

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ٢٦/ ٦/ ١٩٩٢ (بتصرف).

مع السيدة الهندية «آسيا»[1]

عاشت فى بيئة بعيدة كل البعد عن قيم ومبادئ السماء، فهى من أسرة تدين بعقيدة «السيخ». . لفت نظرها للإسلام أحد المسلمين فى لندن ـ حيث تعيش حالياً ـ وقد عرض عليها الزواج. . . . فاستغربت هذا العرض فهى مطلقة من زوج سيخى بل أخذتها الحيرة والعجب من ذلك الذى يريد أن يتزوج بها ولديها ثلاثة أطفال فهى مازالت متأثرة بعقيدة السيخ التى لا توافق على الزواج مرة أخرى. . . فسألته هل يجوز ذلك لديكم؟

فأجابها بقوله:

«إن الإسلام يجيز للمطلقة أن تتزوج مرة أخرى».

ثم ذكرت أنه قد أعطاها مثالاً حيّاً هو أن نبى الإسلام محمداً ﷺ تزوج بالسيدة «أم سلمة» وقد كانت مطلقة، وشرح لها قصتها كاملة. . .

ومن هذا الموقف بدأت البحث بنفسها عن الإسلام. . . وتعبر عن ذلك بقولها:

«. . . ثم بعد فترة من الزمن حاولت بنفسى البحث عن الإسلام، وفى لحظة واحدة، وبدون أى تخطيط، ذهبت إلى المسجد الكبير بلندن، وأخبرتهم أنى أريد أن اعتنق الدين الإسلامى، وتشهدت الشهادتين هناك، وأنا إلى الآن لا أتذكر ما الذى دعانى إلى الذهاب إلى المسجد لإشهار إسلامى، ولكن أقول بأنه توفيق الله وهدايته. .

(١) مجلة عفاف التى تصدر فى لبنان ـ عدد يوليو ١٩٨٨ (بتصرف). .

بعد ذلك اشتريتُ كثيراً من الكتب التى تتحدث عن الإسلام، وحاولتُ أن أتعرف وأقابل المسلمين الملتزمين.. وأبتعد عن المسلمين غير الملتزمين الذين قد يعطونى فكرة خاطئة عن الإسلام ويبعدونى عنه... وبعد ستة أشهر من البحث والقراءة اتضح لى أن الأمة المسلمة الحقيقية غير موجودة، ولكن ولله الحمد قابلت الكثيرين من المسلمين المطبقين لتعاليم الإسلام وسلوكه».

ثم تصمت برهة لتستكمل انطباعها عن المسلمين قائلة:

«لقد آلمنى كثيراً رؤية بعض المسلمين اللاهثين وراء الدنيا وملذاتها، ولكن تعلمتُ أن هذا بينهم وبين ربهم، وهذا لا يضرنى طالما أنى أعيش مع حب الله وخوفه، غير أنى أقول: إنه قد أسعدنى رؤية أقلية مسلمة حقيقية تعيش حياتها كمؤمنين حقيقيين.. وهذا شجعنى كثيراً وأزَالَ عنى ثقل الإحساس بأن هناك مسلمين غير ملتزمين، وجعلنى أدعو لهم بالتوفيق جميعاً.

وعندما تذكر «آسيا» عقيدة «السيخ» التى تدين بها أسرتها تقول فى أسىً وحُزن:

«السيخية ديانة محيرة، فهم يقولون[1] بوجود إله واحد، ولكنك تجد لديهم الكثير من التماثيل التى يقدسونها ويتبركون بها، وهم لا يجيزون أكل الأبقار كالهندوس، ولكن يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمور.. ولا يجيزون للمطلقة أو الأرملة الزواج مرة ثانية... وللطبقة الغنية معبدها الخاص.. وللطبقة الفقيرة معابدها، وهذا عامل من عوامل تقسيم الناس، وهو مخالف تماماً للإسلام، فالفقير والغنى كلهم سواسية عند الله».

ثم تقف عند هذا التعبير متأملة وهى تقول:

«قد وجدت هذا الأمر أجمل ما فى هذا الدين، خصوصاً لمسلمة جديدة مثلى».

(١) تقصد: أتباعها.

ثم تهزأ حين تقول:

«الهندوسية والسيخية متصلة بعضها ببعض، والكتاب المقدس لديهم كتبه الرسل التى جاءت إليهم ـ حسب اعتقادهم ـ وهو عبارة عن نصائح وتوصيات لعمل الخير وتجنب الشر».

وتختم حديثها قائلة فى إصرار المؤمن:

«لقد فقدت عائلتى بأكملها عندما اعتنقتُ الدين الإسلامى، فقد عاملونى كمجرمة لا تستحق أن يعرفوها، ولذا قتلت شوقى إليهم، فليسوا كل شئ فى الحياة، فأشرف لى أن أموت وأنا مسلمة عن أن أنصاع لمطالبهم».

* * *

مع الأمريكية «لمياء» التى وجدت نفسها فى الإسلام

ظلت سنوات طويلة تبحث عن الحقيقة الكبرى حتى وجدتها فى الإسلام، فلم تتردد فى اتخاذ القرار الصعب باعتناقها الإسلام.. وعن رحلة إيمانها تقول «لمياء» الأمريكية:

«إن إقبالى على الإسلام كان حدثاً مفاجئاً وغير متوقع، بالرغم من أنه جاء فى وقت كنتُ أجد رضًا نفسى يتناقص يوماً بعد يوم تجاه المسيحية.. كان ذلك فى مرحلة التغيير التى تصاحب فترة البلوغ والرشد، ففى الأشْهُر الأولى من التحاقى بالجامعة قابلت مسلمين - من عدة بلدان - يطبقون إسلامهم، حيث إن هناك مسلمين بالاسم فقط.

وبدأتُ أقرأ كتباً مترجمة عن الإسلام، بجانب ترجمة معانى القرآن الكريم، وكان من نتيجة ذلك أننى اكتشفتُ أن عقيدة التوحيد سلسة وغير معقدة... وأن منهاجه شامل ومتكامل يجمع مختلف أمور الحياة، ويفضل منهاج الحياة فى الغرب وبالرغم من أن بعض القيم فى الثقافة الغربية المتحضرة تتماثل مع بعض القيم الإسلامية، كتشجيع الاجتهاد والبحث عن المعرفة مثلاً، فإن أسبابها ودوافعها مختلفة.

ومن حيث الممارسة والتطبيق، فلقد كان الحجاب والصلاة والصوم عوامل غيرتْ فىَّ مجرى حياتى وسلوكى، فقد وجدت لنفسى كمسلمة حدوداً

وضوابط مريحة ومنطقية أستطيع فى إطارها أن أعيش حياة مطمئنة، لا يهمنى فيها رضاء أحد سوى الله سبحانه تعالى، بدلا من حياة الحرية اللامحدودة التى تعيشها المرأة الغربية، حيث لا تجد أمامها من اهتمامات سوى الموضة والأزياء وتسريحات الشعر و «الماكياج» ـ على سبيل المثال ـ وهى تحتاج عادة ـ إلى أكثر من ساعة قبل الخروج إلى مكان عام للعمل أو الدراسة أو الذهاب للخارج عموماً. فى حين أن المرأة المسلمة تحتاج إلى دقائق معدودة لترتدى حجابها. . هذه هى الحرية التى أحيا فى ظلها كمسلمة، والتى تعلمتُ منها ممارسة القيم الحميدة مثل احترام وطاعة الوالدين، وإكرام الضيف، وغير ذلك من قيم وفضائل».

وعن تصورات «لمياء» الأمريكية عن الإسلام والمرأة المسلمة تمضى فى حديثها قائلة:

«قبل إسلامى كان لدىَّ انطباعٌ مُبهم من خلال افتراءات وسائل الإعلام الغربية أن الإسلام هو دين الإرهاب، ويضطهد المرأة، ولكننى فى نفس الوقت كنت أشعر أن ذلك الانطباع غريب وغير منطقى، وتأكد لى هذا الشعور عندما وقع فى يدى كتاب مهم جداً، هو «شبهات حول الإسلام» للأستاذ محمد قطب. . . . . وقد ساهم هذا الكتاب فى أن يوضح لى حقيقة الكثير من هذه الشبهات.

ومنذ أن نطقتُ بالشهادتين وحتى الآن لم أرْتَبْ أو أشك لحظة واحدة فى موقف الإسلام من المرأة أو أى قضايا أخرى. . فلقد وجدت أن تعاليم الإسلام منطقية تماماً، ومتزنة، وخالية من التناقض، من ذلك مثلا دعوة الإسلام لتحجب المرأة، وحث الرجل على حفظ حقوقها وعدم التفريط فيها.

وإن أكثر ما يثير إعجابى تلك الروابط الأُسَرية الوثيقة التى تجعل الفرد مطمئناً بأن هناك ـ وعلى الدوام ـ شخصاً ما بالقرب منه، على استعداد لمد يد العون إليه وتقديم الرعاية له، ولذلك قلما يوجد أى إحساس بالوحدة فى المجتمع المسلم».

وتعيش «لمياء» الأمريكية مع زوجها اليمنى فى بلده، تاركة أمريكا وبريق حضارتها المدنية لتنعم بالمعيشة فى كنف زوجها، تؤدى واجباتها الإسلامية نحو ربها وأسرتها[1].

* * *

مع السيدة الألمانية «إيزابيلا الفربيل»

لم تكن مقتنعة من قبل بتعاليم الدين الإسلامى، برغم سماعها عنه كثيراً.. ولكن بعد زواجها من مسلم اقتنعت بسلوكه وآدابه التى تمليها عليه تعاليم الإسلام... فماذا كانت النتيجة؟

تقول «إيزابيلا» فى نبرة سعادة خفية:

«انشرح صدرى، وبدأت أقتنع بكل ما يدور حولى، فأشهرتُ إسلامى بعد كثرة التحدث مع زوجى فى بعض الأمور الدينية، فوجدت أن الدين الإسلامى فيه معانٍ سامية، مثل حق المسلم على أخيه المسلم من التواصل والتراحم، والعطفَ على الفقراء والمساكين، وعدم ارتكاب الفواحش، وغير ذلك من معانٍ نبيلة أسعدتنى جداً عندما يتمثل بها الإنسان فى الحياة».

ولم يكن هذا هو الدافع الوحيد لضرورة إشهار إسلامها، ولكن كان هناك شئ آخر يحركها ويدفعها بعيداً عن دينها المسيحى الذى وُلدت وتربت عليه... عن ذلك تصرح قائلة:

«المسيحيون يقولون بأن هناك ربّاً وابناً وروحَ قُدس.. ومن الصعب التصديق أو الاعتقاد بهذا الذى يسمونه «الثلاثى المقدس»... فى حين أن المقنع جداً هو ما جاء به الدين الإسلامى، والذى على أساسه لا يتم الاعتقاد إلا بالٕه واحد فقط.. ألا وهو الله الفرد الصمد، لا شريك له».

---

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ٢٧/ ٣/ ١٩٩٢ (بتصرف).

وشئ آخر شدها إلى الإسلام بعد أن شعرت بشعور غريب لم تعرف كنهه.. كل ماتعرفه أنها وجدت نفسها مشدودة إليه.. إلى الأذان.. عن ذلك تقول فى حرارة وحماس:

«سمعتُ الأذان لأول مرة فى «ألمانيا» حيث يوجد مسجدان، أحدهما فى الشمال، والآخر فى الجنوب.. فكنتُ أسمع الأذان ولكن لم أفهم ما يُقال، ومع ذلك فكنتُ أشعر بشئ ما فى داخلى.. شعور غريب لم أشعر به من قبل.. وكان من الصعب علىَّ فهمه، ولكن بعد اعتناقى للإسلام بدأت أعى ما كنتُ أستشعره من قبل».

وتذكر «إيزابيلا» فضل زوجها فى الأخذ بيدها ومساعدتها فى تفهم تعاليم دينها الجديد فتقول فى امتنان وعرفان بالجميل:

«لا أنسى دور زوجى فى إقناعى وإشهارى للإسلام، إذْ كان هو المعلم الأول لى.. كما أن أهل زوجى وقفوا بجانبى، وصاروا يقدمون لى الكتب الدينية، ويساعدوننى فى تعلم القرآن الكريم».

ثم لم تلبث أن تزداد دائرة ابتسامتها وهى تكمل حديثها عن رحلة إيمانها قائلة:

«لقد بدأتُ أتعود على الصيام، كما تعودتُ على الصلاة، لأنه فرض على كل مسلم ومسلمة.. كذلك قمت بأداء فريضة الحج التى كانت أمنية غالية على نفسى طالما تمنيتها من الله جلت قدرته..».

وتصمت فجأة عند ذكر الحج وتغيم عيناها خلف دمعات تحجرت فلم تتساقط من التأثر لترتفع حرارة كلماتها وهى تقول:

«لا يتصور أحد مدى سعادتى وأنا أرى الملايين من البشر متجهة بقلب خاشع لرب العالمين.. وهذا شعور كل مؤمن».

ثم نضيف قائلة:

«إننى كلما تعمقت فى ديننا الحنيف، شعرتُ بأننى أسير فى طريق واضح منير، وخصوصا بعد حفظى للعديد من سور القرآن الكريم».

ومن الطريف المثير للإعجاب والتقدير أن تأسف «إيزابيلا» لعدم قُدرتها على دعوتها للغير بدخول الدين الإسلامى كواجب تستشعره تجاه دينها الجديد، وذلك لعدم تعمقها جيداً فى تعاليم الإسلام، مما يجعلها غير مؤهلة للقيام بالدعوة الإسلامية، كانت تذكر ذلك بأسى عميق[1].

***

مع الفرنسية «إيزابيل بوسون» التى صارت «ياسمين»

هى فتاة فرنسية فى السادسة والعشرين من عمرها، وجدت فى الإسلام ما جذبها إليه بعد أن أسلمت صديقة مقربة إليها... إنها قصة تحكيها فتقول:

«كانت حياتى السابقة أقضيها مع عائلتى التى كنتُ شديدة الارتباط بها، فلم أنفصل عنها مثل غالبية الشباب الأوربى الذى ما إن يصل إلى سن الشباب حتى يهجر عائلته ويعيش مستقلاً.

وكنتُ بطبعى أنفر من اللهو العابث ومظاهر المجون والاستهتار، ولا أشرب الخمر، وقد ساعدتنى على ذلك عائلتى المحافظة والمتمسكة بتعاليم الدين المسيحى».

ثم تضيف:

«لم ألتق طيلة عمرى مع مسلمين أو أتعامل معهم، وبالتالى لم يكن عندى أية معلومات عنهم، إلى أن حدث أن أسلمت صديقة مقربة لى بعد أن تعرفت على شاب مصرى مسلم وتزوجها، ودعتنى لأزورها فى بيتها مرات

(١) نهدى هذا الشعور لرجال الدعوة الإسلامية والهيئات المختصة فى مجال الدعوة وللمسلمين عامة.

كثيرة، حيث شاهدت الأسلوب الراقى الذى يُعامِلُ به الزوج المسلم زوجته، وخلو بيتها من الخمور. . كما لفت نظرى أن صديقتى صارت ملتزمة بآداب سامية فى التخاطب والتعامل مع الناس، فضلاً عن حرصها الشديد على أداء الصلاة فى وقتها، وذكرها الله سبحانه وتعالى كثيراً فى أثناء الحديث العادى مع زوجها. . . . عندئذ بدت لى أن حياة صديقتى وزوجها تتسم بالاستقرار والهدوء والاحترام المتبادل، بعد أن أخبرانى أن الزواج قائم فى الإسلام على الإخلاص والمودة والرحمة».

ومن هنا بدأت «إيزابيل» تفكر فى الإسلام، ذلك الدين الذى يُحيل الحياة المضطربة إلى استقرار وهدوء ومودَّة، إلى أن تعرفت هى الأخرى على شاب مسلم يمتلك مطعماً فى باريس، يُدعى «عبد المجيد سلطان عبد الرحيم»، حدثها كثيراً عن الإسلام، وأجابها على استفساراتها وأسئلتها المتعددة التى دارت حول موضوعات كثيرة، منها نظرة الإسلام للمرأة ومدى احترامه لها، وحفاظه على كرامتها وحقوقها، ومن ذلك حرصه على ألا تختلى المرأة برجل غريب عنها.

كما أوضح لها أن الإسلام هو خاتم الأديان، وأن المسلمين يشهدون أن عيسى نبى له رسالته التى تدخل فى نطاق الإيمان لديهم. . . وأن للسيدة مريم العذراء مكانة سامية لدى المسلمين، يدافعون عنها أمام الاتهامات الباطلة. . ولاقت هذه الأحاديث المفصلة عن الإسلام والإجابات على استفساراتها ارتياحاً وقبولاً لديها. . كما لاقت طبيعة شخصيتها وما تتميز به من سمو نفسى ارتياحاً وقبولاً لدى هذا الشاب المسلم فتقدم للزواج منها. . . وعن ذلك تقول بنبرة سعادة تكشف أحاسيسها:

«وتقدم «عبد المجيد» لأهلى طالباً الزواج منى، وأنا سعيدة لرغبتى أنا أيضاً فى الاقتران به، إلا أن الرفض والمقاومة كانت من جانب أهلى، إذ كيف أتزوج شاباً مسلماً وأنا فتاة مسيحية؟!. ولكن استطاع «عبد المجيد» أن يجلس

معهم ويقنعهم بحديثه الهادئ الرزين بأنه لن يرغمنى على اعتناق الإسلام، حيث إنه لا إكراه فى الدين.. فرأوا فى شخصيته وحُسْن حديثه وسلاسته ما طمأنهم.. وتم الزواج».

وتصمت للحظات لتستطرد بعدها فى حديثها قائلة:

«بعد أن سعدتُ بالزواج من «عبد المجيد» أخذ يحدثنى أكثر عن الإسلام كعقيدة ومنهج فى الحياة.. كما أخذ يُزَوِّدنى ببعض الكتب الإسلامية المترجمة إلى اللغة الفرنسية، لعلى أجد فيها إجابات عن أسئلة أخرى تدور فى ذهنى.. وساعدنى فى ذلك أيضاً أحد أقارب زوجى، وهو متعمق فى الدين، فشرح لى سورة الإخلاص التى عرفت منها وحدانية الله، واستكانت نفسى إليها بعد أن اقتنعتُ تماماً بهذا المبدأ الذى هو أول أركان الإسلام، فأشهرتُ إسلامى».

والآن تداوم «ياسمين» - وهو الاسم الذى أطلقته «إيزابيل» على نفسها بعد إسلامها - على الذهاب إلى جامع باريس لتزداد علماً ومعرفة بدينها الجديد، ولتستطيع أن تصقل نفسها لتقوم بالدعوة إلى الإسلام بين الفرنسيات وغيرهن من الأوربيات[1].

* * *

(١) جريدة المسلمين الأسبوعية الصادرة فى ١٥/ ٢/ ١٩٩١ (بتصرف).

مع الإنجليزية «نيكولا كلارك»

فتاة إنجليزية نشأت فى أسرة مكونة من أُمّ بروتستانتية وأب كاثوليكى... تعمل سكرتيرة بإحدى مستشفيات مدينة «برمنجهام» أتاح لها عملها الاختلاط والتعرف على العديد من الجاليات من مختلف البلاد والثقافات.

حدث أن دعتها مريضة مسلمة لزيارتها فى بيتها... وعندما ذهبت إليها شاهدت عن كثب نموذجاً للحياة التى تتطلع إليها، حيث الطمأنينة والوئام الروحى بين أفراد الأسرة.. مما جعل «نيكولا» تغيب عن نفسها وقد راحت تبحث عن سر الأمان والسكينة التى تنعم بها تلك المريضة هى ومن حولها من أفراد أسرتها.. وأخذت تتساءل وتقارن بين وضعها الأُسَرى وبين ما شاهدته بالفعل أثناء زيارتها تلك حتى اقتربت من السبب الحقيقى.. وعن ذلك تصرح قائلة فى إيمان:

«لقد عرفتُ أنه الإسلام، فآمنتُ به عن قناعة، وأعلنت إسلامى ولبست الحجاب».

ثم تضيف مبتسمة:

«لما شاهدنى الجيران فى زيى الجديد سألوا أمى: «ما الحكاية؟».. فقالت لهم ببساطة: «لقد أعلنت نيكولا إسلامها»عندئذ قالوا لها: ألست خائفة؟».

وتعلق «نيكولا» التى أصبح اسمها الآن «نائلة» على هذا السؤال بقولها:

«إنه ناتج عن سطحية التفكير الشائع فى إنجلترا، حيث يأخذ الناس

بأسلوب «التعميم» لفهم ما يحيط بهم من أمور، فعندما يرتكب أحد المسلمين خطأ يصبح كل المسلمين فى نظرهم مُدَانِين».

وتستطرد «نائلة» قائلة:

«إنها لا تهتم بهذه السفاسف، وأن مايهمها فى المقام الأول أن يقوى إيمانها، وأن يثبت قلبها على حب الله ودينه، وأن تتمكن من إنقاذ البنت الإنجليزية من الهاوية التى تردت فيها بعد أن أصبحت بسبب التقاليد والسلوكيات الغربية مجرد سلعة».

ومن العجيب أن تقول أم نيكولا - التى لم تعتنق الإسلام بعد - إنها سعيدة بابنتها إلى أقصى حد، بل وفخورة بها بعد أن أكسبها الإسلام توازناً فى حياتها، وقوة فى شخصيتها.

* * *

مع السيدة «آنا» التى صارت «هناء» المسلمة

نشأت فى بيئة مسيحية متعصبة بإحدى مقاطعات ألمانيا.. ورُبيت على الاعتقاد بأن الإسلام دين ابتدعه «راعى غنم» حسب ما يزعمه قومها.. وأن أَتْبَاعَ هذا الراعى يعبدونه.. فهم إذن لا يؤمنون بأن الخلاص لا يكون إلا بعبادة «المسيح» الذى افتدى البشرية بالصَّلْبِ على الصليب كما يقول الآباء والقساوسة على مر السنين.

كما أنها لم تكن تعرف شيئاً عن الإسلام سوى أنه يُمْنَعَ أتباعه من شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، ويبيح للرجال منهم «اقتناء» أكثر من زوجة، فليست المرأة سوى جزء من متاع الرجل.

تلك كانت كل معلومات «آنا» عن الإسلام والمسلمين، حتى جاء يوم رشحها أحد رؤسائها للعمل كممرضة فى مستشفى خاص فى المملكة العربية السعودية.. يومها اعترض زوجها، وترددت هى: أيمكن أن تذهب إلى حمَى الإسلام وهى لا تعرف عن المسلمين سوى ما لا يسرها.. لكنها

ما لبثت أن حسمت التردد حين التقت بذلك الشاب المسلم الذى جاء ليبرم العقود، إذْ أذهلها أدبه الجم، وتواضعه، وعزة نفسه، واعتزازه بعقيدته. . . فوافقت «آنا» على التعاقد. . وفى ذهنها أنها تجربة أو مغامرة أن تذهب إلى تلك البلاد المتخلفة ـ ديار المسلمين ـ إذْ كانت صورة المملكة فى تصورها عبارة عن صحارى بها عدة آبار للبترول لا يعرفون كيف يستخدمونها. . لكنها ما إنْ وصلت إلى المملكة حتى فاجأتها مظاهر العمران الحديث من ناطحات سحاب و «فلل» أنيقة، وشوارع متسعة نظيفة، وكبارى تربط بين أنحائها وغيرها من مظاهر التحضر العمرانى. وزادت دهشتها أكثر حين بدأ احتكاكها بالمجتمع السعودى. . فقد عرفت ـ للمرة الأولى ـ أن هناك طبيبات سعوديات، وأن فتيات المملكة يتسابقن إلى العلم حتى يصلن إلى أعلى درجاته، ولا أدل على ذلك من ازدياد أعداد الفتيات الجامعيات. .

ومما أعجبها ـ على حد قولها ـ مارأته فى هذا المجتمع من ترابط أُسرى، وحب الكبير للصغير، واحترام الصغير للكبير، وفوق كل ما يتحلى به المجتمع المسلم من أخلاق رفيعة، وبُعد عن الصغائر، وسوء السلوك.

ومما لفت نظرها أن ترى العمل يتوقف والمحالّ والمنشأت التجارية تغلق أبوابها كلما ارتفع صوت المؤذن فى المساجد بالنداء للصلاة. . كانت ترقب الناس وهم يتركون مالديهم من أعمال وأمور الدنيا ويتجهون إلى المسجد. .

إنها تذكر كيف كانت تنظر إليهم من بعيد وهم يقفون فى صفوف متراصة ـ على اختلاف جنسياتهم ومكانتهم الاجتماعية ـ بسكينة ووقار وهدوء جم ليعلو صوت شخص يتقدمهم فى الأمام وهو يَؤُمُّ الجَمْعَ، والكل يتبع حركاته وسكناته فى اتفاق بعيداً عن أى اختلاف.

لقد شدها هذا المنظر ـ منظر التقاء المسلمين فى الصلاة ـ وقارنت بينه وبين ما يفعله المسيحيون فى أوربا، من عدم احترامهم للكنائس، وقلة اهتمامهم بالصلاة، فضلاً عن عدم التزامهم بأى مسلك دينى أو خُلقى رفيع.

قادها ما رأته ولمسته بنفسها إلى تغيير الفكرة الخاطئة التى كانت منطبعة فى ذهنها عن الإسلام والمسلمين، إذ وجدت المرأة المسلمة على عكس ما صوروه لها... فقد وجدتها امرأة مثقفة، جَذَّابَة، متدينة، تتمتع بالحرية التى كفلتها لها الشريعة الإسلامية، تسمو بنفسها فوق ما يشينها من صغائر وسلوك لا يليق بها كامرأة ملتزمة بآداب منبعها دينها وخُلُقها الفطرى الطيب.. وذلك ما حببها فى الإسلام، فما رأته ولمسته فى المسلمات - ولاسيما زوجة مدير المستشفى التى تعمل بها - كان له تأثيره فى إعادة صياغة نظرتها عن هذا الدين.... فتعبر «آنا» عن ذلك بقولها:

«لقد حببنى فى الإسلام ما رأيته فى المسلمات من خُلُق رفيع، وخصوصاً حين تعرفتُ على زوجة مدير المستشفى التى ارتبطتُ معها بصداقة وثيقة مما يَسَّرَ علىَّ أن أعرف الكثير عن المسلمين وعقيدتهم، وأن ألمس ذلك الأمان النفسى والروحى اللذين يحياهما المسلم والمسلمة فى حين يفتقدهما الإنسان الغربى المسيحى، الذى صارت حياته لا تعرف سوى الضياع والتخبط، والعنف والجريمة، والسرقة، واللهاث المادى، والانحراف الأخلاقى، مهما قيل ويُقال عن ارتقاء حضارة الغرب».

وأخذت «آنا» تقترب من صديقتها زوجة مدير المستشفى محاولة أن تتعرف على الإسلام ومبادئه وتعاليمه.. وكان لها ما أرادت من معرفة وعلم بعقيدة الإسلام، قدمتها لها تلك الصديقة فى بساطة وإيضاح... وكان أكثر شئ شرح صدرها للإسلام هو ما تحكى عنه قائلة:

«لقد عرفت أن المسلمين يعبدون إلـهاً واحداً لا شريك له، وأن محمداً ﷺ وهو رسولٌ كُلِّفَ بإبلاغ الرسالة.. وأن لعيسى عليه السلام وسائر الأنبياء مكانة عالية فى نفوس المسلمين... وكم تأثرت عندما عرفت أن للسيدة مريم العذراء تلك المكانة العظيمة هى ولابنها عيسى عليه السلام حيث لا يذكرهما المسلمون إلا والتقدير والحب الكبير يحيط بهما، فبدأتُ أشعر أن الإسلام هو دين الحق».

ثم تضيف قائلة:

«لقد شعرتُ أن نفسى قد أفاقت على صورة جميلة مغايرة لما كان مستقراً فى عقلى من أكاذيب روَّجَتَ لها الدعاية الصهيونية والحاقدون على الإسلام».

وبرغم ذلك لم يكن ترك «آنا» للنصرانية سهلاً، فكيف تتخلى عن عقيدة عاشت معها سنوات طويلة لتنضوى تحت لواء ديانة أخرى لم يمر عام على تعرفها عليها؟

ثم ماموقف أهلها وزوجها فى «ألمانيا» حينما يعلمون بنبأ دخولها فى الإسلام؟.... هل يقبل زوجها الدخول معها فى دينها الجديد أم يرفض؟... إن معنى رفضه أن ينفصلا، فالمسلمة - كما عرفت - لا تحل إلا لمسلم، فهل يقبل زوجها طلاقها؟ أسئلة كثيرة اشتعلت بها رأسها فى ليال مسهدة عديدة عاشت فى خضمها.. كما تصف نفسها كَزَوْرَق تتقاذفه أمواج البحر العاتية، تدفعه حيناً إلى الشاطئ، وتجذبه تارة إلى عرض البحر حيث الغرق والموت، وهناك صوت يصرخ فى أعماقها: «آنا».. إلى متى تظلين تتخبطين فى ترددك؟!... أيهما أحب إليكِ: دنياك أم آخرتك؟».

وأخيراً حسمت «آنا» أمرها بعد أن استقر فى وجدانها أن عليها أن تتبع الإسلام ذلك الدين الأحق بالاعتناق، ولاسيما أن ما جاء به يتفق مع قناعة نفسها واقتناع عقلها.. فلم تتردد فى النطق بالشهادتين.. فتصف شعورها حينئذ بقولها:

«لقد شعرت براحة كبيرة، كأنما انزاح عن صدرى كابوس كان يؤرقنى.. أحسستُ بأنى وُلدت من جديد.. واخترتُ لنفسى اسم «هناء» للسعادة والهناء الذى أنعم به الآن».

بعدها ذهَبَتْ للقاء صديقتها المسلمة زوجة مدير المستشفى لتعرف منها المزيد عن الإسلام وتعاليمه وآدابه لتخبرها بأمرها، فلم تملك صديقتها الا أن تحتضنها وتمدها بكل معلومة عن الإسلام تسعفها بها خاطرها حينئذ، ومن ذلك ضرورة ارتدائها للحجاب، فارتدت. هناء المرأة المسلمة الحجاب بعد أن

خلعت ثيابها السافرة مع حياتها الماضية عندما كانت تسمى «آنا»... إنها تقول بعد أن ارتدت الحجاب ـ لأول مرة:

«لقد شعرتُ بقيمتى.. فأنا الآن إنسانة مسلمة».

وبادرت «هناء» بالكتابة إلى أهلها وزوجها لتزف إليهم خبر إسلامها، وتدعوهم للدخول فى دين الحق، فجاءها الرد بالاستنكار والرفض، وأرسل زوجها إليها مطالبا إيَّاها بالعودة إلى «ألمانيا»، والارتداد فوراً عن دين الإسلام.. ولكنها قامت بدورها بالكتابة إليه شارحة له معنى الإسلام، وحقيقته، ومزاياه، وتعاليمه.. ولكنه أبَى واستكبر إلا أن يظل على ضلالته، فلم تملك «هناء» إلا أن تأسَى على موقفه المتعنت مُرَدِّدَةً فى نفسها ما حفظته من قوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(1).

وبالتالى كتبت إلى زوجها مرة أخرى ساءلة إياه أن يُطلقها مادام لا يرغب فى اعتناق دين الحق، لأنها لم تَعُدْ تَحلُّ له، ولم يعد يحل لها وهى المسلمة وهو غير مسلم.

وطلقها زوجها، فلم تحزن أو تضعف فإيمانها بدينها الجديد جعلها تعرف أن الله عز وجل كبير لا ينسى عباده.. وهو ماحدث، إذْ لم تمر فترة على انتهاء عدتها حتى قيض الله لها زوجاً صالحاً، مصرىَّ الأصل، أمريكى الجنسية، يدعى «محمد سلامه».

والآن يعيش الزوجان المسلمان فى سعادة أسرية، يرفرف عليهما روح الإيمان والسكينة وطمأنينة البال.

ومن الطريف أن «هناء» لم تكتف باعتناقها للإسلام، وإنما تقوم بشرح مبادئ الإسلام ومزاياه لكل من تجد فيها خيراً من صديقاتها الغربيات، حتى

(1) سورة القصص ـ من الآية 56.

أنها تمكنت بالفعل من إقناع صديقة لها تدعى «أرسولا» فاعتنقت الإسلام هى الأخرى وتسمت باسم «عبير».

وترى «هناء» أن هناك قصوراً فى الدعوة الإسلامية فى الغرب، وأن على الدعاة أن يتغلغلوا فى المجتمعات، ولا يكتفون بالدعوة على المنابر وعَبْرَ المراكز الإسلامية، كما أن عليهم أن يُفهموا الغربيين حقيقة موقع المسيح عليه السلام وأمه العذراء فى الشريعة الإسلامية، وكيف يوقره المسلمون باعتباره نبيّاً من أنبياء الله، بَشّرَ بمقدم محمد ﷺ.

إن أمنية «هناء» ـ كما تقول ـ أن يكتب الله لها من العمر مايسمح لها أن تعوض ما فاتها من سنى حياتها قبل إسلامها بالدعوة إلى الله فى وطنها، وبين قريباتها وصديقاتها لعل الله يكتب خلاص أرواحهن على يدها بإسلامهن(١).

* * *

مع الإنجليزية «وندى سميث»(٢)

هى فتاة إنجليزية تعرفت على الإسلام من خلال تعرفها على شاب عربى (أردنى) مسلم، كان يدرس فى بريطانيا.... جذبها للإسلام بأخلاقه السامية وورعه الذى اتسم به سلوكه وتصرفاته مع من حوله، وما تحلى به من صفات لم تجدها فى غيره، من الصدق والأمانة والتواضع.

وعندما رغبت «وندى» أن توطد علاقتها وتقترن به كزوجة. أرادت أن تكون على شاكلته من الخصال الحميدة والسلوك الرفيع الذى يتميز به، وعرفت أن دينه الإسلام هو الذى يحثه على ذلك، فهو يدعو إلى مكارم الأخلاق.... عندئذ قررت أن تعتنق الإسلام.

وأخذت «وندى» تتعرف على تعاليم الإسلام وسلوكياته من خلال هذا الشاب المسلم الذى اقتنع بإيمانها وحُسن إسلامها، فأبدى رغبته فى الزواج منها، فرحبت بذلك، فقد كانت هى رغبتها من قبل، منذ أن تعرفت عليه.

---

(١) مجلة الفيصل العدد رقم (١٦٧) (بتصرف).

(٢) مجلة المسلمين ـ العدد الأربعون / نوفمبر ١٩٨٥ (بتصرف).

وبعد إتمام الزواج ازداد حبها للإسلام كعقيدة ومنهج للحياة، فألزمت نفسها بسلوكياته بعد أن عاشت متحررة طليقة من أى قيد أو التزام أخلاقى فى بيئتها الغربية، كأى فتاة غربية، ولذا فهى تندم على مافات من عمرها قبل أن تتعرف على الإسلام وسلوكياته، فتقول بصراحة وبدون مواربة:

«إننى نادمة على كل يوم أفنيته من حياتى قبل أن أعرف الإسلام وأعتنقه... فلقد كنت أتمنى لو أننى كنت أعرف هذا الدين منذ ولادتى»....

ثم تتعجب باستنكار قائلة فى موضع آخر من حديثها:

«كيف بالعرب والرسول محمد عليه الصلاة والسلام منهم، والقرآن بلغتهم.. والمساجد كثيرة... كيف يبتعدون عن هذا الدين؟!... كيف يقلدون الغرب...؟!

وصار إيمان «وندى» نابعاً من وجدانها وفكرها، وحرصت على تطبيق تعاليم الدين وسلوكياته فى حياتها بعد أن ازداد رسوخ إسلامها فى نفسها، حتى إنها رفضت الرجوع إلى أهلها الذين لم يرضوا عن إسلامها، برغم العروض العديدة التى قدموها لها، وبرغم التهديدات والوعيد لكى ترضخ لهم... ولكنها لم تُبَالِ ولم تستجب لهم.. لقد رفضت بإصرار أن تعود لملتها التى تركتها، فقد كانت مسيحية بروتستانتية... كما رفضت أن تعود فتاة غربية فكراً وسلوكاً.... وهى التى كانت متمشية مع سلوكيات الغرب بكل ما فيه من تحرر وإباحية... فلقد تغير كل شئ فيها بعد اعتناقها للدين الإسلامى.

وتذكر «وندى» أنها ـ الآن ـ لا تشعر بالغُربة بعد أن ابتعدت عن أسرتها التى تكره دين الإسلام، فناصبوها العداء... فتقول باطمئنان وسكينة:

«لا أحس بالغربة، ولا أشعر بها على الإطلاق.. الغُربة عندى هى أن أعيش بعيداً عن مجتمعى الإسلامى لا أن أعيش بعيداً عن أهلى.... فأهلى

الآن هم المسلمون. . . أهلى زوجى، وأقاربه، وأسرته. . . . أهلى أهل البلد المسلم الذى أقيم فيه».

ثم تبتسم فى استحياء قائلة:

«. . ولكن لا أَنسَى أن ديننا الإسلامى يحثنا على ألا نُقاطِعَ الوالدين، فالله يقول: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ... ﴾(1)

لقد صارت «وندى» بعد أن أنعم الله تعالى عليها بالإسلام راضية كل الرضا تطلب من ربها أن يغفر لها ماتقدم من ذنبها وما تأخر. . . . إنها سعيدة بإسلامها، تشكر وتحمد الله على نعمته عليها. . نعمة الإسلام.

* * *

مع الآنسة الإنجليزية «مسعودة مستينمان»(2)

ذكرت هذه الآنسة فى تبرير اعتناقها للإسلام، بأنها لم تعرف ديناً آخر سواه يقبله العقل، وتنجذب إليه نفوس الناس بهذا القدر، وهذه السهولة.

إنها ترى الإسلام أكمل الأديان لأنه ـ أولاً وقبل كل شئ ـ يهدينا إلى معرفة الخالق الواحد، ويقنعنا القرآن الكريم بوحدانيته، فهو الخالق الأحد، الذى لا تدركه الأبصار. . العليم، القادر، القاهر، الأول، الآخر، الظاهر والباطن، الدائم، الرءوف، الرحمـٰن، الرحيم، العفو، الغفور، الحكم، العدل.

وهكذا يصبح الكمال حقيقة.

ثم ذكرت أنه بينما يقرر الإسلام أنه هو الدين الصحيح، فإنه يعترف بالأديان السابقة، فيؤيد فى الوقت نفسه الحق الذى جاءت به تلك

(1) سورة الإسراء ـ من الآية ٢٤.

(2) مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر عن أسباب اعتناقهم الإسلام: ترجمة مصطفى جبر، وتعليق إبراهيم الفحام (بتصرف).

الأديان. . . . وهذا التوجيه الحكيم الذى جاء به القرآن الكريم، واضح، تقبله العقول، وهو يرشدنا إلى طريق تحقيق الصلة السليمة بين الخالق والمخلوقات، وبذلك يتحقق الربط الوثيق بين الجانبين: المادى، والروحى، وهو ما يحقق التوازن بين قوتنا الذاتية، والقوة الخارجة عن إرادتنا. . . . وهذا بدوره يحقق الرضا والطمأنينة فى قرارة النفس. . . .

وليس هناك ماهو أقوى أثراً من هذا العنصر الهام فى الانسجام بين أى كائن حى وبين غيره. . . وبدون ذلك لا تستطيع البشرية السير بخطوات ثابتة فى طريق الكمال.

وتقول «مسعودة مستينمان» فى اعتزاز وإيمان: «إن الاسلام يدعونا إلى تقديس الله، وأن نخضع لشريعته، وفى ذات الوقت يدعونا ويشجعنا على استعمال العقل، مع مراعاة عواطف الحب والتفاهم جنباً إلى جنب».

* * *

مع السيدة الأمريكية «شهيرة سبيرز»

فى الفترة الأولى من حياتها كانت تباشر نشاطاً تطوعياً عن طريق فريق الكشافة الذى انضمت إليه، فكانت تعمل بدون أجر فى مهنة التمريض بالمستشفيات. . وفى الكنائس. . وطافت بأغلب بلاد العالم، ومنها باكستان، وإيران، وهناك تعرفت على بعض الأسر المسلمة، واختلطت بهم، وفهمت طريقة حياتهم كمسلمين، وكيفية العبادة فى الإسلام. . . فوجدت أن العبادة فى الإسلام بسيطة سهلة ميسرة. . . فعملية الوضوء والتطهر. . وطريقة أداء الصلاة فى خشوع فيها تطهير للنفس من شوائب الكبرياء والغرور، وتطهير للبدن من كل دنس. . فالصلاة وسيلة الاتصال المباشر بين الإنسان وربه.

كما وجدت أن الصيام فى الإسلام بسيط، وفيه فائدة صحية، ورياضة أخلاقية.

وذكرت السيدة «شهيرة سبيرز» أن الإسلام يدعو للأُخُوَّة بين الناس، مهما

اختلفت ألوانهم وأجناسهم، فهو دين الإنسانية فى كل مكان وزمان.. ولذا فقد أخذت تختلط بالأسر المسلمة أينما كانت.. بدافع خفى.

وقد حرصت على أداء فريضة الحج.. وعن مشاعرها أثناء ذلك قالت:

«عندما كنت فى طريقى إلى مكة، استولى على مشاعرى إحساس روحانى غامر، رُحْتُ أتخيل كيف سأرى الكعبة والمدينة بعينى... كيف سأجد نفسى وسط ملايين المسلمين بثوبهم الأبيض الطاهر، والكل يبتهل إلى الله ويقول.. الله أكبر.. الله أكبر...

ولما وجدت نفسى فى هذا المكان المقدس بكيتُ من شدة التأثر، ونبض قلبى بإحساس الفرحة والرضا... إن إحساسى فى تلك اللحظات لا يمكن بأى حال أن أعبر عنه بأى لغة كلامية.... لم أستطع أن أطلب من الله شيئاً، فقد كنت فى حالة من الذهول والدهشة والأخذ بروعة وقداسة اللحظة.

كل ما استطعت أن أطلبه من الله هو أن يغفر لى ماتقدم.. وأن يقبل إسلامى.. ويقبلنى من المسلمين التائبين».

وعندما سُئلت عن الإسلام فى أمريكا قالت:

«إن اعتناق الدين الإسلامى أصبح الآن ظاهرة واضحة ومنتشرة فى أمريكا بعد القراءة عنه، ومن هنا تأتى أهمية وجود كتب إسلامية وفيرة لدينا فى بلادنا.. وخصوصاً أن معظم الشباب الأمريكى لادين له، أو خارج عن دينه.. لكنه عندما يقرأ عن الدين الإسلامى فإنه يكتشف أنه أفضل من جميع الوجوه عن أى دين آخر، فيندفعون إلى اعتناقه...

ثم استطردت تقول بأسى واضح:

«ومما يؤسف له أن الإسلام هنا من الأديان التى بلا دعاية، ولا منشورات كثيرة عنها ولا مبشرين بأعداد كبيرة كما يحدث فى الدين المسيحى مثلا».

* * *

مع السيدة الإنجليزية «سعدية حسن شاه»

سيدة إنجليزية اعتنقت الإسلام عن رضا واقتناع تام.... عندما سُئلت عن سبب تحولها إلى دين الإسلام واعتناقها له قالت فى هدوء وسكينة:

«لقد وجدتُ فى الإسلام طمأنينة القلب، ووجدتُ أن الناس أكثر إخلاصاً تجاه بعضهم البعض.. كما أن هناك ثقة متبادلة بين المسلمين على اختلاف هويتهم ومشاربهم... وبرغم أن هناك تفاوتاً فى درجات الغنى والفقر فإننى لمستُ إحساساً بعدم وجود أى تفاوت طبقى بمعنى الكلمة، خاصة فيما يتعلق بالمسائل والعلاقات الإنسانية...

ولم أر فى حياتى أى مسلم فى مكانة اجتماعية مرموقة يشعر بالحرج أو الخجل من زيارة العائلات المسلمة المتواضعة فى مكانتها الاجتماعية، وإقامة علاقات إنسانية وطيدة معها.... فى حين أن هذه الأمور فى بلادنا ـ فى الغرب ـ تبدو مختلفة تماماً».

***

مع اليابانية الآنسة «فاطمة كازو»

كانت ترقب فى قلق ذلك التدهور السريع فى إيمان قومها بدينهم، عندما أخذوا يألفون الحياة الأمريكية، فتشعر فى أعماق نفسها بأن هنالك شيئاً ما قد فقدته معهم.. ولكنها لم تستطع أن تحدد كنه ذلك الشئ فى بادئ الأمر.... وظلت روحها تستصرخها لتضع حداً لهذا القلق.

وتمضى الأيام وتشاء الأقدار أن تتعرف على رجل مسلم يقيم فى «طوكيو» منذ فترة.. كان سلوكه وأسلوبه فى الحياة وطريقته فى العبادة يثيران دهشتها... فسألته عن أمور كثيرة عن دينه.. وكان يثير دهشتها أن إجاباته عنها لديها شافية مقنعة، تشبع العقل والروح معاً.

هكذا كان أمرها فى بدايات الطريق للإسلام كما تحدثت... ولاسيما أنها تذكر كيف عَلَّمَها ذلك الرجل المسلم أن تحيا وفق القواعد التى رسمها الله لعباده الذين يرضى الله عنهم... وتذكر فى الوقت ذاته ما كان يدوْر بخلدها قبل أن تلتقى به من نظرتها إلى الحياة والناس، وكيف تغيرت عندما انتهجت منهج الحياة الإسلامية وهى تشعر بأنها على وئام مع خالقها ومع نفسها... تعبر عن ذلك قائلة:

«إننى لتستهوينى طريقة الحياة الإسلامية فى صفائها وبساطتها وانطباعها بالسلام.. انظُرْ مثلاً إلى تحية المسلم: «السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته». . إنها دعاء للسلام من عند الله، ودعاء بالسعادة الأبدية، وشتان ما بين هذه التحية وغيرها من «صباح الخير» و «مساء الخير» تلك التحيات الموقوتة بتمنى الخير صباحاً ومساءً، ليس فيها معنى الرجاء الدائم، وليس فيها دعاء لله نستمطر به رحمته وبركاته».

ثم تقول فى ارتياح يعبر عن إعجابها بأسلوب الحياة الإسلامية فى بساطتها وصفائها:

«إننى مقتنعة تماماً بأن الإسلام هو وحده الكفيل بالأمن والطمأنينة فى حياة الأفراد والجماعات على السواء، وأنه وحده هو الذى يقدم للبشرية السلام الحقيقى الذى طال سعيها وتشوقها إليه. . ويسعدنى أننى وفقت إلى هذا السلام، وكم أتمنى لو استطعت أن أنشر الإسلام بين قومى ما استطعت إلى ذلك سبيلاً».

* * *

الفصل الرابع

سيدات تعرفن على الإسلام من خلال الزواج

* مع الزوجة الأمريكية «إدناياجى»... «بعد أن تزوجت حرصت على أن أتعرف على دين زوجى، فوجدته ديناً حقيقياً».
* مع الزوجة الألمانية «دورثيه امبغ»... «عند هذا الزوج المثالى عرفت دين الإسلام بأخلاقياته الحميدة».
* مع الزوجة البريطانية «عائشة عبد الله»... «أعجبنى من زوجى هذا القول» «لا أكرِهُكِ على أن تكونى مسلمة لله ثم لك الأمر».
* مع الزوجة الإيطالية «مريم باتريس»... بعد أن أنجبت طفلى الأول قررت أن أعرف شيئاً عن الإسلام حتى اقتنعت به».
* .... وزوجات أخريات.

مع السيدة الأمريكية «إدناياجى» بعد عشرين عاماً من إسلامها

نشأت فى أسرة نصرانية بالولايات المتحدة الأمريكية. تقابلت مع زوجها فى بداية الستينيات، حيث كان يكمل دراسته الجامعية واتفقا على الزواج... طلب منها أن تتعرف على الدين الإسلامى... وبالفعل بدأت البحث عن الكتب المتوفرة عن الإسلام باللغة الإنجليزية... وتسترجع «إدناياجى» ذكريات حبيسة فى نفسها فتحكى قائلة:

«بعد أن تزوجتُ حرصتُ على أن أتعرفَ على الإسلام دين زوجى، فكثفتُ من قراءاتى فى الكتب المتوفرة عن الإسلام، وشعرت باقتناعى به، فلم أجد صعوبة فى ذلك قط، فقد وجدته دينا حقيقياً لابد أن يدخل قلب وقناعة أى إنسان بسهولة، فأعلنتُ إسلامى... وتعرضتُ فى تلك الفترة لبعض المضايقات، خاصة فى المستشفى الكاثوليكى الذى أنجبتُ فيه طفلى الأول، بالرغم من أننى لم أكن أرتدى الحجاب فى ذلك الوقت».

وتمضى «إدنا» قائلة:

«مازال بعض الناس حتى الآن يستغربون تمسكى بالإسلام وتعاليمه برغم كونى أمريكية، بل يتوقعون منى أن أتصرف تصرفات منافية للتقاليد الإسلامية، ولا يقتصر هذا التصور على من أعرفهم من غربيين، بل على العرب والمسلمين أيضاً الذين يقلدون الغرب تقليداً أعمى، وأنا لا أفهم لماذا يتصورون ذلك برغم كونه خطأ؟!».

ثم تضيف مستنكرة:

«الأغرب من ذلك أن بعض العزب والمسلمين لا يعجبهم أننى أرتدى الحجاب، وأنا حزينة لذلك، فمن المفروض أن يكونوا أكثر تمسكاً بتعاليم دينهم!».

ومن الجدير بالذكر أن «إدناياجى» قامت بمراسلة بعض الصحف التى تصدر باللغة الإنجليزية، وكتبت عن الإسلام وقدمته وعَرَّفَتْهُ للأجانب، كما ناقشت عدة قضايا خاصة به، وطالبت بمنع تقديم الخمور فى الدول الإسلامية.

وكانت ترد ـ كذلك ـ على كافة ادعاءات أعداء الإسلام فى تلك الصحف، فضلاً عن أنها قامت بكتابة القصة القصيرة ذات العبرة الإسلامية بطريقة غير مباشرة.

وعن التزامها بالسلوك الإسلامى تقول «إدنا»:

«مضى علىَّ ـ الآن ـ أكثر من خمسة عشر عاماً منذ بدأت المداومة على الصلاة وارتداء الحجاب، ولم أقصر منذ ذلك الحين. كما يوجد عندى نسخة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وأداوم على قراءتها».

ثم تصمت برهة وقد غامت عيناها خلف سحابة حزن وألم لتقول:

«لكننى ـ أحياناً ـ أشعر بالإحباط عند مواجهة الناس، ففى أمريكا ينظر إلىَّ الجميع باستغراب، وقد تعرضتُ لعدة حوادث مزعجة بسبب ارتدائى الحجاب واعتقاد البعض أننى غريبة... كذلك لا أشعر بالراحة مع بعض العرب والمسلمين الذين يحيطوننى باستغرابهم لأننى أرتدى الحجاب والتزم بتعاليم الدين، ولكننى أحمد الله على أن أهل زوجى يعاملوننى معاملة طيبة جداً، وهم يلتزمون بروح الإسلام وتعاليمه، وقد تعلمت منهم الكثير، ولذا فأشعر بالراحة والطمأنينة معهم».

وتختتم «إدنا» حديثها بحمد الله كثيراً على أن أنعم الله عليها بنعمة الإسلام، وبأسرة مسلمة مكونة من ثلاثة أولاد وثلاث بنات، وبزوج مسلم يخاف الله، وجميعهم يلتزمون بالتعاليم الإسلامية، ويداومون على الصلاة، وأداء جميع الفروض التى فرضها الله على عباده، حتى ابنتها التى تدرس فى أمريكا تداوم على جميع الشعائر الإسلامية، لا يثنيها عنها الانحرافات والفساد الذى استشرى فى مجتمعاتها[1].

* * *

مع السيدة «جين مانسفيلد» التى صارت «فاطمة الشرقاوى»

هى سيدة أمريكية الجنسية، بدأت رحلة الشك منذ رحل عنها زوجها الأول وترك لها صبياً فى الثانية من عمره، وقتها فكرت فى الأسباب، وتجسم لها الموت، وراحت تبحث عما وراءه، حتى التقت بشاب مصرى مسلم يدعى «فؤاد الشرقاوى» يدرس الهندسة الميكانيكية فى إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية... تحدثت معه عن حيرتها بعد أن هجرت الكنيسة ولم تعد تؤمن بها، وبرغم أنها كانت تؤمن بالله فإنها لم تكن تدرى كيف تصل إليه.. فحدثها عن الإسلام كعقيدة لها مبادئ وتعاليم وآداب، وبدأ يجلب لها الكتب التى تزيد من معرفتها بالإسلام وصحة وجهته فى معالجة أمور الحياة..

وفى هذه الفترة التى سبقت اعتناقها للإسلام شعر كل منهما بعواطف جياشة بالحب والود تجاه الآخر، مما دفع هذا الشاب «فؤاد الشرقاوى» لأن يخبرها برغبته فى الزواج منها بعد أن رأى فيها الزوجة الصالحة التى يمكن أن تشاركه الحياة، متيقناً بأنها يمكن أن تتغير عندما تدرك حقيقة الإسلام التى مازالت - وقتها - مشوهة فى داخلها بفعل الدعايات المضادة للإسلام فى

---

(١) صحيفة المسلمين فى عددها الصادر فى ٢٧/ ٩/ ١٩٩١ (بتصرف).

أمريكا، آملاً بأنها مع مرور الوقت والتوجيه السليم سوف تؤمن، لأنها كانت فى حالة حيرة شديدة.. وتم زواجها بـ «فؤاد» الذى سعدت به.. وبتعامله معها فى مودة ورفق واحترام لشخصيتها كامرأة لها حقوق عنده كما لها واجبات، فازدادت له حباً وإعجاباً، وتغيرت نظرتها عن الرجل فى المجتمعات الشرقية.. فتعبر عن ذلك بقولها:

«لقد كنت أعتقد أن الشعوب الشرقية تنظر للمرأة على أنها خاضعة للرجل، مُكَرَّسة لخدمته وخدمة بيته، وليس لها شخصية حقيقية فى مواجهة الزوج، لا داخل المنزل ولا خارجه.. فى حين كنت أرى أنه يجب أن تكون لى شخصيتى المستقلة غير الخاضعة بأى مقياس للزوج، حيث إن الحياة الزوجية مشاركة بين الزوجين، بمعنى التكامل وليس التنازع.. وعندما تزوجت بـ «فؤاد» بدأت أتفهم ماقدمه الإسلام للمرأة من حقوق، وكيف ساوى بينها وبين الرجل فى كثير من الحقوق والواجبات، كما بدأت أتفهم العادات العربية الإسلامية».

ثم أردفت قائلة:

«لقد أخذت أقرأ كل ما يُتاح لى من الكتب لأقترب بوجدانى وعقلى من فكرة كانت بعيدة فى نفسى وبدأت تقترب من السطح.. ومن خلال هذه القراءة تفتحت أمامى أبواب كانت مغلقة، وظهرت لى علامات استفهام عديدة كان لابد من الإجابة عنها بصدق وموضوعية، وقد تولى ذلك زوجى، فقد كنا نتناقش بموضوعية، ويعرض كل منا وجهة نظره».

وتمضى السيدة «جين مانسفيلد» فى بيان خطواتها على طريق الإيمان فتقول:

«بعد أن انتهى زوجى من دراسته فى الجامعة قرر أن ننتقل للحياة فى مجتمع عربى ليتسنى لى الاختلاط بالمجتمع العربى المسلم، ولأرى المرأة العربية المسلمة على الواقع، لأستيقن بنفسى أنها شريكة للرجل فى حياته،

وكانت مفاجأة بالنسبة لى أن وجدت المرأة تشارك الرجل فى كل شئ، وتناقشه بحرية، وتعيش فى كنفه بأمان واستقرار وسعادة، شاهدت ذلك فى بيوت أهل زوجى وأصدقائه فى القاهرة، ثم فى سلطنة عُمان التى انتقلنا إليها لظروف عمل زوجى فيما بعد... لقد تكونت لى صورة مغايرة تماماً عمَّا كان مرسوماً فى ذهنى عن العرب والمسلمين، حيث إن المجتمع الأمريكى يرى أن المجتمع العربى المسلم مجتمع شرس، يُحب القتل، ويستعبد المرأة...

ولذلك ما رأيته وعايشته بنفسى فى المجتمعات العربية المسلمة قد أعاد التوازن لهذه الصورة الرديئة التى رسمها الإعلام الأمريكى عنها».

ويشير زوجها «فؤاد الشرقاوى» إلى التحولات الجذرية التى انتقلت إليها زوجته نتيجة قناعتها التدريجية بالإسلام فيقول:

«بعد فترة قصيرة من الزواج طلبتُ من زوجتى أن تكف عن العمل وتتفرغ للبيت، باعتبار أن مهمة الرجل فى الإسلام أن يكفل بيته وأسرته، غير أنها اعترضت بشدة على هدا الطلب فى البداية.. فلم أُلزمها به، وإنما طلبتُ منها أن تخوض التجربة ثم تقرر بنفسها.. وبالفعل توقفت عن العمل لفترة، ثم عادت إليه، ولكنها لم تبق به سوى خمسة أيام فقط قررت بعدها أن تتوقف عن العمل لتتفرغ للبيت ولتربية الأطفال بطريقة سليمة... فقد شعرت ـ بعيداً عن أى عناد وتصلب فى الفكر ـ أن البيت فى وجودها أكثر استقراراً.. رأتنى ورأت طفلها من زوجها الأول «آدم» أكثر سعادة وارتباطاً، فقد كنتُ أُعامل «آدم» كابنى تماماً، وكان هو يشعر أننى والده، وارتبط كُلٌّ منا بالآخر.

وقد أحب «آدم» العرب والمسلمين من خلالى، فكان يشجع أمه على القراءة عن العرب والإسلام، وخصوصاً أنها تحب القراءة والمعرفة والتعليم...

ومن الطريف أن زوجتى كان تسعد جداً عندما ترى ابنها «آدم» يصلى كما أصلى[1] ويتحدث كما أتحدث، مما شكَّلَ ذلك دافعاً قوياً جداً للأم لتقترب من الإسلام أكثر. . . ».

ويضيف زوجها «الشرقاوى» الذى تسمت به بعد إسلامها:

« . . وحتى عندما تزوجنا وتمت المراسم على الطريقة الإسلامية أمام مأذون حقيقى، سألها عن المهر حتى يسجله فى عقد الزواج، أبدت دهشتها وقالت: أنها لا تريد مهراً. . وعندما أكد لها ضرورة أن تطلب مهراً، طلبت دولاراً واحداً مقدماً، ودولاراً آخر كمؤخر، بعد أن حاول المأذون أن يفهمها أن هذا حقٌّ من حقوقها، ويمثل ضماناً لها. . . قالت له: إنها إذا قررت الانفصال فلن تكون فى حاجة لأموالى. . وهذا يوضح أنها كانت تفكر للمستقبل البعيد ولا تفكر فى الزواج كمرحلة وقتية».

وأخذت «جين مانسفيلد» تقرأ كثيراً عن الإسلام، وقد شجعها على ذلك زوجها الذى أتاح لها فرصة القراءة المكثفة. . وربما كان من أبرز الكتب التى تركت تأثيراً واضحاً على شخصيتها كتب الداعية الإسلامى «أحمد ديدات» الذى قالت عنه:

«أنه لايحاول أن يُرَغِّبَ القارئ فى الإسلام فى البداية، ولا يستدل بآيات القرآن الكريم للتدليل على توجهه، وإنما يظل حديثه مُنْصَبّاً على ما تذكره الكتب السماوية الأخرى، وكيف تقود هذه الكتب إلى أمر آخر مكمل لها، ومتمم لما جاءت به، وعندما يبدأ فى التحدث عن الإسلام تكون الأرض قد مهدت أمام القارئ ليتفهم عن وعى ويقين».

وكان آخر ما قرأته من كتب هو سيرة حياة الرسول ﷺ، ونسخة كاملة من تفسير القرآن الكريم باللغة الإنجليزية قررت بعدها ـ كما يذكر زوجها ـ أن تعلن إسلامها رسمياً.

(١) هذا يعطينا انطباعاً قوياً على أن الإسلام دين الفطرة.

وذهبت «جين ما نسفيلد» إلى مفتى سلطنة عمان ـ حيث كانت وقتها هى وزوجها يقيمان بها ـ وقد ارتدت الحجاب لتعلن إسلامها بعد رحلة شاقة قطعتها بين أمريكا ومصر وسلطنة عمان، لتصل فى النهاية إلى اليقين الذى يرتاح قلبها إليه.. وما إن نطقت بالشهادتين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» حتى انفجرت باكية بدموع سعادة تغمر وجهها، لتجد ساعدى زوجها تضمانها بحنان ورفق، وتباركان لها إسلامها.

وصارت «جين مانسفيلد» «فاطمة الشرقاوى»... فاطمة على اسم ابنة الرسول الكريم.. و «الشرقاوى» على اسم زوجها المصرى «فؤاد الشرقاوى» الذى مَهَّدَ الطريق أمامها لتكون مسلمة ملتزمة، تؤدى الفروض الخمسة فى أوقاتها ببعض الكلمات العربية القليلة التى حفظتها..

ويذكر زوجها «فؤاد الشرقاوى».. أنه قبل أن يؤذن للصلاة تكون قد توضأت وأصبحت مستعدة للصلاة فى ميقاتها.. والأمر المثير أنها كلما استمعت للمؤذن تبكى بحرارة وتقول إن هناك أمراً ما يجذبها للأذان ويجعلها تتأثر بنغمته وكلماته ودعوته للناس للعبادة بشكل رائع... والكلام هنا مازال على لسان زوجها.

وتبكى «فاطمة الشرقاوى» بحرارة كلما تذكرت ضلالها منذ سنوات بعيدة عندما كانت مسيحية تذهب إلى الكنيسة لتؤدى طقوس وشعائر لم تكن تؤمن بها توقفت عنها فيما بعد لتبدأ رحلة شك تقطعها لتصل إلى بر الطمأنينة وسكينة النفس عندما تعرفت على عقيدة الإسلام التى جعلتها ـ كما تقول ـ تشعر باستكمال ماينقصها، فلم يعد هناك ما تبحث عنه بعدما وجدت الحقيقة.

إنها تذكر فترة ضلالها عندما كانت ترتدى ملابس «الجينز والبلوز» وسفورها بالثياب المكشوفة، مما كان يجلب عليها معاكسات الشباب بنظرتهم النهمة لمفاتن جسدها... ثم تقارن ذلك بوضعها الآن كامرأة متحجبة تحفظ

نفسها من الناس، وهذا ما يريده الإسلام للمرأة على حد تعبيرها. . . ومن هنا فهى تعتز بالزى الإسلامى الذى يصون المرأة، ولذا فعندما سُئلت: هل ستبقين على هذه الملابس عندما تعودين لأمريكا؟. . أجابت بحماس واعتداد بالنفس: «نعم. . لن أخلعها أبداً. . . لأننى مقتنعة، ولأن لدىَّ هدفاً أريد أن أحققه، ولن أهتم بأننى سأكون مختلفة. . . يكفينى أننى سعيدة جداً بها، لأن فيها ما يحفظ المرأة من أعين المتطفلين».

وهكذا صارت «فاطمة الشرقاوى» المرأة المسلمة حريصة على ارتداء الحجاب، مما جعل وجهها يشع بنورانية مضيئة. . نورانية الالتزام بمنهاج الإسلام الذى رسمه للمرأة فى ثيابها. . . كما هى حريصة على الالتزام بواجباتها نحو ربها، بقيامها بأداء الفرائض التى فرضها على المسلم، فتذكر أنها حريصة على أداء الصلوات الخمس التى أمرنا الله بها حيث تقول:

«إننى أُصَلّى لأن الله أمرنا بأن نصلى. . والصلاة تَعَوُّدٌ، ولابد أن أتَعَوَّدَ عليها، ثم إن الله خَلَق الناس لكى يعبدوه، وهو يختبرهم فى الدنيا، وكثيرون منهم ينصرفون عن العبادة، ولكن من ينجح فى الاختبار فسوف يدخل الجنة فى النهاية. . وأنا أريد أن يرضى الله عنى، وأن أدخل الجنة، لذلك أصلى، وحتى يحقق الإنسان هدفاً كبيراً فى حياته لابد أن يتعب».

وتحرص «فاطمة الشرقاوى» أيضاً على قراءة القرآن الكريم بلغته العربية التى تواظب الآن على تعلمها وإتقانها، فتعبر عن ذلك بقولها: «يجب أن أتعلم اللغة العربية وأتقنها، لأنه يجب أن أقرأ القرآن الكريم بها. . .»

وعن موقف أهلها بعد إعلان إسلامها. . قالت فى هدوء وراحة نفس:

«الحمد لله، سارت الأمور معهم بشكل طبيعى وبلا مشاكل، فقد أرسلت إليهم جميعاً أخبرهم بإسلامى، وأكدت لهم أننى اخترتُ الإسلام بإرادتى الحرة، ولم أتعرض لأية ضغوط. .».

ثم ابتسمت وهى تضيف:

«وقد دعوتهم إلى اعتناق الإسلام، بل وعرضت عليهم أن أساعدهم إذا أراد أحد منهم أن يؤمن بالله وبالدين الصحيح.... كذلك دعوتُ صديقاتى فى أمريكا لاعتناق الإسلام، بعد أن أوضحتُ لهن أننى وجدتُ فيه السعادة الحقيقية التى يبحثن عنها جميعاً...

وصمتت برهة لتلتقط أنفاسها وهى تكرر قولها:

«لقد دعوت صديقاتى لأن يقتربن من الإسلام.. دين الحقيقة.. وأن يعلن رفضهن لأسلوب حياتهن لأن لن يصل بهن فى النهاية إلى شئ سوى الخسارة والهلاك».

وعن سبب محاربة الإسلام واستهدافه فى الغرب دائماً... كانت للمرأة المسلمة «فاطمة الشرقاوى» رؤية صادقة عبرت عنها بقولها:

«معظم أماكن العبادة تقوم فى الغرب بعمليات تجارية.. أو هم يجعلون من العبادة عملية تجارية من أجل الكسب، ولذلك فهم يحاربون الإسلام كما يحاربون أى دين آخر من أجل مصالحهم.. وكل هذا يرجع إلى سبب واحد، هو أنهم لا يريدون أن يفهموا الحقيقة، أوهم يفهمونها ثم ينكرونها».

هذه هى السيدة «جين مانسفيلد» المرأة الأمريكية التى تنعم بإسلامها الآن بعد أن هتفت من أعماقها:

«آمنت بالله ربّاً.. وبالإسلام ديناً... وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولا»(١).

* * *

(١) مجلة سيدتى الصادرة فى ٤/ ٣/ ١٩٩٠ (بتصرف).

مع السيدة الألمانية «دورنيه أمبغ»
أو «عائشة عبد الله»(١)

برغم أنها ولدت عام ١٩٥٠ فإنها تصر على أنها وُلدت عام ١٩٨٦، وهو العام الذى اعتنقت فيه الإسلام، وارتدت الحجاب، وشعرت بالغربة فى بلدها الأصلى «ألمانيا» فاستقرت بأولادها الأربعة فى مصر، حيث البساطة، وصلة الرحم، وقوة الإيمان... لقد تركت عملها فى معمل التحاليل الطبية «بميونيخ» وتطلعت إلى دور اجتماعى أفضل بعد أن استقر فى وجدانها أن كنوز الدنيا لا تغنيها عن نسمة إيمان، وقطرة طمأنينة، وابتسامة زوج حانية.... فتروى «دورنيه أمبغ» عن رحلة إيمانها فتقول:

«إنها كانت بين زوجين: الأول رجل ألمانى عاشت معه بضعة أعوام وهو على سكره وعربدته واستهتاره الذى انتهى إلى أن طلقها فى لحظة واحدة، وكأنه يبدل أحد أثوابه...

والزوج الثانى رجل مصرى مسلم يعمل متخصصاً فى جراحة المخ والأعصاب فى «ألمانيا»، وهو نموذج للرجل الحقيقى، حُسْن أخْلاقٍ، وعفةُ نفسٍ، لا يتعامل مع الخمور أو المخدارات كزوجى السابق.. وعند هذا الزوج المثالى دخل الإيمان قلبى، فقد عرفتُ من خلاله دين الإسلام بأخلاقياته الحميدة.. ثم تسرب الإيمان بداخلى أكثر وأنا أسمع آيات القرآن

(١) صحيفة المسلمين فى عددها الصادر فى ١٠./ ١ / ١٩٩٢ (بتصرف).

تتلى، فأشعر بهزة عنيفة فى نفسى، برغم أننى لم أفهم لغته العربية وقرأت ترجمة عن تفسيره، فعرفت الله والرسول، والحق والباطل، والدين والدنيا».

ثم تتوقف برهة قصيرة لتندفع بعدها فى الكلام قائلة:

«إن أعظم ما وجدتُه فى القرآن أن كل مشاكل الحياة النفسية والمادية وضع لها حلاً مطمئناً، وأعظم تلك الحلول أن القرآن يُعَلِّم الإنسان التسليم لمشيئة الله سبحانه وتعالى، فصرتُ لا أُفارقه ولا يفارقنى، وأشعر بآياته تسرى فى كيانى، فتدب الحيوية فى عروقى وحياتى كلها.... ولذا لم أجدُ بُدّاً من اعتناق الإسلام الذى انجذبت إليه، فأشهرتُ إسلامى، وحملتُ اسم «عائشة» بدلا من «دورنيه أمبغ» الذى يذكرنى بحياتى قبل إسلامى التى كان فيها اهتمامى مقصوراً على الأنا الذاتية فقط بدون أدْنَى مراعاة لأى فرد آخر.. ولكنى تعلمتُ العطاء والقناعة، والإحساس بالرضا من المسلمين الذين تعاملت معهم، وخصوصاً زوجى الدكتور «عدلى العطار»، فهذه هى أخلاق الإسلام التى يأمرنا بها».

وتسترسل «عائشة» فى حديثها لتقول:

«إننى أعيش الآن فى مصر أرعى أبنائى «ياسر» وعمره ست سنوات، و«سارة» وعمرها أربع سنوات من زوجى المسلم، بالإضافة إلى أبنائى من زوجى السابق «محمد» وعمره أربعة عشر سنة، و «أمير» وعمره خمسة عشر سنة، و «تسنيم» عمرها ستة عشر عاماً».

ولم تلبث أن تستدرك قائلة:

«لقد نسيت أن أذكر أن ابنتى «تسنيم» كان اسمها «كريستينا» قبل أن تسلم معى، وقد اخترت لها هذا الاسم، لأننى عرفت أنه اسم عين من عيون الجنة... كما اخترت لابنى «جاك» اسم «محمد».. ولابنى الآخر «إدوارد»

اسم «أمير» ويقوم ابناى «محمد» و «أمير» بتفسير وترجمة ما يستعصى علىّ فهمه من القرآن. . وهما يتبادلان يومياً موقع الإمامة فى الصلاة معها. . . . وبعد ذلك أخذت فى التردد على المسجد، فعجبتُ وسعدتُ بهذا المكان الذى كلما دخلته هدأت نفسى وشعرت بالاطمئنان والراحة.

كما نسيت أن أذكر أنه بمجرد ارتدائى للحجاب صرت أجنبية عن بلادى، بل إنهم تمنوا طردى، وهذا يرد على مزاعم الغرب بتعصب المسلمين، فالغرب أشد تعصباً ضد الإسلام والمسلمين، فى حين أننى لا أشعر ـ الآن ـ بالغربة فى مصر أبداً منذ وطئتها قدماى، بل أجد كل عَوْنٍ وبسمة على الوجوه، فتزيل كل إحساسى بالتعب، وخصوصاً من أُسرة زوجى التى تساعدنى فى رعاية أبنائى، ولا تنقطع زيارتهم لى، مما يشعرنى بالأمان التام، وهذا ما لم أشعر به فى بلدى، سواء قبل إسلامى أو بعده، فيعجبنى جداً صلة الرحم التى يحث عليها الإسلام ويضعها فى مرتبة عالية ضمن سلوكيات المسلم. .

كما لم أشعر بفراغ قط، فالفراغ لم يكن يوماً فى الوقت، بل إنه فراغ فى الفكر والروح والشخصية. . . وصحيح أن مراحل أبنائى مختلفة، مما يتطلب القيام بمجهود أكثر فى رعايتهم، ولذا فأنا أؤمن بأن رسالة المرأة الحقيقية فى بيتها، وهذه أعظم رسالة».

وبعد. . فهذه امرأة ألمانية اعتنقت الإسلام بعد أن استشفت أخلاقياته التى يدعو إليها، والتى تمثلت فيمن تزوجته، ومع غيره الذين تعاملت معهم، وهذا ليس بعجيب أو جديد، ولاسيما لو تفحصنا قصص الذين اعتنقوا الإسلام فى الماضى أو الحاضر.

* * *

* مع الفتاة الألمانية «آنى ليزا» أو «أم عمّار»

كانت الفتاة الألمانية «آنى ليزا» تعيش حياة الرفاهية غير أنها كانت قلقة. . . ولم يمنعها صغر سنها من التساؤل والاستفسار حول معنى «التثليث» و«الصَّلْب» و«الخلاص» وغيرها من الطلاسم الغامضة، غير المفهومة.

وظلت فى حيرة من أمرها حتى التقت برجل الأعمال المسلم «مصعب صلاح الدين» تزوجته، وأنجبت منه «ياسراً» و «عماراً». . ولم تمنعها عدم قدرتها على التحدث باللغة العربية من قراءة القرآن والتعرف على الإسلام. . فتحكى قصة إسلامها فتقول:

«كنت كاثوليكية قلقة قبل إسلامى، غير مقتنعة بما يدور حولى، لذلك لم يطل بى الوقت لأصبح مسلمة، لقد وجدت فى ترجمة معانى القرآن بالألمانية منهاجاً شاملاً لكل شئ.

كنت مشغوفة جداً بمعرفة كل شئ عن الإسلام، فأحرص على سماع الكثير من المسلمين وهم يتحدثون عن مبادئه ومنهاجه وتعاليمه وآدابه. . فقد كانت هناك أمور كثيرة تدور بخلدى، ووجدت الإجابة عنها فى القرآن، ولذلك فهو أعظم كتاب قرأت تفسيره باللغة الألمانية. . وينصحنى زوجى أن أتقن اللغة العربية حتى يتسنى لى قراءته بلغته لأستمتع أكثر بمعانيه، وهذا ما أحاوله الآن».

ثم تضيف:

«إن أسعد لحظاتى تلك التى أقضيها بين يدى الله فى قراءة ترجمة معانى القرآن، ومحاولتى الجادة فى تعلم العربية لكى أقرأ القرآن وأستمتع به كما نصحنى زوجى. . وحتى أستطيع أن أساهم فى مجال الدعوة إلى الإسلام».

وتستطرد «أمل حسنى» وهو اسمها بعد إسلامها قائلة:

«إننى أحب أن يُنادينى الناس بـ «أم عمار» تيمنا بأم عمار بن ياسر... ولقد ارتديت الحجاب امتثالاً لتوجيهات الرسول محمد ﷺ الذى أمر نساء المسلمين بالاحتشام، وألا يظهر منهن سوى الوجه والكفين... ولايهمنى الاستياء العام الذى تعرضت له من الألمان لارتدائى الحجاب، كما أننى لا أستطيع العمل فى أية مؤسسة إلا المؤسسات الإسلامية الموجودة فى ألمانيا».

كما لا يفوتنى أن أذكر أننى قد تحديتُ أسرتى، التى هى من عائلة معروفة فى «ألمانيا»، فقد حاولوا منعى بكل الوسائل، بدءاً من الإرهاب والتهديد، وانتهاءً بالمقاطعة النهائية، ولكن ذلك أيضاً لا يضيرنى طالما اطمأنت نفسى للإيمان بهذا الدين الجديد»[1].

***

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ٢٤/ ١/ ١٩٩٢ (بتصرف).

مع السيدة الإنجليزية «عائشة عبد الله»

سيدة إنجليزية نشأت نشأة مسيحية متدينة مثل ملايين غيرها من الإنجليزيات، ولكنها كانت تختلف عنهن فى شئ أساسى ومهم، وهو أنها كانت تنشد الحياة الطاهرة النقية، من فرط ما ضاقت بمظاهر وصور الضياع المختلفة المحيطة بها.

لقد كانت دائمة التأمل والتفكير فى ألغار عقيدة التثليث، ومبدأ تكفير الذنوب التى تعتنقها بيئتها المسيحية.... ومن هنا بدأت رحلتها إلى التفكير فى صحة معتقداتها، وهى تشعر أن هناك شيئاً ينقصها، لم تلبث أن وجدته عندما تعرفت على شاب مسلم فى هيئة المواصلات فى لندن التى تعمل بها، وصار فيما بعد زوجاً لها، لم يشأ أن يكرهها على الدخول فى دين الإسلام، وكان ذلك مما أعجبها منه،فتسترجع ذكريات. حبيسة فى نفسها، فتحكى عن ذلك قائلة:

«.. كم كانت حاجتى ورغبتى فى أن أعرف الحق كاملا غير منقوص، فقد كنت أشعر أن هناك شيئاً ينقصنى، حتى تعرفت على شاب مسلم صار زوجى فيما بعد، لم يكن يعرف هذه الرغبة والحاجة التى أبحث عنها، قال لى: أنتِ مسيحية وأنا مسلم، والدين لله سبحانه وتعالى، لا أُكْرِهُكِ على أن تكونى مسلمة، لله ثم لكِ الأمر... أعجبنى منه هذا القول، وبدأنا حياتنا الزوجية.. كان يصلى، ويصوم، ويستقبل أصدقاءه فى البيت.. يقرءون

القرآن، ويتحدثون فى أمور الإسلام والمسلمين، وأنا أخدمهم، ولا أشاركهم، ولكن كنت أستمع إلى مايدور من أحاديثهم.. كان إنصاتى لهم تصنتاً عليهم فى قراءة القرآن وتفسيره.. فى الصلاة والقيام... كنت أجمع الأوراق التى يقرءون منها وآخُذها معى إلى مصلحة العمل لأطبع منها نسخة لى أدرسها وأفكر فيها وحدى..»..

من هنا كانت بداية رحلتها إلى نور الإسلام الذى أشرق فى قلبها بعد تأمل طويل عميق، شأنها فى ذلك شأن كل من هداهم الله تعالى إليه.. فما حل الإسلام بقلب إلا أشرق بالإيمان بالله، وبالخير للناس، وجعل منه قلباً سليماً حيّاً، رافضاً لكل ما يميته من معتقدات الكفر ومبادئه، كالتثليث، ومبدأ تكفير الذنوب، وغيرها مما تكتنفه الديانة المسيحية المحرفة عمّا جاء به عيسى عليه السلام.

لقد كانت من تلك النماذج الطيبة السيدة «عائشة عبد الله» التى نشأت فى أسرة إنجليزية متدينة ومتعصبة للمسيحية.. قضت مرحلة الطفولة فى إحدى المدارس الدينية التابعة للكنيسة، فتعلمت كل المواد والموضوعات اللاهوتية التى كانت تدرس فيها.... تقول «عائشة»:

«لا أذكر أننى سمعتُ فى أى يوم من أيام طفولتى أى ذكر لاسم الله... ولم أكن مقتنعة بما أتلقاه من مبادئ رئيسية فى الديانة المسيحية، وخاصة فكرة التثليث، ومبدأ تكفير الذنوب الذى يزعم أن المسيح ابن الله قد قَدَّمَ نفسه فِدْيَةً للناس، فَرَضِيَ أن يُصْلَبَ تكفيراً عن جميع الذنوب التى اقترفوها.. وبرغم ما سمعت من مناقشات وتفسيرات حول هذه المعتقدات فلم أقتنع بشئ منها...

لقد شدنى إلى الإسلام أن الله واحدٌ ليس له ثانٍ، وأن له أسماء عديدة، حيث عرفتُ أن الله سبحانه وتعالى له ٩٩ اسماً»

وتتحدث السيدة «عائشة» عن مرحلة المخاض التى سبقت ميلادها كامرأة مسلمة فتقول:

«ليلة أن عرفت أن الله سبحانه وتعالى له ٩٩ اسماً لم أنَمْ حتى الصباح، صرت أقرأ وأتمعن فى هذه الأسماء التى هى صفات له عز وجل.. وكان هذا فاتحة اهتمامى بالإسلام.. أحسست أننى وجدتُ ماكنت عنه أبحث، وما كانت نفسى إليه تتوق.... نعم.. صرتُ أقرأ وأتمعن فى هذه الأسماء التى هى صفات له عز وجل... سألنى زوجى ليلتها: ماذا بكِ؟ قلت: لا شئ سوى أننى أعانى من قلق، فلم أكن أريده أن يعلم شيئاً، خشِيتُ أن يتضايق، وربما أتضايق أنا... لم أكن متأكدة من شئ، كنتُ مازلتُ فى الطريق أواصل البحث والاقتناع بالإسلام كعقيدة لى، برغم لو كان زوجى غير مسلم لكان الأمر أهون...».

ثم تصمت للحظات، ثم تعود لتؤكد على ما تريد توضيحه بقوة لا تسمح بأى تصورات أخرى فتقول:

«قلت فى البداية إننا اتفقنا أن يمارس كل منا حياته بمقتضى الدين الخاص به... وبرغم ذلك فقد عشتُ أنا ـ بعد الزواج ـ حياة المسلمين حينما كنت مسيحية، حُبّاً فى هذه الحياة الطاهرة النقية، ولاقى هذا من زوجى استحساناً وإعجاباً، وبرغم هذا لم يَدْعُنى للإسلام.... فلم يسألنى مثلاً أن أشاركه صيامه، وبالتالى لاقى هذا أيضاً استحساناً وإعجاباً منى.

لقد كانت الحدود التى وضعها كل منا بالعقل والإيمان هى التى منعتنى أن أعلن شيئاً.. كنت أريد أن يكون إسلامى لى باجتهادى أنا وبحثى واقتناعى بدون مساعدة من إنسان.. إنها إرادة الله تجاه الدين الحق».

وتأتى مرحلة الميلاد... مولدها كمسلمة، فكيف أصبحت مسلمة بالتصريح المعلن بعدما كان خفياً فى نفسها، تُعبر عن ذلك بقولها:

«من خلال زيارة الأصدقاء وزوجاتهن لنا، أصبحتُ مقربة إلى إحداهن، يومها أمسكَتْ بيدى وسألتنى: ماذا قرأت؟ وما هى حدود اقتناعك بما تقرئين؟ فأجبتُها عمَّا تريده، ولكن اشترطتُ عليها ألا تقول لزوجى، وأصبحت هى مرشدتى، والمجيبة على كل استفساراتى وأسئلتى... بعد أن علمتنى الوضوء والصلاة... وكنت قد حفظت بَعْدُ قصَارَ السُّوَر.. وصمتُ شهر رمضان كاملاً.. وبوجه عام عملتُ بوصايا وتعاليم الدين الإسلامى قبل أن أعتنقه بعد أن تأكدت تماماً أنه هو الدين الحق، فالشئ يُعْرَفُ بضدِّه، فلقد عرفتُ المسيحية كعقيدة ومنهاج، ثم عرفت الإسلام كعقيدة ومنهاج، فتبين لى بالمقارنة الفرق الجلى الواضح بين هذا وذاك.

ثم حدث أن اتفقتُ مع إحدى الأخوات المسلمات أن أذهب للإمام للنطق بالشهادتين... وذهبنا بالفعل إلى المسجد وقابلناه، فسألنى عن الأسباب التى تحملنى على الإسلام وتجعلنى أريد اعتناقه، فقلت له: هذه رغبتى وشعورى الصادق تجاهه.... وكانت معى ابنتى «أسماء» طفلة فى الثامنة من العمر، نظر اليها الإمام ثم سألنى: وماذا عن ابنتك؟ قلت له: إنها مسلمة والحمد لله. قال: ماشاء الله، ستكون العائلة كلها مسلمة.... بعدها طلب منى قراءة فاتحة الكتاب، ثم سورة قل هو الله أحد، ثم نطق ونطقتُ معه بالشهادتين، ثم أوصانى ببعض الوصايا، ودعا لنا بالتوفيق وانصرفنا...».

وتواصل حديثها قائلة:

«إننى أقول إن فرحتى فى هذا اليوم لم ولن تماثلها فرحة من قبل ومن بعد.. نعم.. إن ذلك الارتياح وإثلاج الصدر لم ولن أنساه مدى حياتى... إنه كان - ولا يزال - شعوراً فيه رهبة وفرحة، والحمد لله، دخلت فى دين الله وأصبحتُ من أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وتستكمل السيدة عائشة صورة حديثها المفعم بالإيمان، فتقول فى نبرات تقفز بالسعادة:

«بعد أن نطقت بالشهادتين وأعلنتُ إسلامى فى المسجد، نصحتنى صديقتى بأن أصلى لله صلاة شكر. بمجرد وصولى إلى بيتى «فقد هداك للإسلام» هكذا قالت لى. . . وبالفعل عندما وصلتُ إلى البيت أخذت «أسماء» ابنتى إلى صلاة الجماعة معى. . . . وفى هذا اللحظة وصل زوجى، وكانت هذه أول مرة يرانا فيها نصلى. . كانت المفاجأة كبيرة بالنسبة إليه، ولا أستطيع أن أصف كيف كانت فرحته، وكيف كان رد فعله لما رآنا نصلى أنا وابنتى».

وتنحدر من مآقيها دمعات وهى تتمتم وتقول:

«لقد سألنى وسألنى. . . كان موقفاً حلواً وسعيداً والحمد لله».

وعندما سُئلت عن شعور والديها وأخواتها بعد أن أشهرت إسلامها. . أجابت فى أسى:

«لقد شعرتُ أن والداى قد صُدِمَا عندما اعتنقتُ الإسلام. . ولم يكن ذلك بالنسبة لى مفاجأة، وخصوصاً وأن صدمتهما الأولى كانت عندما تزوجت مسلماً، فقالوا لى يومها: سوف يشدك زوجك للإسلام، فَطَمْأَنْتُهُما بأنه لن يحدث إلا بإرادتى، ولهذا كانت صدمة لهما، برغم أننى أوضحت لهما أن زوجى لم يتدخل فى مسألة إعتناقى الإسلام، ولم يعلم بإسلامى إلا بعد أن نطقتُ بالشهادتين».

ثم هزت رأسها وكأنها ترثى موقف والديها منها وقالت:

«ولكن والدتى تحبنى جداً، ومتمسكة بى وبذهابى إليها، وعندما تأتى إلينا تخلع الحذاء على الباب[1]، وتأكل معنا طعامنا الحلال الخالى من اللحوم المحرمة فى حين ظل والدى غير راضٍ عنى، غير أننى أذهب إليهما، وعندما يأتى موعد الصلاة يتركوننى فى حجرة وحدى لأصلى».

(١) يلاحظ من العادات والآداب الإسلامية الأصلية عادة خلع الحذاء على عتبات المنزل قبل الدخول، وهذه العادة تكاد تكون قد اندثرت بحكم التأثر بالعادات الغربية.

أما عن تأثير اعتناقها للإسلام على طبيعة عملها والعاملين معها فتبتسم وهى تقول:

«إنهم ينادوننى بالسيدة المسلمة، لأنى ألبس الحجاب، وبرغم أنهم كانوا يمزحون ويستخفون بما أرتدى ولكن الآن زال هذا كله بفضل الله... والآن أشعر بالاحترام يتزايد بالنسبة لى من الجميع... وهم لا يَدْعُوننى الآن ـ وأحمد الله على ذلك ـ لحفلات عيد الميلاد أو للحفلات التى يشربون فيها الخمور، وذلك بعد أن عرفونى جيداً واحترمونى، وهذا أعتبره احتراماً لدينى الحنيف.

وأذكر أنه عندما حل شهر رمضان قلت لهم: لن أخرج للغذاء، لأنى صائمة لمدة شهر كامل، فاستغربوا منى ذلك فى البداية كيف أتحمل هذا لمدة شهر كامل؟ بعدها انهالت الأسئلة علىَّ حول أسباب الصيام لمدة شهر كامل بدون مأكل أو مشرب، أو غير ذلك مما يفسد الصيام حتى وقت المغرب من كل يوم».

ثم تضيف فى حماس واضح:

«إننى أحاول دائماً الارتفاع بحياتى وسلوكى وعملى إلى المستوى اللائق بالدين الإسلامى، وخصوصا أننا نعيش فى مجتمع جاهلى قد سيطرت عليه الأهواء والغرائز والماديات..

إن حديثى عن الإسلام مع زملائى فى العمل لا ينقطع، ولكن أى حديث هو دفاع عن الإسلام الذى لا يعرفون عنه إلا التشنيع والتلفيق.. أين الدليل لنضعه أمامهم؟.. إن سلوكى وحياتى كمسلمة هو الدليل الذى أملك أنا أدعو الله للجميع بالهداية، وأدعو للمسلمين بالقوة والتكاتف».

ثم ارتفعت حرارة كلماتها أكثر وهى تلوح بيديها وكأنها تريد تأكيد معنى كل كلمة تنطقها وهى تقول:

«نحن ـ المسلمين ـ فى بريطانيا بحاجة ماسة إلى حماية ورعاية على كافة المستويات.. فنحن بحاجة ماسة إلى علماء يعيشون معنا يعلموننا الدين، ويعرفوننا بالحضارة الإسلامية ويعينوننا على فهمٍ أكثر للإسلام وتعاليمه وآدابه..

ومما يُؤْسَفُ له أن المراكز الإسلامية لا تفعل لنا شيئاً، نحن المسلمين الذين لا نقرأ ولا نفهم العربية إلا من اجتهادات بعض الإخوان معنا الذين درسوا فى القاهرة وعـادوا يحملـون العلم ويترجمون لنا، محاولين معنا من خلال ما يتسع لهم من الوقت...

نحن نقطع فى الصخر لنكوّن بيئة إسلامية صالحة تمكننا من العيش وفقاً لتعاليم الإسلام، داعين الله عز وجل أن يغفر لنا حياتنا السابقة، إنه نعم المولى ونعم النصير».

ثم توقفت عن الكلام برهة تلتقط فيها أنفاسها، ثم تعود إلى هدوئها الذى يميزها فى الحديث لتقول بعدها:

«أمّا عن نفسى فأدرس أكثر فى علومِ القرآن الكريم، واستزيد فى دراسة الدين الإسلامى بمشيئة الله، فأنا مازلتُ فى البداية فقيرة إلى العلم والمعرفة بعد أن وُلدت من جديد، وأُريد أن ينمو معى إسلامى، عقيدتى الجديدة التى أعتز بها الآن، وأحمد الله عليها».

هكذا قطعت «عائشة عبد الله» رحلتها إلى نور الإسلام الذى أضاء لها الطريق من حولها بعد أن كانت تتخبط فى دروب الضياع والحيرة والقلق.

* * *

مع السيدة الإيطالية «مريم باتريس»

زوجة مسيحية إيطالية لزوج مسلم عربى.. تحدَّتْ أهلها وقاطعتهم من أجل إتمام هذا الزواج الذى تبلور إلى اقتناعها بالإسلام كعقيدة تدين بها وتحمست لها، لدرجة أنها طلبت الطلاق من زوجها لأنه لا يؤدى الفروض الدينية كما ينبغى.

وبين الزواج والطلاق محطات كثيرة قطعتها الزوجة «مريم» وجعلت منها امرأة أخرى غير تلك المرأة الأوربية التى كانت قبل الزواج.... ونترك «مريم» تحكى بنفسها «مشوارها» مع تلك المحطات فتقول:

«إننى من «روما»، تعرفتُ على شاب مسلم من «تونس» عَرَضَ علىَّ الزواج، فلم أجد سبباً للرفض، ففيه كل مميزات الزوج التى تتمناها أية فتاة، ولكن أهلى عارضوا بشدة عندما علموا بذلك، ولم يكن عندهم مبرر لهذه المعارضة سوى أنه مسلم وعربى.. ولكننى رأيتُ أن هذا مبرر غير مقبول، فأصررتُ على الزواج منه، فقاطعنى الأهل بسبب ذلك».

ثم تضيف مريم قائلة:

«وانتقلتُ إلى عش الزوجية، وعشنا حياتنا الأولى من الزواج متفاهمين سعيدين.. وبعد أن أنجبت طفلى الأول قررت أن أعرف شيئاً عن الإسلام الذى هو دين زوجى وطفلى، فطلبتُ منه أن يحضر لى كتباً عن الإسلام، فأحضر لى بعض الكتب الإسلامية، بالإضافة إلى ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإيطالية..

فوجدتُ نفسى أقرأ ترجمة معانى القرآن الكريم وهذه الكتب الإسلامية بشغف شديد، بعدما أحسستُ أن قلبى يتفتح للإسلام شيئاً فشيئاً ويضئ نفسى نور هذا الدين الجديد».

ثم تصمت للحظات لتعود قائلة:

«نعم... أنا لا أنسى عندما كنتُ حاملاً فى طفلى الثانى مدى عظمة الأحاسيس الحالمة والسعادة الغامرة، وقد شرح الله صدرى لهذا الدين الحق، فلم أتردد فى اعتناقى له... فقد كانت لحظة التغير الكبرى فى حياتى عندما اعتنقتُ الإسلام.. فبعد إسلامى شعرتُ أننى أُولَدُ من جديد، وأن كل السنوات التى قضيتها كامرأة مسيحية لا تدخل فى سنوات عمرى».

وتستكمل قصة رحلة إيمانها بعد اعتناقها للإسلام فتقول:

«بعد إسلامى ومعرفتى الكثير عن الإسلام لاحظتُ أن زوجى لا يطبق التعاليم الإسلامية كما يجب، لقد وجدتُهُ مُتَهاوناً فى أداء الصلاة، وأحياناً لا يصوم، وقد علمتُ أن الصلاة والصيام من أركان الإسلام الخمسة.... وحاولت أن أقنعه بأداء الفرائض، ولكنه لم يستجب، بل حاول أن يفهمنى تعاليم الإسلام وفق هواه، ولكنى لم أقتنع بمحاولاته المغلوطة، وأصبح الأمر مثار خلاف يومى بيننا، انتهى إلى أن طلبتُ الطلاق، وحصلت عليه أخيراً...».

ثم تتنهد وهى تهتز برأسها أسىً وحُزناً وهى تستطرد قائلة:

«ولم تنته المعاناة التى ذُقْتَها عند هذا الحد، إذْ كانت رئيستى فى العمل بمصنع للملابس الجاهزة من أعدى أعداء الإسلام، فاضطهدتنى فى عملى... وتحملتُ فى جَلَدٍ وصبر، وبذلتُ فى عملى أضعاف طاقتى، لدرجة أذهلت صاحب العملِ نفسه، ورأى الفارق كبيراً بين إتقانى لعملى وانشغال الأخرى بمحاربتى على حساب عملها، فأقصاها عن رئاستها

للعاملات، وأصبحت أنا رئيستها ولم أنتقم منها كما كانت تتوقع، فالعفو عند المقدرة من الأخلاق الإسلامية!».

ولم يتوقف مسلسل معاناة «مريم» من جراء إسلامها والتزامها بالتعاليم الإسلامية عند هذا الحد، فقد واجهت الكثير من المتاعب والصعوبات، أبسطها ما كانت تلاقيه من سخرية واستهزاء لتمسكها بالزى الإسلامى وعن ذلك تقول:

«مما يثير الدهشة أن أتعرض إلى السب وتوجيه الشتائم لى حين يرانى البعض أرتدى الحجاب وأحرص على الزى الإسلامى، فأضطر إلى نهرهم برفق بلهجة أهل «روما»، فيتحول هذا العدوان إلى دهشة.. امرأة منهم تدين بالإسلام.. كيف؟!... ولماذا؟!»

ولكن لم تلبث أن تعلو وجهها ابتسامة عريضة وهى تقول:

«وهكذا جعلت من مظهرى الإسلامى راية من رايات الإسلام ترتفع بالدعوة لعلهم يهتدون».

وهكذا أيضاً تمضى «مريم» فى قافلة الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام، تعيش مع طفليها المسلمين «محمد» و «خديجة»، تعلمهما الكثير من أمور دينها الجديد الذى تعتز به، وضحت من أجله بزوجها الذى تهاون فى أداء فرائضه كما ينبغى....

كما أنها تحرص على اصطحابهما إلى المركز الإسلامى هناك، حيث تواظب على حضور المحاضرات التى ينظمها المركز، إلى جانب دروس اللغة العربية التى تحرص على إتقانها ليتسنى لها قراءة القرآن الكريم بلغته التى أنزل بها[1].

***

(١) مجلة «المسلمون» فى عددها الصادر فى ١٩ / ١٠ / ١٩٩٠ (بتصرف).

مع «اليزابيث إنجستروم» أو «خديجة إنجستروم»

جمعتها الأقدار بمسلم يُدْعَى «أحمد» فى إحدى المجتمعات الإسكندنافية «السويد». . أبدى اهتماماً بها وطلبها للزواج، وافقت على الزواج منه بدون أن يكون لاختلاف الجنسية أو العقيدة حائل يمنع ذلك، فقد كان اللقاء بينهما لقاء بين إنسان وإنسان.

وبعد أن تم الزواج. . لم يحاول زوجها بأى شكل من الأشكال أن يحملها على اعتناق ديانته «الإسلام» برغم أنه رجل شديد التدين.

فعرفت أن هذا الدين الإسلامى لا يعرف التعصب، فزوجها لم يحاول قط فى أى لحظة أن يرغمها على اعتناق الإسلام(1). . . عَرَّفها أنه لا إكراه فى الدين، هكذا كان منهج الإسلام فى دعوته.

عرَّفها أن الإسلام يؤمن بكل الأنبياء والرسل، ويدعو المسلمين إلى احترام وإجلال الأنبياء والديانات السماوية، ولكن مع التأكيد بضرورة الإيمان بأن محمداً رسول الله وخاتم أنبيائه. . . وأن الدين عند الله هو الإسلام بعد أن بعث الله برسالته إلى النبى محمد ﷺ ليبلغها للناس أجمعين بعد مضى الأديان السابقة.

لم تكن تعرف شيئاً عن الإسلام أكثر مما يعرفه أى شخص سويدى يعيش فى مجتمعها من أنه دين يؤمن به عدد من شعوب الشرق الأوسط، وبعض

(1) وهذا ما لا تتفق فيه مع زوجها، فالمفروض على المسلم الحق أن يدعو أهله إلى دين الحق بلا إكراه، ولكن دون تفريط فى الدعوة لدين الله، فكل راعٍ مسئول عن رعيته.

شعوب إفريقيا وآسيا، وأنهم يتبعون نبيّاً اسمه «محمد»، ولذا فإنهم يُطْلَقُ عليهم «المحمديون».

وتذكر أيضاً أنها لم تكن عندها أى أفكار مسبقة عن هذا الدين، لأنه لم يكن يعنيها أن تعرف شيئاً عن الديانات، حتى ديانتها المسيحية البروتستانتيه التى ولدت عليها، فلم تكن تمارس عبادتها أو الذهاب إلى الكنيسة. . . . فكل معتقداتها أن كل إنسان حر فى اختيار ما يشاء من المعتقدات، وفى ممارسة حياته كما يروق له وكما يريد(1).

ولكنها كانت تتعجب كثيراً فى نفسها كلما ترى زوجها يقوم بأداء حركات فى أوقات معينة، عرفت أنها الصلاة التى يؤديها المسلمون خمس مرات كل يوم فى مواعيد معينة. . وتندهش أكثر كلما يهم زوجها بغسل وجهه وذراعيه وقدميه مهما كان نظيفاً لأنه سيصلى.

أخذت تلاحظه وهو فى الصلاة وقد غمرته سكينة نفس أثارت انتباهها، وخصوصاً وهو يرفع يديه بعبارة «الله أكبر» وهو يلقى بالدنيا كلها وراء ظهره ويتجه بكليته إلى هذه العبادة التى تستغرقه، فلا يرد على أحد أثناء صلاته. . .

كما أثار انتباهها عندما ينتهى زوجها من صلاته وقد ازداد وجه إشراقاً، ونفسه رضاً وسكينة.

واستمرت «اليزابيث» أو «خديجة» تراقب زوجها فى صلاته. . . حتى اقتربت منه ذات يوم تسأله عن عقيدته التى تسمى «الإسلام». . . . والتى تجعل منه هذا الإنسان المختلف عمّا تعرفه من الناس، وما اعتادته من أحوالهم، وخاصة فى مجتمعها الأوربى هذا.

وهنا وضعت «خديجة» يدها على بداية طريق هدايتها إلى دين الله. . الإسلام. . . فبدأ زوجها المسلم يشرح لزوجته معنى الإسلام وعباداته

(1) مجلة «المسلمون» الصادرة فى ٩ ـ ١٥ نوفمبر ١٩٨٥ (بتصرف).

وأحكامه وسلوكياته. . . عَرَّفها أن الإسلام دين يدعو إلى المحبة والتسامح وحُب الخير للآخرين، وتعاون الناس فيما بينهم، ومساعدة الأغنياء للفقراء، لدرجة أنه فرض عبادة تسمى «الزكاة».

وأخذت «اليزابيث» أو «خديجة» تسمع وتقتنع بكل مايقال، وخصوصاً أنها تفتقد فى مجتمعاتها الأوربية الحديثة ـ ولاسيما المجتمعات الإسكندنافيه ـ روح التحاب والتكافل الاجتماعى، وصارت الأنانية وعدم الاهتمام بمساعدة الغير هى السمة الغالبة فى مجتمعاتها، ولذا أصبح الانتحار ظاهرة متفشية، بل وعادية جداً. . . فالإطمئنان النفسى والسكينة التى بها تشيع السعادة فى النفس من الأمور التى يفتقدها الناس فى مجتمعها.

لقد رأت «خديجة» فى الإسلام ديناً يعطيها ما تتمناه من الناس فى مجتمعها من التعاطف والتراحم والتكافل الاجتماعى. . . إنه دين يدعو أهله للحب والتسامح والتعاون فيما بينهم، ومساعدة بعضهم بعضاً. . .دين يحث على حب الخير للناس كما نحبه لأنفسنا. . . لقد آمنت أن الإسلام ـ حقيقة ـ دين يرفض الأنانية بكل صورها.

هكذا حدثها زوجها عن الإسلام وتعاليمه. . . فلم تجد «اليزابيث» بعد ذلك بُداً من أن تعلن تحمسها للإسلام فتعتنقه بعد اقتناع وفهم لطبيعة أحكامه وتعاليمه. . . . فتقول عن ذلك:

لقد وجدتُ كل شئ مقبولاً ومعقولاً ومنطقياً تماماً. . حقاً إن الإسلام هو دين الفطرة الطبيعية. . . لقد أعجبت بالدين من خلال زوجى وسلوكياته كمسلم، وبعد ذلك اقتنعتُ تماماً به عن طريق ما قدمه لى من شرح وإجابات على استفساراتى وأسئلتى العديدة».

ثم تصمت خديجة برهة وهى تتطلع إلى بعيد بنظرات مستكينة حالمة لتقول بعدها:

«إننى ـ الآن ـ لا أخشى الموت. . . . وكيف أخشاه وأنا أعلم أن بعد هذه الحياة الدنيوية الفانية حياة أخرى باقية خالدة ينعم فيها من عاشوا حياتهم الدنيوية متمسكين بالمبادئ السامية والفضائل النقية السليمة، متجنبين الخطايا وارتكاب المعاصى والذنوب؟!.».

ويشرق وجهها بعد أن تلتقط أنفاسها لتؤكد إيمانها بماسبق أن ذكرته فتقول:

«أجل.. إننى مؤمنة تمام الإيمان أنه بعد الموت حياة، وأننى سأعيش فى جنات النعيم، وسأسعد بالجنة التى وعد الله بها عباده المؤمنين بكل ما بها من خيرات»... ثم قرأت قول الله تعالى:

﴿ ...وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[1].

إن هداية «اليزابيث» إلى دين الحق.. دين الإسلام يرفض زوجها أن يكون له فضل فى ذلك، فالفضل كله يرجع إلى الله تعالى الذى كتب لها الهداية، وهيأ لها أسبابها.... هكذا يعتقد زوجها، وهكذا نقل إلى زوجته هذا الاعتقاد بعد أن ترجم لها الآية الكريمة:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[2].

ولكن كل ما يعنيها الآن.. أنها قد وجدت حياتها قد أصبح لها معنى أكبر وأعمق بعد أن ازداد اقتناعها تماماً بهذا الدين وإعجاباً به... وبعد ازدياد معرفتها بالإسلام وأدائها للعبادات المفروضة، والالتزام بسلوكياته، صارت روحها أكثر صفاءً، وضميرها أكثر راحة.

* * *

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٧٢.
(٢) سورة القصص ـ من الآية ٥٦.

الفصل الخامس

قراءات كانت سبب إسلامهن

* مع الأمريكية «قرة العين الكيلانى»..... التى لم تتحول من ديانتها إلى الإسلام إلا بعد أن قرأت عنه خمس سنوات كاملة!

* مع الألمانية «الكسندرا براون»..... التى استغرقت مساء ذات يوم فى القراءة فى كتب إسلامية حتى رغبت أن تصبح مسلمة.

* مع الأسبانية «روساليا» التى تعرفت على الإسلام من خلال عملها فى طباعة الكتب.

* مع السويدية «آن صوفيا»..... التى كانت نوعية دراستها فى قسم تاريخ الأديان نقطة البداية فى رحلتها من المسيحية إلى الإسلام.

* مع الإنجليزية «أميلدا» التى آمنت بالإسلام وهى تقرأ ترجمة لمعانى القرآن الكريم.

* .... وحالات أخرى.

مع الأمريكية «قرة العين الكيلاني»

سيدة أمريكية، لم تتحول من ديانتها إلى الإسلام إلا بعد أن قرأت عنه خمس سنوات كاملة، فاعتنقته عن اقتناع بأنه يحقق السعادة للإنسان، ويرسم له الطريق السليم للحياة الطيبة... فقد أجابت عندما سئلت عن الوقت الذى استغرقته فى رحلتها مع البحث والتفكير فى الإسلام... فقالت:

«خمس سنوات كاملة من الدراسة والقراءة والبحث والتصور والتفكير المتعقل.. وفى النهاية اعتنقته، ونطقت بالشهادتين والحمد لله».

ثم أردفت قائلة:

«كنت أقرأ قراءة واعية فى القرآن الكريم، وفى الحديث الشريف، وفى كتب التاريخ والحضارة الإسلامية، فضلاً عن دراسة سيرة شخصيات إسلامية كثيرة، كالخلفاء الراشدين، والصحابة».

ثم تصمت للحظات لتؤكد على ما تريد توضيحه بصورة لا تسمح بأى تصورات أخرى فتقول:

«لقد بحثت عن ترجمة لمعانى القرآن الكريم.. ثم توالت اهتماماتى بقراءة كتب السيرة النبوية، والأحاديث الشريفة والفقه»....

ولكن ألم تجد صعوبة فى فهم ماكانت تقرؤه عن الإسلام؟....

تجيب «قرة العين» قائلة: «نعم لم أجد صعوبة فى فهم الإسلام.. فهو دين يقوم على العقل والمنطق والقدرة على الإقناع.... لقد كنت أشعر أن ما أقرؤه يقنعنى عقلياً، ويملأ فراغاً روحياً فى كيانى.... وكانت القراءة تجيب بالمنطق والحجة عن تساؤلات كثيرة تدور فى نفسى، ولا أعرف لها إجابة».

ثم لم تلبث أن تصمت تارة أخرى لتؤكد ماسبق أن ذكرته:

«لقد وجدتُ نفسى أقرأ... ثم أعيد قراءة ما قرأت... وكنت فى كل مرة أخرج بشئ جديد، وبتفاصيل أكثر... وهكذا بدأت معلوماتى عن الإسلام تزيد أكثر فأكثر».

وتعود «قرة العين» للبداية.. إلى بداية خط قصة إسلامها لتقول:

«أود أن أشير إلى نقطة مهمة، فاعتناقى الإسلام يرجع إلى سنوات عديدة خلت، فمنذ طفولتى وأنا أهوى دراسة تاريخ الأديان والتعرف عليها.. وقد قرأت كثيراً فى هذا المجال.... وبعد انتهاء المرحلة الثانوية أقمت فى اليابان... وهناك أتيحت لى فرصة التعرف على ديانات الشرق.... عرفتُ الكثير عن البوذية، وعن الكونفوشيوسية... وبدأت أعرف معلومات عن الإسلام لفتت نظرى...

ثم عدت إلى «بنسلفانيا»[1] والتحقت بالجامعة.... وفى مكتبتها واصلت القراءة لمعرفة المزيد عن الأديان... وبطريق المصادفة وقع تحت يدى كتاب لمؤلف مسلم اسمه «جلال الدين العطاردى».... ماكدت أقرؤه حتى بدأت أفكر فى هذا الدين...

وتلتقط أنفاسها لتواصل قصة إسلامها، وما حدث لها بعد مرحلة القراءة فتقول: «وجدت أن اهتمامى بالإسلام تجاوز مرحلة الاطلاع والقراءة، أو

(١) إحدى الولايات الأمريكية.

الاستماع.... إلى مرحلة الارتباط والتعلق والعشق لهذا الدين.... فقد عرفت أشياء كثيرة كانت تسبب لى حيرة وقلقاً.... كيف أتعامل مع الناس؟!... وكيف أعيش فى هذه الدنيا عيشة تحقق لى السعادة المادية والروحية؟.

وتهز رأسها وتشير بأصبعها وهى تهدهد قائلة:

«نعم.. وجدت الإجابة عن كل هذه الأسئلة فى الإسلام... لقد وجدته ديناً يضع منهج الحياة السعيدة للإنسان.

وإذا كانت «قرة العين» لم تجد صعوبة فى فهم ما تقرؤه عن الإسلام.. فلماذا أمضت خمس سنوات قبل نطقها بالشهادتين؟

تندفع فى الرد وكأنها تتخلص من قسوة اتهام بجمود مشاعرها تجاه الإسلام، فترتفع نبرة صوتها قائلة:

«لقد كنت أرغب فى مزيد من المعرفة عن الإسلام ... فقد قررتُ فيما بينى وبين نفسى ألا أدخل هذا الدين إلا بعد أن أقتنع به تماماً.... فأنا أعرف بعض الناس يعلمون الكثير عن الإسلام ويحبونه جداً... ولكنهم لا يعلنون ذلك حرصاً على دينهم ودين أجدادهم ودين المجتمع الذى يعيشون فيه.

إذ ليس سهلاً أن يترك الإنسان دينه ليدخل فى دين آخر إلا إذا كانت إرادته قوية، واقتناعه راسخاً بالدين الجديد... لهذا تأخر قرار اعتناقى للإسلام... لقد كان قراراً يعنى حياتى نفسها، ولذا لم يكن من الحكمة أن أتعجل فيه».

وعن موقف أسرتها بعد أن اعتنقت الإسلام تقول فى ابتسامة مقتضبة:

«أهلى لم يعرفوا عن الإسلام إلا الصورة المشوهة التى تنقلها إليهم وسائل الإعلام التى يملكها ويديرها اليهود.... من هنا كان اندهاش أسرتى لهذا

التحول الذى طرأ على حياتى.... من دين الآباء والأجداد إلى دين الإسلام!! فبدءوا يتساءلون: ماهو الإسلام؟... وماهى أركانه؟... وماهى تعاليمه؟ إلى آخر هذه التساؤلات.... فى الوقت الذى كان يجب علىَّ أيضاً أن أصحح لهم المفاهيم الخاطئة التى عرفوها عن الإسلام من وسائل الإعلام المعادية له.

ثم أوضحت لهم أن الإسلام دين ثابت، له مبادئ وأحكام... وأنه يقوم على تشريع إلـهى من الله عز وجل بَلَّغَهُ إلينا محمد ﷺ عن ربه، ويسير على مناهجه البشر فى الدنيا لكى يفوزوا برضاء الله فى الآخرة، حيث الحساب والجزاء يلقى فيه الجميع جزاء ما قدموا من أعمال فى الدنيا.... كما بينتُ لهم أنه دين يقوم على الإقتناع والعقل، واحترام إرادة البشر، فلا إكراه فى الدين...

ثم أخبرتهم بقصة إسلامى كاملة، والتى جاءت بعد اقتناع تام وفهم لفحوى الإسلام وتعاليمه.. وقلت لهم: إنها خطوة مهمة بالنسبة لى ولحياتى، ودافعت عن رأيى..... ولقيت منهم تفهماً واستحساناً، عندما أدركوا أننى مقتنعة تماماً بالإسلام».

وتتنهد «قرة العين» فى أسف وأسىً عندما تستطرد قائلة:

«إن المشكلة مع جيل الآباء والأجداد أنهم نَشَئُوا على ديانة رسخت معتقداتها فى أذهانهم منذ الصغر، ولذا أصبح من الصعب تغييرها، ولهذا لم يعتنق الإسلام والدى ووالدتى برغم أنهما يحترمان كل التقاليد والطقوس والشعائر الإسلامية التى أقوم بها فى منزلى، من ذلك الصلاة خمس مرات فى اليوم.. والصوم عن الأكل والشراب شهراً كاملا أكثر من اثنتى عشرة ساعة يومياً، فضلاً عن اندهاشهم للحجاب والزىّ الإسلامى المحتشم الذى ارتديته بعد أن هدانى الله إلى الإسلام».

ومن الجدير بالذكر أن «قرة العين» قد تزوجت من شاب مسلم كان يدرس معها فى نفس الجامعة للحصول على الدكتوراه، وعندما علمت بعض صديقاتها باعتناقها للإسلام نصحنها بالالتقاء به، ولاسيما أنه فى الوقت ذاته إمام مسجد المركز الإسلامى القريب من الجامعة... فكتبت إليه رسالة تسأله عن كيفية الاستزادة من المعلومات عن الإسلام.. وكيف يمكنها تعلم شعائره؟.

فرد عليها ينصحها بالالتحاق بفصل دراسة اللغة العربية والدين الإسلامى للأمريكيات، وكان يدرس فيه..

ومن هنا بدأ التعارف الذى أسفر عن زواجهما... ذكرت ذلك وهى تبتسم فى خفر وحياء المسلمة المؤمنة.

لقد حسن إيمان «قرة العين» بدينها الجديد «الإسلام»، وتبلور إلى حماس ودفاع عنه، وهى تقوم بنشره بين بنات جنسها من الأمريكيات، فضلاً عن أنها فخورة بكونها مسلمة، وزوجة لإمام المركز الإسلامى(1).

* * *

(1) صحيفة اللواء الإسلامى فى أحد أعدادها الأسبوعية (بتصرف).

مع السيدة الألمانية «بريجيت» التى صارت «ثريا»

كانت «بريجيت» وثيقة الصلة بالكنيسة وأنشطتها، حتى عُدت من الفتيات النشيطات فى مجال الدعوة الكَنَسيَّة، ومشاركتها الفعالة المجدية فى أنشطتها التنصيرية، فضلاً عن التزامها بأداء صلاة الأحد وغيرها من الطقوس التى تقوم بها الكنيسة، كل ذلك وهى لا تزال فى المرحلة الثانوية.

فلما انتقلت إلى المرحلة الجامعية وتابعت دراستها فى كلية الزراعة فى جامعة بلدتها «شتوتجارت» واصلت نشاطها الدينى بالحماسة نفسها التى لازمتها وهى لم تزل فى المرحلة الثانوية.

ولكن حدث فجأة أن وقع فى يدها نسخة من القرآن الكريم مترجمة إلى اللغة الألمانية، فقرأتها باهتمام بدافع حب المعرفة والعلم بالشئ غير أنها لم تلبث أن شعرت ـ كما تذكر ـ بانجذاب غير عادى تجاه الإسلام. . وكانت هذه هى نقطة البداية التى قادتها إلى إعلان إسلامها فى يوم من أيام شهر رمضان المبارك.

وفى أثناء هذه الفترة تعرفت «بريجيت» على شاب مسلم يعمل بالمركز الإسلامى «بميونيخ» حيث كانت دائمة التردد عليه لحضور الندوات واللقاءات التى يطرح فيها كثير من الاستفسارات والأسئلة التى تهم من يرغب فى معرفة الإسلام كدين له تعاليمه ومبادئه وآدابه، ولذا كانت «بريجيت» تجد بغيتها عندما تتواجد بالمركز الإسلامى، يساعدها فى ذلك «ثروت» الشاب المسلم الذى توج معرفته بها بالزواج منها، بالرغم من الحملة التى تشنها وسائل

الاعلام الألمانية على الإسلام والمسلمين هناك. . ومن ذلك ما تصوره بعض الأقلام الحاقدة فى الصحف من المذلة والإهانة التى تلقاها الألمانيات المتزوجات من مسلمين. .

وتعقب «بريجيت» أو «ثريا» المرأة المسلمة على ذلك بقولها:

«إنْ صَحَّتْ بعض هذه القصص التى ترويها الصحف عن الألمانيات المتزوجات من مسلمين، فإنه من المؤكد أن هؤلاء المسلمين ليسوا من المتمسكين بتعاليم الإسلام، وما أكثر هؤلاء. . . إضافة إلى أن الأسرة الألمانية تعانى من مشكلات كثيرة، ولعلها أكثر حتى من مشكلات الأسر التى ليس لها من الإسلام سوى خط يسير».

وبعد الزواج الميمون، انصرفت «ثريا» إلى التزود بثقافة إسلامية لكى تساعدها فى الدعوة إلى الإسلام، حتى كادت أن تقرأ كل ما نُشِرَ عن الإسلام باللغة الألمانية، فقرأت كتاب «مبادئ الاسلام» لأبى الأعلى المودودى، وكتاب «هذا الدين» للشهيد سيد قطب. . و «المعجزة الخالدة» للأستاذ خالد محمد خالد، وغير ذلك من كتب عديدة صدرت عن المركز الإسلامى فى «ميونيخ». .

وتفخر «ثريا» بامتلاكها نسخة من القرآن الكريم باللغة العربية، ونسخة من معانيه مترجمة باللغة الألمانية، ولكنها تحرص أكثر على قراءته بلغته العربية التى أُنزل بها، وبالتالى تحرص على تعلم اللغة العربية وإجادتها فى المركز الإسلامى الواقع فى بلدتها «شتوتجارب». . . فهى برغم استطاعتها قراءة بعض آيات القرآن الكريم وفهمها بمعاونة زوجها، فإنها تأمل أن يأتى اليوم الذى تستطيع فيه قراءة القرآن الكريم كله باللغة العربية.

وتذكر «ثريا» مدى تاثرها بسيرة نبى الإسلام محمد ﷺ فتقول:

«من خلال قراءة سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام تأثرتُ بكثير من المواقف التى تُظهر عظمة النبى الكريم، وتؤكد أنه رسول الله، ومنها موقف

الناس من أمانة النبى قبل البعثة، وثقتهم بصدقه، حتى كانوا يضعون عنده أماناتهم، ولم يستردوها بعد بعثته عليه الصلاة والسلام، برغم عدم اتباعهم له وإيمانهم برسالته، إلى أن جاء يوم هجرته فصار يرد الأمانات إلى أصحابها».

وتضيف أيضاً:

«كما تأثرت جداً بموقف «النجاشى» حين رَحَّبَ بالمسلمين المهاجرين إليه فى الحبشة بعدما سمع منهم ما قالوه عن الإسلام، فآمن به بعد أن قال إنَّ هذا وما جاء به عيسى على السلام يخرجان من مشكاة واحدة».

كذلك تتحدث «ثريا» عمًّا قرأته عن مولده عليه الصلاة والسلام، وعلامات نبوته حين أخذته مرضعته «حليمة السعدية».. كما تتحدث عن أعظم ما أثر فى نفسها، وزاد فى رغبتها فى الدخول إلى الإسلام.. عن مؤاخاة النبى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار فى المدينة، وما شعرت تجاه ذلك من شوق وأمل أن تسعى لتجديده فى مجتمعات المسلمين المعاصرة.

وعن موقف الناس المحيطين بها من إسلامها تقول المرأة المسلمة «ثريا»:

«إنهم فريقان.. فريق يسلم بأن للإنسان أن يختار عقيدته الموافقة لقناعته.. وفريق آخر يلومها باستمرار ويسألها: لماذا تحرمين نفسك من متع الحياة، فلا تأكلين لحم الخنزير، ولا تحتسين الخمر، ولا تزاولين السباحة، ولا ترتادين النوادى، ماذا تكسبين من حياتك إذن إذا كنت لا تفعلين هذا كله؟!».

ولا تجد «ثريا» من يساندها فى موقفها من دينها الجديد «الإسلام» سوى القلة القليلة من الناس، حيث إن الاتجاه العام هو مناصبة الإسلام العداء، غير أن ذلك لا يضيرها طالما وجدت الأمان والطمأنينة فى إسلامها.

ولم تكتفِ «بربجيت» بإسلامها وتحولها إلى «ثريا» المسلمة، بل حرصت على أن تكون أيضاً داعية للإسلام، فهى ترى أن ما ينقص العمل الإسلامى الآن هو ضعف فاعلية السيدات المسلمات، وقيامهن بدورهن المناسب لطبيعتهن. . ولذلك انتقلت «ثريا» من «شتوتجارت» إلى «ميونيخ» حيث وجدت فرصتها للعمل لخدمة الإسلام هناك فالأُسَر المسلمة كثيرة، والنساء الألمانيات يترددن على المركز باستمرار يسألن عن الإسلام، يشد من أَزْرِهَا فى ذلك زوجها الذى يعمل أيضاً فى المركز الإسلامى، ويرى أن هذا يحقق لزوجته «ثريا» أملها فى الدعوة إلى دين الله الذى أشرق قلبها بنوره، وهكذا تحولت «بريجيت» النصرانية المتعصبة إلى «ثريا» الداعية المسلمة!

* * *

مع الآنسة الألمانية «الكسندرا براون» أو «كريمة»

فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها، قادها عقلها قبل عاطفتها إلى الدخول فى الاسلام والاعتزاز به والإيمان بأحكامه، ولم يستطع غسيل المخ الذى مُورِسَ على شباب جيلها من الغربيين من تشويه صورة الإسلام فى نفسها، فلمَ تنطلِ عليها الافتراءات والأكاذيب التى دأب رجال الكنيسة على ترديدها. . . . ولم يمنعها عدم إجادتها للغة القرآن عن محاولة فهمه ومعرفة إعجازه.

عندما أحست بأنوثتها ساءها ما يحدث لبنات جنسها فى المجتمعات الغربية. . كانت تتطلع إلى أخلاقيات تعصمها من التردى فى الانحرافات التى استشرى أمرها فى مجتمعها، ومن ثم إلى دين صحيح، فتعبر عن ذلك قائلة:

«منذ الطفولة كنت دائمة البحث عن الدين الصحيح، وكنت أذهب للكنيسة باختيارى، وأذهب إلى مدارس الأحد لدراسة الإنجيل، ثم فكرت فى الانضمام إلى الكنيسة البروتستانتية، لكن الله تعالى أنقذنى فلم أنضم إليها.

كنت أقرأ كثيراً من الكتب التى تتناول الحضارات والديانات الأخرى، ولكن كلما قرأت عن المعتقدات والأخلاق الإسلامية كنت أتأثر بها، وخصوصاً ترجمة معانى القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ».

وعن بداية تحولها إلى الإسلام تقول:

«فى مساء كريسماس عام ١٩٦٢ وأنا مستغرقة فى القراءة فى كتب إسلامية أُهديت إلىَّ، شعرتُ ـ عند منتصف الليل ـ أن المسيحية ليست هى الصواب، وأننى أريد أن أصبح مسلمة، وقد خلوتُ إلى نفسى وشهدتُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. . .

لقد أيقنتُ أن ما يقدمه الغرب عن الإسلام مُشَوَّه، وأن ماسبق أن اطلعتُ عليه من كتب ألفها المستشرقون كانت تمدنى بمعلومات خاطئة، كالافتراء بأن الإسلام قد ظلم المرأة، وأنه يحارب الغرائز الطبيعية فى الإنسان، بدليل أنه حَرَّمَ الزنى!»

ولم تجد الفتاة الألمانية «الكسندرا براون» إلا أن تعتنق الإسلام عن اقتناع تام، وتشهر إسلامها، وتتسمى باسم «كريمة». . . .

والملفت للانتباه أن «كريمة» تكره استرجاع ذكرياتها الماضية حتى لا تطغى على استمتاعها الحاضر بسعادة إيمانها بدين الإسلام، تُعبر عن ذلك بقولها: «دعونى أستمتع بسعادة حاضرة بعيداً عن آلام الماضى وقلقه»(١).

* * *

مع الآنسة الإنجليزية «زهراء»

كانت تعيش مع أسرتها فى حى من أحياء لندن الهادئة. . وهى المسلمة الوحيدة فى عائلتها التى لم تعارض أسرتها فى اعتناقها للإسلام، بل باركته من منطلق حرية العقيدة.

قامت «زهراء» بزيارة أكثر من دولة فى جنوب شرق آسيا للدراسة والبحث عن الحضارات القديمة، وعلاقة الأديان بسلوكيات الأفراد، وانتهت هذه الزيارة بإشهار إسلامها على يد واحد من علماء الدين فى الهند. . وذلك

---

(١) صحيفة المسلمين فى عددها الصادر فى ٢٨/ ٢/ ١٩٩٢ (بتصرف).

بعد أن قرأت سلسلة من القراءات المختلفة فى أمور الإسلام، فضلاً عن تفسير كامل للقرآن الكريم، غير الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، وسير الصحابة والخلفاء الراشدين، وكتباً أخرى كثيرة عن الإسلام كنظام اجتماعى واقتصادى وسياسى شامل. . . . وعن تأثير ذلك تقول:

«لقد وجدت فى القرآن الكريم رسالة شاملة لتفسير الخلق، وتسيير الكون، أو قوانين الطبيعة. . لقد أفقت على حقيقة هزتنى من الأعماق، وهى أن كل ما قرأته عن الإسلام لهو الحق والمنطق والشمول كله بشتى نواحى الحياة، ولذلك فقد اتخذتُ قرارى بإشهار إسلامى».

ثم تستطرد قائلة باعتزاز:

«قرأت القرآن الكريم مرات كثيرة منذ إشهار إسلامى، وهناك آية تستوقفنى كثيراً من سورة «مريم» وهى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

ثم الحوار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وأبيه ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[2].

وقوله:

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾[3].

وغير ذلك من آيات كثيرة:

---

(١) سورة مريم ـ الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة مريم: الآية ٤٢.

(٣) سورة مريم: الآية ٤٤.

وعندما سُئلت عن أهم شئ أقنعها به القرآن الكريم.. أجابت على الفور:

«وحدانية الله.. فأنا لا أؤمن بالثالوث فى المسيحية، حيث لا أجدها منطقية أن يكون المسيح هو ابن الله.. فالله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون أكبر وأعظم وأجَلّ من أن يكون له صفات البشر.. وحقيقة لقد تناولت سورة مريم هذه القضية بصورة رائعة لا يمكن الشك فيها.

وعن تعاليم الإسلام التى وجدت فى نفسها صَدىً عميقاً قالت بحماس وقوة:

«قضية تعدد الزوجات.. فللأسف الشديد يأخذ الكثيرون فى الغرب هذه القضية بمفهوم سطحى، ويبدءون منها للهجوم على الإسلام.... إلا أن هذه القضية لو نظرنا إليها بعمق وبدون تعصب لوجدناها تعد حلاً إنسانيّاً واجتماعيّاً فى كثير من الأحوال والظروف، كظروف الحرب المتواليه التى ينتج عنها موت الكثير من الرجال، وترك أسَر بأكملها ـ نساءً وأطفالاً ـ بدون عائل أو مسئول ينظر فى أمورهم، ويضمن لهم حياة كريمة، ويبعدهم عن الانحراف والفساد.. ولذا فإن قضية تعدد الزوجات تُعَدُّ حلاً إنسانياً فى كثير من الأحيان».

ثم أضافت قائلة:

«إن من أعظم تعاليم الإسلام هو عدم التفرقة بين الناس على أساس من اللون أو الجنس، وحثه على احترام الآخرين».

ثم تختتم حديثها بنداء للمسلمين:

«يا أيها المسلمون فى كل مكان، اتحدوا، فالاتحاد قوة، وأول طريق التقدم والنهوض، فعالم اليوم هو عالم التكتلات القوية التى تستطيع أن تفرض رأيها بما تتمتع به من وحدة الرأى ووحدة المسالك»[1].

* * *

(١) جريدة «المسلمون» الصادرة فى ٣١ أغسطس ١٩٨٥ (بتصرف).

مع السيدة الأمريكية «فرجينيا جراى هنرى»

نشأت فى مدينة «لوى فيل كنتكى» بالولايات المتحدة الأمريكية.. وتخرجت من جامعة «كولومبيا»... لم تكن راضية عن هذه الحياة التى تحيط بها، فقد كانت تبحث عن سبيل للاستقرار الروحى والطمأنينة النفسية والاقتناع بدينها، فهى مسيحية بروتستانتية تذهب دائماً إلى الكنيسة التى تنتمى إليها أسرتها... فتعبر عن ذلك قائلة:

«كنت منذ صغرى متدينة، أذهب دائماً إلى الكنيسة البروتستانتية التى أنتمى إليها.. وكان من تعاليم هذه الكنيسة أن أؤمن بالحياة الآخرة... ولكن أية حياة هذه ومعظم الناس لا يفكرون فى الموت إلا عندما يتقدمون فى السن؟!

وقد حدث فى صغرى أنْ شاهدتُ كثيراً من قريناتى وأقرانى فى السن يموتون فى بعض الحوادث، فبدأت أفكر فى مصيرهم، وماذا يحدث لهم بعد موتهم؟.... كما أن طريقة الحياة الأمريكية تجعل المرء يشعر فى قرارة نفسه أنه سيموت عندما يبلغ الستين من عمره، فعليه أن ينتهز فرصة هذه الحياة لينفقها فى المتعة والملذات قبل أن ينتهى كل شئ!!

ولم أكن راضية عن هذه الحياة التى تحيط بى.... فأخذت أبحث عن سبيل للاستقرار الروحى، فالتقيت بحركة كبيرة تسمى «الروحية» تؤمن بالحياة بعد الموت.... وعند بعضهم - كما يقولون - مقدرة على الاتصال بعالم الأموات.. ويرون أن هؤلاء من الموهوبين!!... ولكن عندما تتفحص

وجوههم أثناء غيبتهم واتصالهم بهذا العالم الذى يقولون عنه إنه عالم روحى تجدهم لا يسألونه إرشاداً عن الحياة الروحية، ولاعن الحياة الطيبة الصالحة، ولكنهم يسألونه عن النواحى المادية التى لاصلة لها بالدين. . كما يعتقدون أن كل شئ له تعليل فى حياتهم المادية يكون فى عالم الأرواح، أو يكون من عالم الأرواح!».

ثم تبين كيف أن دراستها لعالم الأرواح لايكفيها للوصول إلى مبتغاها من الاستقرار الروحى، فاتجهت إلى دراسة الأديان، فتقول عن ذلك:

«. . . . غير أننى لم أكن واثقة من ذلك[1]، وشعرت بأنه ينبغى علىّ أن أجمع البراهين العقلية الكافية لإثباته. . فدرست فى الجامعة مقارنة الأديان لمدة أربع سنوات، باستثناء الدين الإسلامى الذى لم يكن يدرس لنا، لأن رئيس القسم كان أستاذاً يهودياً يدعى «موريس فريدمان».

ووجدت كل شئ حولى يبدو غير حقيقى، حتى الكتب التى تنشر عن الأديان. . . فمؤسسة مثل مجلة «لايف» التى تشرف عليها هيئة يهودية تنشر كتباً عن الأديان مثل البوذية والهندوكية والإسلام وكأنها أديان أثرية غير حية، لذلك كان إطلاعى على الإسلام ضعيفاً»

ثم تصمت فجأة لتبتسم فى ارتياح نفسى قد ترك أثره على محياها وهى تقول:

«لم أشعر بوجود الإسلام فى نفسى إلا بعد أن أسلم زوجى، فبدأت أقرأ الكتب الإسلامية وأسأل المسلمين عن تعاليمه، حتى وجدت فيه الهداية والإقناع النفسى والعقلى، والعثور على الحقيقة التى أبحث عنها. . حقيقة الحياة والموت. . فشعرت بالاستقرار الروحى، والطمأنينة النفسية، فأسلمت

(١) تعنى هنا دراسة عالم الأرواح. .

بعد أن اقتنعت به كدين استطاع أن يغير نظرتى إلى الحياة.. فقد تغير كل شئ فى حياتى.. عندئذ شعرت أن الله قد أنعم علىّ بأعظم نعمة حين هدانى إلى الإسلام».

ثم تتمتم قائلة:

«إنها معجزة كبرى»[1].

* * *

مع الليدى إيفيلين «زينب كوبولد»

عندما سُئلت: متى أسلمت؟...

أجابت فى مرح متزن: ومتى كنتُ غير مسلمة؟!.. قل متى اعتنقت الإسلام رسمياً؟.. فإننى كنت مسلمة منذ البداية.. لا تعجب.. ألم يكن الإسلام دين الفطرة الذى يشب عليه الطفل إذا تُرِكَ على فطرته؟!

وعن اعتناقها للإسلام وكيف كانت بدايته تقول:

«كانت البداية الحقيقية عندما زادت دراساتى وقراءاتى عن الإسلام، عندئذ زاد يقينى فى تميزه عن الأديان الأخرى من حيث أنه أكثرها ملاءمة للحياة العملية، وأقدرها على حل مشكلات العالم العديدة والمعضلة، وعلى أن يسلك بالبشرية سبل السعادة والسلام... لهذا لم أتردد فى الإيمان بأن الله واحد، وبأن موسى وعيسى ومحمداً عليهم صلوات الله وسلامه ومَنْ سبقهم كانوا أنبياء أوحى إليهم من ربهم.... وبأننا لا نحتاج إلى من يحمل عنا خطايانا أو يتوسط بيننا وبين الله... وبأنه حتى محمداً وعيسى عليهما السلام لايملك أحدهما لنا من الله شيئا، فنجاتنا إنما هى وقف على سلوكنا وأعمالنا».

وعندما سُئلت: ماذا تعنى كلمة الإسلام عندك؟

(1) مجلة الوعى الإسلامى - عدد أكتوبر ١٩٧٠ (بتصرف).

أجابت قائلة: كلمة الإسلام ـ كما عرفت وآمنت به ـ تعنى الخضوع والاستسلام لله، كما أنها تعنى السلام فالمسلم هو الذى يعيش فى سلام مع الله ومع خلق الله.

وعن أجمل شئ وجدته فى الإسلام.. قالت:

«إنه ليس فيه شئ من العقائد اللاهوتية المعقدة الثقيلة، ومن ذلك وحدانية الله لاثالوث، وكذلك الأخوة الشاملة بين البشر، ومبدأ السواسية بينهم بدون تفرقة ولا أفضلية إلا بالعمل الصالح».

ثم استطردت بعد برهة من الصمت لتقول:

«أما عن فريضة الحج، فكل قول يقصر عن وصف تأثيرها فى النفس.. يكفى أن يرى الإنسان نفسه فرداً فى الجموع الضخمة التى وفدت من أنحاء العالم المختلفة ليُشارك إخوته ـ فى هذه المناسبة المقدسة ـ بكل خشوع فى تمجيد الله، فيسرى فى روحه جلال المثل العليا فى الإسلام، وهو يزور موطن نشأة الإسلام، وفى ارتياد اماكن عظيمة كالكعبة، وقبر الرسول، وغار حراء وغيرها من الأماكن التى فيها بعث للحياة فى الأفئدة، وإحياء لسيرة الرسول فى جهاده الطويل لنشر دعوة الإسلام.

ثم لم تلبث أن أخذت تردد قائلة:

«لا.. لا.. لاأستطيع أن أصف ذلك اللهيب إلسماوى الذى يصهر ويثير الروح بأشجان الحب للإسلام وأركانه أثناء الحج.... ألم يكفِ أنه فوق كل شئ تحقيق للوحدة بين المسلمين.. فإذا كان هناك ما يصبغهم بصبغة الأخوة والعواطف المشتركة فإن الحج هو الذى يؤدى لذلك، حيث لا يقيمون وزناً لتباعد ديارهم، ويطرحون جانباً خلافاتهم الطائفية والمذهبية، وتتلاشى بينهم فوارق اللون والجنس أمام الإخاء فى العقيدة التى تجمعهم جميعاً فى إخوة شاملة».

***

مع الآنسة الأسبانية «مونتسدات بايا روفيرا» التى صارت «زينب» المسلمة

ولدت فى مدينة «برشلونة» الأسبانية من عائلة مسيحية عادية تجهل أى شئ عن الإسلام، سوى ما تسمعه من أن المسلمين كان لهم تاريخ حافل فى هذا البلد..

كانت دائماً تستشعر بأن شيئاً ما ينقصها ويدفعها للتساؤل عن مسألة التثليث وألوهية عيسى عليه السلام، لم تَرُقْ فى نفسها نظرة النصرانية لله... وظلت الحيرة تلازمها حتى اطلعت على عقيدة الإسلام التوحيدية المطلقة، ونظرتها المتكاملة الواضحة لله تعالى، والتى يسهل على المرء المتفتح العقل أن يقبلها ويقتنع بها، شأن كل المسائل العقائدية الأخرى فى الإسلام التى تخلو من الأسرار التى لم يستوعبها العقل، والتى على المرء أن يؤمن بها بدون جدال.

وحرصت «مونتسدات بايا روفيرا» ـ هذا اسمها ـ على أن تتعرف أكثر على الإسلام، فطلبت من صديقتها الأسبانية التى لديها اهتمامات بالإسلام أن تحدثها عنه، وتشرح لها عقيدته ومزاياه، فأحضرت لها ترجمات لمعانى القرآن الكريم وبعض الكتب الإسلامية المترجمة، وبدأت تقارن بين القرآن والإنجيل، فوجدت اختلافاً تاماً بينهما، فضلاً عن التناقض بين العهد القديم والعهد الجديد، فالعهد القديم ـ مثلاً ـ يقول للنبى موسى عليه السلام: قل

للناس هذا حرام، والعهد الجديد يقول للنبى عيسى عليه السلام قل للناس عكس ما قيل للنبي موسى عليه السلام، أى افعلوا ما تشاءون! . . . . كانت هذه المسألة وأمثالها تتضح لها يوماً بعد يوم كما تذكر.

وعلى العكس من ذلك كانت كلما توسعت فى قراءة الكتب الإسلامية كانت تجد حلولاً وأجوبة مقنعة للمسائل العقائدية التى تبحث عنها. . ثم بدأت «مونتسدات» تلتقى بعد ذلك بأشخاص مسلمين ملتزمين، ومن خلالهم تعرفت أكثر على الإسلام، قيمة، ومبادئه، وتعاليمه، حتى اقتنعت تماماً بعظمة الإسلام، فاعتنقته. . وعن ذلك تقول:

«ليس سهلاً اعتناق الإسلام، بل الأمر يحتاج إلى جهد كبير وإرادة صلبة، خاصة لمن نشأ فى مجتمع غربى مادى، ولكن مع الصبر يصل الإنسان إلى ما يريد، خاصة أن الجائزة كبيرة جداً، وهى سعادة الدنيا والآخرة».

ثم تستطرد قائلة:

«بعد اعتناق الإسلام عن وعى، يحس الإنسان باطمئنان وسكينة نفسية كان يفتقدها قبل ذلك خاصة إذا كان يعيش فى مجتمع تسود فيه القيم المادية، كالمجتمع الذى عشت فيه».

وترتفع حرارة كلماتها فجأة، وتحرك يديها لتأكيد معنى كل كلمة وهى تقول:

«لقد أحسست بالراحة النفسية عندما لا مَسَّتْ روحى شفافية الإسلام المتجلية فى عقيدته السمحاء، وعباداته التى تنمى الروح الخيرة المحبة الصادقة فى الإنسان، فتغيرت نظرتى للمجتمع، وللكون، والحياة تبعاً لذلك، فأصبحت أكثر تفاؤلا ورغبة فى العمل من أجل الغير».

والجدير بالإشارة أن «مونتسدات» اتخذت اسم «زينب» بعد اعتناقها

الإسلام من منطلق إعجابها بالسيدة «زينب» رضى الله عنها، وشخصيتها الفذة على حد قولها.

وتسعى «زينب» لتعلم اللغة العربية لتتمكن من قراءة وتفهم القرآن الكريم والكتب الإسلامية، وحتى تتمكن بالتالى من العمل فى مجال الدعوة الإسلامية بين الفتيات غير المسلمات بصفة خاصة، وغيرهن بصفة عامة.

وكذلك تود أن تخاطب الفتيات المسلمات المبتعدات عن الدين بسلوكهن، لتبين لهن الفرق بين أن يكون الإنسان مسلماً حقيقياً يتمتع بنعمة الإسلام والإيمان بتعاليمه وقيمه، وبين أن يكون بعيداً عن ذلك... وتشير إلى أنها قد لاحظت هذا الفرق وعايشته، وتدلل على ذلك بقولها:

«إن النساء والفتيات اللواتى يبتعدن فى سلوكهن عن الإسلام ويُقَلِّدْنَ فى ذلك - وبأسلوب فاشل - المرأة الغربية التى لا تعيش التحرر الحقيقى، إن هؤلاء الفتيات محرومات من السعادة الحقيقية التى أستشعرها بعد أن هدانى الله تعالى للدين الحق، وأنقذنى من ظلمات الضلال».

ثم تستغرقها الحماسة والانفعال وهى تضيف:

«إننى أريد أن أقول للمسلمين بشكل عام: إنكم تَحْظَوْنَ بأغلى جوهرة ألا وهى الإسلام، فحافظوا عليها كى لا تفقدوا نعمة وجودها وتكونوا أنتم الخاسرين.. إن للإسلام فى نظرى أهمية عظيمة، إنه كالماء للحياة، إذا بقى الإنسان بلا ماء يذبل ويموت، وكذلك الإنسان بدون إسلام لاقيمة له ولا لحياته.

* * *

مع الفتاة المدللة «سوسن هندى»

نشأت فى أسرة مسيحية شديدة التعصب لعقيدتها. . . . . كانت الابنة الوحيدة بين أربعة أشقاء من الذكور، ولذا كانت مدللة للغاية. .

وكانت منذ الصغر تَتَّصِفُ بِنَهَمٍ للاطلاع والقراءة فى كل أنواع المعرفة، كما كانت حريصة على حضور دروس الدين الإسلامى لمعرفة ماهيته وأحكامه وتعاليمه. . .

تتذكر مرحلة طفولتها قبل أن تصل لمرحلة التفكير فتقول:

«فى المرحلة الابتدائية كنت المسيحية الوحيدة فى الفصل إلى جانب مسيحى آخر. . وكنتُ أحرص على حضور درس الدين الإسلامى مع زميلاتى وزملائى، وكان مدرس اللغة العربية والدين بأسلوبه المحبب وشرحه المبسط يأسرنى بما يرويه عن الإسلام.

وفى المرحلة الإعدادية كنت أحرص على استعارة كتاب الدين الإسلامى المقرر وبى شغف شديد لاستيعاب كل مافيه، كذلك كان حالى فى المرحلة الثانوية، حيث تأثرت بكتاب «عبقرية عمر» للأستاذ عباس محمود العقاد الذى كان مقرراً علينا وقت ذاك، حيث يمثل نقطة تحول فى تفكيرى، فشخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه أذهلتنى، وقد كان علىّ كَرَّمَ الله وجهه محقّاً عندما قال: عقمت الأمهات أن يَلِدْنَ مثل عمر. . وإن كان أبو بكر الصديق أرسى الدولة المسلمة سياسياً فقد أرساها عمر سياسيّاً وفكرياً معاً».

وتضيف سوسن:

«إنه برغم تشبث أبى بمسيحيته وتردده المنتظم على الكنيسة فإن مكتبته الخاصة بمنزلنا كان بها عدد كبير من الكتب الإسلامية... وكنت أتسللُ إلى المكتبة فى غيبته لأشبع نهمى للاطلاع المجرد بلا هدف، وبالتدريج تكونت لدَىَّ الرغبة فى المزيد من البحث عن المجهول بالنسبة لى، من أجل مزيد من العلم والمعرفة.

والغريب فى الأمر أننى كنت فى هذه المرحلة مسيحية شديدة التعصب، مواظبة على التردد على الكنيسة، وكنت أشعر بالغيرة على عقيدتى وهى تتضاءل أمام الإسلام... وكنت أتمنىٰ أن أرى فى عقيدتى المسيحية من القيم والمبادئ القويمة ما هو موجود فى الإسلام».

وتمضى «سوسن» قائلة:

«لم تكن أسرتى تشعر بشئ، بل كان والدى لا يرى مانعاً من مطالعتى للكتب الإسلامية لزيادة المعلومات لا أكثر... غير أنه كان هناك إنسان واحد يحس بى وبحيرتى، هو «قس» شاب متفتح، حر التفكير، يقول لى: «أنتِ مُلْزَمَة بما ترين ولست ملزمة بنصوص الإنجيل التى تقلقك، إنى أراكِ باحثة عن الحقيقة».... وعندما علم بحزنى لعدم التحاقى بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، - حيث لا يتسنى لغير المسلم أن يلتحق به - أشار علىَّ بالالتحاق بقسم التاريخ الذى تخرج منه هذا القس... وعندما التحقت بالجامعة، حملت معى فكراً قلقاً بالنسبة لمسيحيتى، وفقدت الثقة فى الأناجيل وشروحها الكثيرة، وكلها على طرفى نقيض، ولكننى أعترف بأنها كانت عاملاً مساعداً لى على اعتناق الإسلام.. وطالما وضعتُ الإنجيل أمام القرآن الكريم فى إطار المقارنة فأرى بأن لا وجه للمقارنة».

وتستمر «سوسن هندى» فى حديثها لتستكمل رحلة إيمانها:

«وكان الحوار بينى وبين الشباب المسلم داخل الجامعة على أشده، ولكن بروح سمحة، وما إن ينتهى الحوار حتى نعود أصدقاء.. وفى السنة الأخيرة قررتُ أن يكون حوارى مع أستاذ بالكلية كان على بينة من دينه فى غير تعصب.. وقبل امتحان السنة النهائية فاجأت الأستاذ بعزمى على الدخول فى الإسلام عن اقتناع تام، ولكن دهشتُ عندما طلب منى أن أتريث حتى أنتهى من أداء الامتحان، لكننى أصررتُ على موقفى.

وغادرت منزلى لأعيش فى ضيافة أسرة إحدى زميلاتى حتى استطعتُ إشهار إسلامى.. وجُنَّ جُنون أُسرتى التى فقدت كل أمل فى أن أعود إليها، وأبلغوا عنى أننى مخطوفة، فذهبت إلى الأجهزة المختصة وكتبت إقراراً بأننى لست مختطفة».

وتتزوج «سوسن هندى» من شاب مسلم ملتزم من الذين كانت تحاورهم فى الجامعة، ولم تتعد أو تتجاوز علاقتها به حدود الحوار، ولكن ما إنْ علم بإشهار إسلامها حتى بادر بالتقدم لخطبتها، فقبلت على الفور، حيث كانت تعرف فيه دماثة الخُلُق وهدوء الطبع، بالإضافة إلى استقامته والتزامه بدينه..

وقد رحبت أسرته بها ترحيباً شديداً، حتى أحست ـ كما تقول ـ بأنها فى أمان بين هذه الأسرة المؤمنة.. فقد عوضها الله عن أسرتها التى لفظتها وقاطعتها ورفضت أن تتصل بهم[1].

* * *

(١) صحيفة المسلمين فى ١٢/ ٧/ ١٩٩١ (بتصرف).

مع الآنسة «روساليا» الأسبانية

تعرفت على الإسلام من خلال عملها فى طباعة الكتب، فقد هَيَّأ لها الفرصة للقراءة والاطلاع، حيث يتيح العمل لمن يعمل فى هذا المجال لأن يقرأ ويتمعن أكثر من غيره.

وقد أدت قراءاتها ـ كما تذكر «روساليا» ـ إلى تبينها الواعى للتناقضات الجمة بين كتب العهدين التى يؤمن بها المسيحيون ويقدسونها، ولا يقبلون فى كلامها شكّاً ولا تبديلا، بل يقبلون بها كحقائق مُسَلَّمٌ بصحتها، حتى لو تعارضت مع العقل، أو سُنة الحياة، أو الثابت والمنقول تاريخيّاً، أو الفطرة الإنسانية.

وجدت «روساليا» أن العهد القديم يدعو إلى عبادة إلـه واحد، وينبذ التماثيل، فى حين أن العهد الجديد ـ على العكس ـ يحتفى بها، ويجسد فيها ما يزعمون أنها صور الإلـه والملائكة زوراً وبهتاناً وكذباً، ويدعو إلى التثليث أو الأقانيم الثلاثة: «الأب، والابن، والروح القدس».

فى هذه الفترة كانت «روساليا» تحيا حياتها الروتينية كأية مسيحية أسبانية، تُقِرُّ بالتثليث، وتمارس فى روتين ممل طقوس المسيحية، ليس لإيمان متعمق فى نفسها، ولكن لأنها تعودت هذا النمط من الحياة منذ طفولتها، وبرغم ذلك فإنها كانت فى داخلها تحيا شكّاً خفيّاً فى طبيعة وحقيقة المسيحية، ذلك أنها قرأت «التوارة»، أو كُتب العهد القديم ـ كما يسمونها ـ والأناجيل، أو

كتب العهد الجديد، فوجدت بينها تناقضات كثيرة، برغم أن الذين حَرَّفُوا «الإنجيل» فى العهدين ينتمون إلى شعب واحد.

لقد وجدت فى الإسلام وحده من بين الأديان ضالتها، فتعبر عن ذلك بقولها:

«لقد رأيتُ فى هذا الدين القيم ما يلبى حاجاتى الروحية، ويجيب عن إستفساراتى العقلية، رأيتُ فيه تقريره بوحدانية الله عز وجل، وتأكيده المتكرر على ذلك، وهذا ما يتماشى مع الأدلة العقلية التى لا يمكن أن تقبل القول بتعدد آلهة الكون الواحد، وإلا لَفَسَد نظامه المحكم، واختلت موازينه، ونظرتُ إلى مبادئه الخالدة التى تجعل علاقة الإنسان بربه علاقة مباشرة لاتحتاج إلى وساطة الكهان، ولا تباع فيها «صكوك الغفران».. لقد رأيتُ فى هذه المبادئ ما يُشكل ميثاقاً لحرية الإنسان، فهى تحرره من كافة الوصايات التى يفرضها الكهنة باسم الدين، ولم يأت بها شرع من الله، وتفرض عليه رقيباً داخلياً من ذاته، يتمثل فى ضميره، وإيمانه بالله، وخوفه من يوم الحساب، يوم لاينفع مال ولابنون، إلا من أتَى الله بقلب سليم».

وتضيف «روساليا» فى بيان انجذابها لدين الإسلام فتقول:

«لقد زاد إعجابى بالإسلام حين وجدت أنه أرسى مبادئ حقوق الإنسان قبل أن يَدَّعِيها مفكرو وفلاسفة الغرب لأنفسهم بنحو ثلاثة عشر قرناً، حين دعا فى كتابه المحكم إلى المساواة بين البشر، وجعل أكرم الناس عند خالقهم أتقاهم وأحسنهم عملا، فالكل سواسية أمام الخالق المتعالى كأسنان المشط، والكل فى النهاية ـ كما قال النبى محمد ﷺ ـ «لآدَمَ، وآدَمُ من تراب».

لكل هذا لم تجد الفتاة «روساليا» أية صعوبة فى ترك معتقدها القديم الباطل، والدخول فى دين الله عن قناعة واقتناع كاملين، فتتحمس لتنطق بالشهادتين: «لا إلـه إلا الله، محمد رسول الله».. وعن ذلك تقول وقد اغرورقت عيناها بالدموع فرحة وحبوراً:

«إننى لم أفعل ذلك إلا لإكمال إيمانى، لأنى بالفعل كنت قد آمنتْ بالله ربّاً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً وعقيدة، وسلوكا وحياة».

ولم تكتفِ «روساليا» بإشهار إسلامها والالتزام بتعاليم الدين الإسلامى فى حياتها وعَملها، وإنما عمدت أيضاً إلى التعامل مع السلبيات التى تواجهها فى حياتها بصفتها مسلمة تعاملاً إيجابياً حازماً، فعلى سبيل المثال اعترضتها مشكلات الأوراق الرسمية، ذلك أن التعليمات المعمول بها فى أسبانيا ترفض صورة المرأة وهى محجبة على بطاقات الهوية وجوازات السفر، مما يضطر المسلمات إلى مخالفة الشرع والتصوير بدون حجاب من أجل استخراج مثل هذه الأوراق الرسمية الضرورية...

ولكن حين واجهت الفتاة المسلمة «روساليا» هذه المشكلة لم تستكن مثل غيرها وتقبل بالأمر الواقع قبول المضطر الذى لا حيلة له، وإنما تصرفت بسلوك استمدته من إيمانها بالله القوى لتقاوم ما يملى عليها من تعليمات تتعارض مع ما تؤمن به الآن... فماذا فعلت؟

تجيب «روساليا»:

«لقد مكثتُ ساعات طويلة فى قسم الشرطة الذى تتبعه منطقة سكنى أناقش مَسئُوليه بالحجة تلو الأخرى، وبنود القوانين موضحة حقى فى أن أرتدى ما يتوافق مع عقيدتى، رافضة أى شكل من أشكال إجبار المسلمة على الاتيان بما لاتحب، ومخالفة أوامر دينها، حتى اضطرتهم إلى الاتصال بهيئتهم العليا، وجاءت الاستجابة أمام إصرارى».

أجل.. لقد جاءت الاستجابة أمام إصرار النفس المؤمنة، واستحقت «روساليا» أن تكون أول امرأة أسبانية مسلمة تصدر لها بطاقة هوية وبها صورتها وهى ترتدى الحجاب.

و«روساليا» ـ اليوم ـ لا تزال تمارس عملها فى طباعة الكتب، وإن كانت ـ بعد إسلامها ـ قد اتجهت إلى طباعة الكتب الإسلامية... وتقوم إلى

جانب ذلك بالدعوة الإسلامية بتنوير صويحباتها بحقيقة الإسلام وجوهر قِيَمِهِ النبيلة التى بدلت حياتها كليّاً، وسَمَتْ بروحها فوق رياح الانحلال الغربى التى انتشرت فى أورُبا كنتيجة مباشرة لفساد العقيدة، وغياب الوازع الدينى الصحيح الذى يسلح المرء ضد مفاسد الحياة ومباذلها، ويكون له بمثابة المربى والموجه، كما تذكر دائماً فى معرض حديثها عن دينها الجديد.. الإسلام.

ولذا فهى تشعر ـ على حد تعبيرها ـ بأنها جزء من أمتها الكبرى.. أمة المسلمين، فتناقش بوعى وفكر متفتح مشكلات المسلمين فى بلدان الغرب بعامة، وأسبانيا بخاصة، بهدف إلقاء الضوء عليها، مما يؤدى فى النهاية إلى حلها.. وأولى تلك المشكلات ـ كما تراها «روساليا» من واقع تجربتها الشخصية ـ افتقاد المسلمين غير الناطقين بالعربية إلى المراجع الدينية الموثوق بها بلغاتهم فى مجالى الفقه والعقيدة، مما يحول بين المسلم غير العربى وبين التعرف على عقيدته تعرفاً كاملا، والإلمام بأصولها وفروعها وكل دقائقها، بما يجعله قادراً على إقناع غيره بعقيدته، والتصدى لكل الدعايات الخبيثة المغرضة التى تحاول الادعاء بأن الإسلام دين العرب فقط وليس رسالة عالمية[1].

إن نقص المراجع الدينية المترجمة إلى اللغات التى يتكلم بها مسلمو الغرب ـ كما تقول «روساليا» من أكبر العوائق التى تعترض سبيل الدعوة الإسلامية فى أوربا وأمريكا، وغيرها من المناطق التى يتزايد فيها عدد المسلمين.

.. ولكن ما الحل فى نظر «روساليا»؟

تقترح «روساليا» أن يسير الحل فى اتجاهين متوازيين[2]:

(١) نذكر مثل تلك المشكلات فى سياق عرضنا للنماذج التى أكرمها الله تعالى بالهداية إلى دينه الحق، بهدف أن يضطلع المسئولون فى أجهزة الدعوة الإسلامية بدورهم فى حل لها، من خلال تلك المراكز الإسلامية المنتشرة فى بلاد الغرب.

(٢) من الأمور العجيبة التى تسعد المرء أن يتحمس أحد الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً فى التفكير المضنى لانتشار الإسلام، وحل ما يعترضه من صعوبات بطرح آراء وتصورات عملية منطقية كالتى نحن بصددها الآن.

الاتجاه الأول: توفير هذه المراجع بشتى لغات العالم الكبرى، إما على نفقة الحكومات والهيئات الإسلامية، أو على نفقة أثرياء المسلمين الذين نراهم متقاعسين عن خدمة دينهم، فى وقت يتبارى أثرياء الغرب فى التبرع لصالح أنشطة الكنيسة وأعمال التنصير بدون الضن بالمال والجهد من أجل تحقيق أهدافهم فى بسط المسيحية على سائر أقطار المعمورة، حتى بات المسلمون أنفسهم فى الكثير من البلدان ـ ولاسيما الفقيرة ـ عرضة لهذا النشاط التنصيرى.

ويتمثل **الاتجاه الثاني:** فى ضرورة السعى لتعليم أكبر عدد ممكن من مسلمى العالم اللغة العربية.. لغة القرآن الكريم كى يمكنهم أن يحملوا أمانة تبليغ وإيضاح العقيدة لِذوِيهم وإخوانهم من غير المسلمين، وذلك عبر الاطلاع على كتب الدين الإسلامى من مصادرها ومراجعها الأصلية، وتلك مهمة ينبغى أن يقوم بها العرب المسلمون على وجه الخصوص، باعتبار أن اللغة العربية لغتهم، وأن الله شَرَّفَهُم على غيرهم بأن جعلها لغة كتابه الحكيم».

ومن هنا ترى «روساليا» أن العرب المسلمين مقصرون فى هذا المجال، ولا يولون اهتماماً كافياً لتعليم إخوانهم فى الدين لغة القرآن الكريم.. ولذا فإن أملها ـ كما تقول ـ ألاَّ تقتصر هذه المهمة على الجامعات والهيئات والمنظمات الإسلامية وحدها، وإنما يجب أن يشارك فيها كل عربى مسلم يقيم فى المهجر، ولو بتخصيص ساعتين من وقته كل أسبوع من أجل هذا الهدف النبيل الذى يعزز الإحساس بالوحدة الإسلامية، ويؤاخى بين المسلمين على اختلاف بلدانهم ولغاتهم[١].

* * *

(١) إننا نستصرخ ـ ولا نقول نشارك اختنا المسلمة «روساليا» فى هذا النداء ـ أن يتمثل العرب المسلمون روح الغيرة على دينهم الإسلام، فيعملوا على نشر لغته، ليتسنى لهم فهم كتابه الحكيم، وذلك يتبنى هذا الاقتراح الطيب.

مع الفتاة السويدية «آن صوفيا»
التى صارت «أسماء»[1]

فتاة سويدية درست فى «النرويج» لمدة ست سنوات فى الآداب قسم تاريخ الأديان. . وكانت نوعية دراستها هى نقطة البداية فى رحلتها من المسيحية إلى الإسلام، التى تقول عنها:

«لقد درست فى الجامعة «مقارنة الأديان» ومنها الإسلام، ولكنه لم يعجبنى أولاً، لأن تعرفى عليه كان من خلال كتب المستشرقين. . . . وهؤلاء المستشرقون يشوهون صورة الإسلام ويعطون صورة غير صحيحة عنه، مثال ذلك: أن الإسلام دين العنف والإرهاب. . . وأن المرأة فى الإسلام مقيدة ومغلوبة على أمرها. . أو أن محمداً ﷺ أخذ من المسيحية واليهودية وصاغ ديناً جديداً لذلك يسمونه هناك الدين المحمدى». . .

ثم صمتت برهة لتلتقط أنفاسها لتستطرد فى حديثها، ولماذا اعتنقت دين الإسلام، فتقول:

«لقد كانت لى أستاذة مشرفة فى الجامعة نصحتنى أن أدرس الإسلام من منابعه، من القرآن والسنة، وأن أقرأ لعلماء المسلمين أنفسهم. . . فشاء الله لى أن أقرأ رسائل الإمام الشهيد حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان

(١) مجلة لواء الإسلام فى أحد أعدادها

المسلمين[1]، وكتاب «معالم فى الطريق» لسيد قطب. . ومبادئ الإسلام «لأبى الأعلى المودودى. . »:.

وأكدت على أهمية هذه الكتب فى تحولها للإسلام قائلة:

«كانت هذه الكتب الثلاثة، وخصوصاً كتاب «معالم فى الطريق» هى سبب تحولى من المسيحية إلى الإسلام، فقد عرفتُ أن الإسلام دين الواقع والعمل، وليس دين نظر وخيال»[2].

وبمناسبة تطرقها والإشارة إلى تأثرها بالإخوان المسلمين، فقد ذكرت أنه قد أعجبها فى هذه الجماعة البساطة والتواضع، وأسلوبها فى الدعوة إلى الله ودينه «الإسلام». . . . ثم تبتسم فى سعادة قائلة:

«لا أنسى أننى قد أعلنت إسلامى على يد أحد دعاة الإخوان المسلمين فى كوبنهاجن[3]. . . وبعد ذلك وفى أحد المؤتمرات التى عقدت فى «كوبنهاجن» حضر أحد الإخوة المسلمين العرب هذا المؤتمر، وكان يبحث عن عروس، فأخبره داعية الإخوان أن لديه الأخت المناسبة ـ وكان يقصدنى. . . فجاء الأخ ورآنى، ثم صلى صلاة الاستخارة وصليت أنا أيضاً صلاة الاستخارة. . . . وَوَفَّقَ اللهُ، وتزوجنا فى اليوم التالى[4].

وتذكر «آن صوفيا» أن بعد إسلامها قد واجهتها عقبات ومشاكل، ولكنها لم تزعزع إيمانها. . . فتعبر عن ذلك بقولها:

---

(١) وليتأمل هذا القول المعادون لجماعة الإخوان المسلمين من المسلمين أنفسهم.

(٢) مما هو جدير بالذكر أنها الآن تعد رسالة دكتوراه فى إحدى جامعات السويد عن التربية الإسلامية فى القرآن والسنة.

(٣) عاصمة الدانمرك.

(٤) مما هو جدير بالذكر، والذى نسوقه لفتياتنا المسلمات، أن الفتاة السويدية التى أسلمت قد كان مهرها بسيطاً جداً لا يتجاوز ٢٠٠٠ كورن أى ما يعادل مائة جنيه مصرى، وليست هناك شبكة أو شئ من هذا القبيل. . . أما عن الشقة فتقول: لقد كان فراشها عبارة عن موكيت مفروش على الأرضية، وبعض الغطاء، بالإضافة إلى مكتبة. . . هذه شقة زواج «آن صوفيا» التى صارت «أسماء» وهذا مَثَلٌ أردنا أن نثبته هنا ليطلع عليه شباب وشابات المسلمين الذين يغالون فى مثل هذه الأمور.

«. . . . ولقد واجهتنى مشاكل لم تزعزع إيمانى، بل كنت أجد سعادة غامرة لشعورى أننى أتشبه بالمسلمين الأوائل الذين عُذِّبُوا وسُجِنُوا فى سبيل الإسلام، والحمد لله لقد مرت هذه الظروف.

ولنتأمل إلى أى مَدى وصل إيمان المرأة السويدية التى خلعت عن نفسها ثوب الكفر لترتدى بدلا منه ثوب الإسلام لدرجة أنها تستعذب العقبات والمشاكل فى سبيل إيمانها بدينها الجديد «الإسلام».

ولاعجب، فتعبر عن مشاعرها بعد دخولها الإسلام قائلة فى نشوة وسعادة:

«إننى ـ الآن ـ أحس بالراحة والطمأنينة والسلام، وأحس بأن الحياة لها معنى، وأننى أصبح لى دور فى هذه الأرض، إذ أننى من الذين استخلفهم الله فيها. . . . على حين كنت ـ قبل الإسلام ـ قلقة متضايقة، لا أعرف للحياة معنى، ولا أجد تفسيراً لماذا أعيش؟».

ولم تكتف «أسماء» بدخولها للإسلام، بل تريد أن تكون داعية مخلصة له، فتقول بترجمة بعض الكتب الإسلامية لخدمة الدعوة إلى الدين الإسلامى، خاصة الكتب المؤلفة من علماء الإخوان المسلمين، كذلك تقوم بإلقاء دروس ومحاضرات تشرح فيها الإسلام الصحيح كما عرفته وتعلمته.

* * *

مع السيدة الإنجليزية «أميلدا»

عندما ذَهَبَتْ للقائها محررة صحفية[1] لإجراء حوار معها وتسألها السؤال التقليدى المعتاد: لماذا وكيف أسلمت؟

قالت وهى تبتسم ابتسامة رقيقة:

«وُلِدْتُ فى أسرة مسيحية، ونشأت نشأة عادية، وفى مرحلة من مراحل حياتى شعرت أنى فى حاجة إلى الجانب الروحى فى الحياة، فبدأت أقرأ فى الأديان، وأهدانى أخ مسلم كتاباً كريماً «ترجمة لمعانى القرآن» لأقرأ فيه.. فقرأته، وتجاوَبَتْ معه فِطْرَتِى، فشعرتُ بأننى قد أسلمتُ لله رب العالمين.. وكنت حينئذ أعمل فى المطار بلندن فى عمل إدارى، فوجدتُ أن طبيعة عملى لا تتلاءم مع إسلامى، فتركت العمل، وبحثت عن وظيفة فى إحدى المؤسسات الإسلامية المنتشرة فى لندن.. والحمد لله وفقنى الله للعمل بمركز دراسات إسلامية».

ولم تكتفِ «أميلدا» باعتناقها للإسلام، بل سعت للدعوة إليه، كما سعت لتقديم المساعدة للنساء المسلمات وحل ما يعترضهن من مشكلات... وعن ذلك تقول:

---

(١) تذكر تلك الصحفية «هبة سعد الدين» أنها عندما ذهبت إليها وطرقت الباب لم تشعر بالترقب لغريب، بل كان إحساس ألفة ومودةً، فتقول حين فتحت لى الباب أسرعت ألقى السلام وأقبلها، وكأننا تلاقينا مئات المرات من قبل، وكذلك سارعت باحتضان ابنها الصغير طارق الذى جاء مسرعاً بفضول طفل لم يتجاوز العامين ليرى مَنْ بالباب (مجلة هاجر ملحق المختار الإسلامى ـ العدد الأول).

«شعرتُ بعد مدة بمشكلات تواجهها المرأة المسلمة فى المجتمع البريطانى.. ووجدت عندى مساحة من الوقت، فقررت الخروج لخدمة مجتمعى الإسلامى، فكونتُ مع عدة أخوات لي فى الله مكتباً لتقديم المساعدات للنساء المسلمات يُعَدُّ بمثابة مكتب اتصال يُساعد فى حل المشكلات التى تنجم عن عدم معرفة البعض باللغة الإنجليزية، فنقوم بمساعدة الأخت فى أى إجراءات رسمية، كذلك نعرف الأخت المسلمة بأماكن المؤسسات الإسلامية المختلفة، وأماكن تصلح لنزهة أطفالها، ونُعلمها بالمؤتمرات الإسلامية التى تعقد فى العاصمة البريطانية، ونحاول الرد على أى أسئلة.. ونحن نستعين فى عملنا بأطباء، ومحامين، ومترجمين، وعلماء نفس، للرد على الاستفسارات المختلفة التى تَرِدُ إلينا».

ثم أضافت فى بيان أنشطة هذا المكتب قائلة:

«كذلك خصص المكتب خطاً تليفونيّاً نسميه «خط المساعدة»، له مواعيد محددة يتفرغ فيها لسماع المشكلات الخاصة للأخوات المسلمات والرد عليها بالرجوع لعلماء الدين وحكم الشرع فيها.. وهى نوع من المساعدة المعنوية فى مجتمع ربما لا تعرف فيه الأخت أحداً تبثه همومها[1].. ومن هنا يكون هدفنا التخفيف من الضغوط النفسية التى تتعرض لها الأُخت فى الغربة، وتوفير المساعدة اللازمة لها بدون إصدار أحكام عليها ومحاكمتها على ظروفها، وهو ما يفعله للأسف البعض حين ينشغلون بالحكم على الأشخاص، فلا يبحثون للمشكلة عن حل».

ثم صمتت للحظات لتؤكد بعدها على ماتريد توضيحه فتقول:

«إنْ هناك مؤسسات ترعى أبناء دولها، أما مكتبنا فهو يحاول الوساطة بين كل المؤسسات الموجودة كحلقة اتصال لتقديم الخدمات.. كما أنه لا يتعامل مع جنسية بعينها، بل يتعامل مع أى امرأة مسلمة..ولقد أكرمنا الله فأصبحت

(١) إننى أتساءل هنا فى بلاد المسلمين: ما الذى يمنع أن تقوم مثل تلك الأنشطة بصورة دائمة منتظمة؟

بعض المؤسسات الإنجليزية تلجأ إلينا فى حل مشكلات بعض روادها من المسلمين، نظراً لعدم معرفتهم بالثقافة الإسلامية، وحاجتها إلى استشارتنا فى كيفية تعاملها مع المسلمين».

أجل. . . إن للمرأة المسلمة ـ فى أية بقعة من بقاع الأرض ـ دوراً إيجابياً تجاه دينها وأبناء دينها، وذلك إذا فهمت الإسلام كعقيدة وسلوك ومنهاج عملى يرسم خطاها فى الحياة.

فما بالنا إذا كانت تلك المرأة لم تكن مسلمة بحكم النشأة، ولكن بحكم الإيمان والاقتناع، بعد البحث والدراسة والفهم، كالنموذج الذى نحن بصدده؟!

لاشك أن قَدْرَ دورها يتعاظم فى النفوس.

* * *

مع الإنجليزية «كاثلين»(١)

سيدة إنجليزية لم تقتنع بمذهبها «البروتستنانتية» فى ديانتها المسيحية، فتحولت إلى المذهب «الكاثوليكى». . فلم تجد أيضاً ما تبحث عنه.

سمعت كثيراً عن الدين الإسلامى فكتبت إلى المركز الإسلامى فى العاصمة البريطانية «لندن» تطلب بعض الكتب والمطبوعات الإسلامية كى تتعرف على الإسلام كدين.

وبالفعل تلقت بعض الكتب التى عكفت على دراستها بإمعان وتدبر، فشعرت بارتياح غريب، فلقد وجدت ضالتها المنشودة التى كانت تبحث عنها منذ أمد بعيد. . . . فتقول عن ذلك:

«لقد بحثت فى جميع الديانات السماوية علنى أجد ما أبحث عنه، فلم أجد ذلك إلا فى الإسلام».

(١) مجلة «المسلمون» الصادرة فى نوفمبر ١٩٨٥ العدد الأربعون (بتصرف).

واعتنقت «كاثلين» الإسلام بعد أن آمنت إيماناً راسخاً بعظمته كدين شامل صالح لجميع المجتمعات فى كل زمان ومكان....

إنها تذكر أن الدين الجديد قد زادها وقاراً واحتراماً، بل قد ساعدها - على حد قولها - على اختيار الزوج المناسب، فقد تزوجت «كاثلين» من شاب عربى أردنى مسلم، وكان ذلك بعد فترة من دخولها دين الإسلام ومعرفتها الدقيقة بتعاليمه وآدابه....

وفى الوقت ذاته فهى لا تنكر أن لزوجها فضلاً كبيراً فى تفقهها لأمور الدين المختلفة، حتى صارت تعرف الواجبات الدينية وكيفية تأديتها، حيث أنها تؤدى الصلاة، وتصوم رمضان، وتؤدى الزكاة وتتصدق قدر طاقتها.. كما قامت بأداء العمرة إلى بيت الله الحرام، وتسعى لأداء فريضة الحج.

وتقول «كاثلين» وهى سعيدة بالفرائض التى تؤديها:

«على المسلم الصادق فى إسلامه أن يؤدى جميع الفرائض التى فرضها الله تعالى عليه، بنفس راضية مطمئنة».

ولم تكتف «كاثلين» باعتناقها لدين الإسلام، فهى تتمنى أن يعتنقه والداها وأسرتها، بل أن يعتنقه أهل الغرب ومن لا يدينون به بوجه عام..... لدرجة أنها تفكر فى ذلك كثيراً، ولكنها تعلم أنه لا إكراه فى الدين.

لقد بلغ رضاها بالمجتمع المسلم الذى تعيش فيه أنها تتمنى أن تكون كل المجتمعات الأخرى - وخصوصاً المجتمعات الغربية - مثله، حيث تنتشر حالات الضياع والاغتراب التى يعانى منها المواطن فى تلك المجتمعات ذات التحضر والمدنية الزائفة.

* * *

مع السيدة الدانمركية «هدى سيد»(١)

شابة تجاوزت العقد الثالث من عمرها.. تخرجت من جامعة كوبنهاجن بالدانمارك، حيث نشأت وترعرعت فى أسرة متدينة، مماجعلها حريصة على أداء الصلاة فى الكنيسة كل يوم أحد، وغيرها من شعائر دينية، وعن ذلك تقول:

«كنت حريصة على أن أؤدى الصلاة فى الكنيسة كل يوم أحد، وأشارك فى حضور تراتيل الترانيم الدينية ومختلف الطقوس.. ولكن عندما كبرت ووعيت عَمّاَ يدور حولى، بدأت الأفكار تتضارب فى ذهنى، وكثرت التساؤلات التى لم أجد لها جواباً شافياً، وظلت الحيرة تلازمنى حتى مهدت لى عملية دخولى الجامعة أول الطريق الصحيح حيث تمكنت من قراءة كتب عن مختلف الأديان».

وعن بداية طريقها إلى الإسلام وكيف جذبها بتعاليمه تقول:

«فى عام ١٩٦٦ قرأت ترجمة لمعانى القرآن الكريم ـ وضعها أستاذ دانمركى يسمى «مكش» قد اعتنق الإسلام هو وجميع أفراد عائلته ـ فلما فرغت من قراءاتها اكتشفت أن القرآن الكريم هو دستور كبير للحياة الدينية والإنسانية؛ وأن الإسلام لايُكْرِهُ أحداً على اعتناقه، حيث يقول ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾... وأن الإسلام لا يعترف بالتفرقة، بلون أو جنس، فالبشر جميعاً سواسية.. إذْ يقول رسوله الكريم «لا فَضْلَ لعربيٍّ على أعجمى إلا

(١) تسمت بهذا الاسم بدلا من الاسم الاجنبى «آنى نيش» الذى تمقته من كل قلبها على حد قولها.

بالتقوى»، فضلاً عن أن القرآن الكريم يقول: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾.... وأعجبنى أكثر أن الإسلام يحرص على احترام الأديان والكتب السماوية الأخرى، بعكس الافتراءات الكاذبة التى تروج ضد هذا الدين الحنيف الواضح الصريح».

وتستطرد فى بيان كيف أن الإسلام دين تشريع شامل فتقول:

«...وواصلت البحث والدراسة فى الكتب السماوية، وخرجت بنتيجة فحواها أن الدين الإسلامى هو التشريع الشامل لكل وجوه الحياة فى الماضى والحاضر والمستقبل.. وأنه المرشد الوحيد للفرد والجماعات على هذه الأرض.... أعظم ما فيه أنه دين واضح لاغموض فيه يصلح لكل الأزمان والعصور».

ثم تختتم حديثها بابتسامة عريضة وهى تعلن فى سعادة غامرة:

«... أحمد الله أنْ هدانى إلى طريق النور فأشهرت إسلامى فى الأزهر الشريف الذى حرصت على الحضور إليه من أجل ذلك».

***

مع الآنسة الإيطالية «مويرا» التى أصبحت «نوال»

هى فتاة إيطالية، تبلغ من العمر ٢٣ عاماً... نشأت فى أسرة مسيحية متدينة متوسطة الحال، حيث يعمل والدها عاملاً فى هيئة السكة الحديد، ووالدتها فى التجارة.... تتحدث عن ظروف اعتناقها للإسلام فتقول:

«لقد ظلت علامات الإستفهام تراودنى طويلاً حول ما يدعى بـ «صَلْب المسيح»، و «التثليث»... وكذلك ظواهر الأنانية التى يعيشها الفرد فى المجتمع الإيطالى، وما ينجم عنها من علاقات اجتماعية متفسخة، مما جعلتنى أتشكك فى جدوى تعاليم الكنيسة وما تدعو إليه...

وفى ذلك الوقت حدث أن قرأتُ ترجمة معانى القرآن الكريم أكثر من مرة.. وكنت أشعر مع كل قراءة بنوع من الروحانية السامية التى تدخل قلبى، وتمنيت أن أجيد اللغة العربية التى تتيح لى فرصة قراءة القرآن الكريم بلغته الأصلية التى نزل بها، كما تتيح لى أيضاً فرصة معرفة الفقه الإسلامى وفهم أحكام الشريعة».

وعندما سُئلت عن أمانيها الشخصية والعامة... رنت بعينيها إلى بعيد وهى تقول:

«كم أتمنى أن أوفق فى تأسيس حياة أسرية سعيدة.. أتزوج شاباً مسلماً صالحاً يُساعدنى على تنشئة أولادنا على حب الإسلام والالتزام بتعاليمه والقيام بواجباته وفرائضه التى فرضها علينا.

ثم أردفت قائلة:

«أما على المستوى العام.. فكم أتمنى أن يقوم العالم الإسلامى بطبع عشرات الكتب التى تدفع عن الإسلام ما يردده الغرب من أكاذيب حاقدة عن أحكام الدين الحنيف، خاصة ما يتعلق بالمرأة، خاصة أن لديهم تصورات عديدة يختلقونها كذباً عن المرأة المسلمة».

وبعد.. فإننا إذا تأملنا الكلمات الموجزة التى وردت على لسان فتاة إيطالية كانت تدين بالمسيحية ندرك مدى قوة الإيمان التى تغلغلت فى وجدانها، لدرجة أن أمانيها ـ سواء كانت شخصية أو عامة ـ دارت فى فَلَكِ الإسلام.. فنجدها تمنت زوجاً مسلماً لينشئ معها بيتاً مسلماً.. ثم انطلقت بأمانيها نحو العالم الإسلامى لأن تجد فيه من يدافع عن الإسلام ضد أعدائه بما يروجونه عنه من أباطيل وأكاذيب.

* * *

مع الأمريكية «سندرا ستيرلنج»
التى صارت «علياء ستيرلنج»

فتاة أمريكية تميزت عن كثير من بنات جنسها فى حبها للبحث عن الحقيقة حتى وجدتها فى القرآن الكريم، الذى رأته بين يديها مصادفة.. كيف؟... تجيب «علياء» فتقول:

«وجدت فى حوزة والدتى بعض الكتب عن اللغة العربية وعن الدين الإسلامى، ومن بينها القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، حيث كان جدى لأمى يعمل بالسفارة الأمريكية بالقاهرة... وفى الحقيقة فتحت لى هذه الكتب أبواباً جديدة كانت بداية لتَعَلُّقِى بالإسلام...

كذلك من مكتبة المركز الإسلامى بواشنطن زادت حصيلتى عن الإسلام...».

ثم أردفت قائلة:

«لقد وجدتُ فى الإسلام كثيراً من الإجابات عن أسئلة كانت تدور فى ذهنى قبل إشهار إسلامى، كما وجدته يختلف عن غيره من الأديان السماوية التى تربيت على معرفتها من حيث التوحيد فى العبادة، لاثالوث كما فى المسيحية، أو أن الرب الواحد قد اختص الشعب اليهودى دون غيره باعتباره شعب الله المختار كما تذهب اليهودية الآن...».

ولكن هل صورة الإسلام فى الولايات المتحدة الأمريكية واضحة بلا تشويه؟ . . عندما سُئلت هذا السؤال أجابت بأسىً:

«للأسف!! إن صورة الإسلام مشوهة عندنا، كما هى مشوهة فى الغرب، فالغالبية لا تعرف أن الإسلام يدعو إلى التوحيد، بل إن طلبة المدارس فى المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية عندنا فى أمريكا يدرسون الإسلام على أنه دينٌ بدائى انتشر بالسيف. . وأن النبى محمداً ﷺ كان تاجراً غنيّاً. . . إلى آخر هذه الصور المهزوزة التى شبت عليها أجيال فى الولايات المتحدة».

لوحظ أن «سندرا» أو «علياء» ـ كما تحب أن تُعْرَفَ به ـ كانت تتحدث بلغة عربية سليمة. . وعندما سُئلت عن سر ذلك أجابت ضاحكة فى سرور:

«منذ صغرى وأنا أهتم بتعلم اللغات الأجنبية، وقد تعلمت الفرنسية والأسبانية. . أما اللغة العربية فقد بدأ اهتمامى بها منذ صغرى عند عثورى على الكتب العربية لدى والدتى ورغبتى فى معرفة ما تتضمنه، وخصوصاً تلك الكتب التى تتناول الدين الإسلامى. . . . ولذلك حرصت على دراستها فى الجامعة، بل زاد اهتمامى بها لدرجة أننى قمت بتغيير دراستى من الطب إلى اللغة العربية، حتى وصل بى الأمر إلى إعداد رسالة الماجستير فى الأدب العربى، بالإضافة إلى قيامى بتدريس العربية هناك».

ثم استرسلت فى حديثها قائلة:

«لقد ساعدتنى دراستى للغة العربية فى البحث والتعمق فى الدين الإسلامى وفهمه بشكل حقيقى واضح بلا لبس أو تزييف. . . .».

وعن رد فعل من حولها بعد اعتناقها للإسلام. . . قالت وهى تنظر إلى بعيد تسترجع ذلك:

«لقد اعتقد من حولى فى البداية - أهلى وأصدقائى - أنها نزعة عارضة سرعان ما تزول وأنساها، ولكن بعد مرور أكثر من عامين على تمسكى بعقيدتى الجديدة «الإسلام» استغربوا منى ذلك، بل إن بعض الأصدقاء تحولت أسئلتهم من أسئلة سخرية إلى أسئلة جادة حول طبيعة الإسلام ومبادئه وتعاليمه، وذلك بهدف البحث والتفكير فيه كعقيدة نالت اهتمامهم بشكل مكثف».

***

مع السيدة النرويجية «رابية»

هى سيدة نرويجية تعمل فى المكتب الإعلامى الإسلامى بستوكهولم.. توجز قصة إسلامها بقولها:

«كنت أبحث دائماً عن حلول لأسئلة وجودية تبحث عن سر الخَلْق.. لماذا خلقت؟.. وما الهدف من الحياة؟.. وماذا بعد الحياة؟

صحيح أننى قرأت الإنجيل، ولكنه لم يعطنى الإجابة التى أريدها.. ثم قرأتُ تعاليم بعض الديانات الأخرى، إلى أن قرأت كتاباً شافياً كافياً عن القرآن الكريم..

وبعد الانتهاء من قراءة هذا الكتاب الحكيم سمعتُ عن المكتب الإعلامى الإسلامى.. وهناك تعرفت على السيدة «منجية» وزوجها، وعدد آخر من المسلمين، وقد ساعدونى كثيراً على التعرف على الإسلام وتعاليمه وآدابه، ولم يكن أمامى إلا أن أعلن إسلامى ونطقتُ بالشهادتين».

وأردفت تقول:

«ثم تزوجتُ من شاب أردنى قد تعرفت عليه من خلال المكتب الإسلامى.. وقد أنجبت منه طفلة والحمد لله، فإننى أشعر بسعادة غامرة

بحياتى الجديدة التى أشعر أننى فيها قد ولدت من جديد، ولذا فإننى أدعو غيرى ممن لايدينون بالإسلام أن يقدموا عليه، وعلى استعداد أن أمهد الطريق لهم كما مَهَّدَهُ لى الغير».

* * *

مع السيدة السويدية «منجية»

هى سويدية تبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً، استهوتها فكرة دراسة الدين الإسلامى بعد أن تعرفت على شاب عربى مسلم يعمل فى السويد، برغم أن بيئتها التى نشأت فيها لا تهتم كثيراً بمسألة الديانات واعتناقها.. فتعبر عن ذلك بقولها:

«لقد كنتُ فى الأصل لادينَ لى، حالى حال أسرتى وكثير من الأُسَر هناك الذين يعتقدون أن الديانات السماوية تدعو إلى التخلف..».

ثم تضيف:

«وعندما وصلتُ إلى العشرين من عمرى تعرفتُ على شاب تونسى مسلم لم يكن متديناً، واستهوتنى فكرة دراسة الدين الإسلامى.. وبالفعل بدأت بقراءة بعض الكتب المترجمة للإنجليزية، ولكنها لم تكن وافية، وبالتالى لم تعطنى معلومات كثيرة عن الإسلام... ولكن كان من حُسن حَظِّى أننى تعرفتُ على مكان مكتب الإعلام الإسلامى[1].

وذهبت إليه لأجد داعية مصرياً قام بإعطائى كل ما أريد عن الدين الإسلامى...

(١) يوجد هذا المكتب فى «استوكهولم» ويُعَدُّ الهيئة الإسلامية الوحيدة الموجودة فى البلاد الإسكندنافية، وهو يقوم حالياً بمتابعة الكتب والنشرات والمقالات التى تتهجم على الإسلام والرد عليها، وبالتالى تقديم معلومات صحيحة عن الإسلام للمهتمين بذلك.

ومنذ هذا الوقت وأنا أستشعر كأن شيئاً شدنى إلى هذا الدين الذى أعطى لى تفسيرات كثيرة للحياة ومعناها لم أكن أعرفها».

وتواصل «منجية» قصة دخولها الإسلام فتقول:

«وفى ذلك الوقت قررتُ ارتداء الحجاب.. وطلبتُ من صديقى التونسى إما الزواج أو الانفصال نهائياً.. وتزوجنا، وأنجبتُ طفلاً.. ولكن زوجى كان غير راضٍ عن إسلامى للأسف الشديد[1].. ولم يكتف بذلك بل منعنى من الخروج معه فى أى مكان بالحجاب، الأمر الذى دفعنى إلى طلب الطلاق منه بعد كل المحاولات اليائسة لإصلاحه».

ثم تهز برأسها فتستطرد قائلة:

« وتم لى الانفصال عنه.. وتزوجتُ بعد ذلك من رجل تونسى آخر، ولكن متدين، يعرف حق دينه وواجباته كمسلم يخاف ربه».

هكذا عرفت «منجية» طريقها إلى ربها باعتناقها لدينه الذى ارتضاه لعباده، بل لم تكتفِ بذلك، حيث أرادت أن تكون داعية مسلمة لدينها الجديد «الإسلام» فالتحقتَ بالعمل فى المكتب الإعلامى الإسلامى بستوكهولم، لتقوم بترجمة الكتب والنشرات الخاصة بالإسلام إلى اللغة السويدية، كما تكتب المقالات فى الصحف وتقدم فيها معلومات صحيحة عن الإسلام، برغم أن المعلومات المتوفرة عن الإسلام فى المكتب الذى تعمل فيه ضئيلة لا تكفى، فضلاً عن مساهمتها فى إصدار مجلة باللغة السويدية اسمها «السلام»، بجانب مساهمتها أيضاً فى إقامة حلقات دراسية عن الإسلام للمسلمين الجدد وغيرهم من المهتمين بالإسلام.

* * *

(١) للقارئ أن يتأمل صورة مسلم غير ملتزم بدينه، أو قُلْ إنه مسلم بشهادة الميلاد فحسب، لدرجة أنه لم يرض بدخول زوجته فى دين الإسلام، ثم يمنعها من أن تلتزم بتعاليم الدين وتوجيهاته... إنها صورة مقززة للنفس أن يكون المسلم عدواً لدينه.

مع الآنسة الأمريكية «باميلا»

فتاة أمريكية طالبة فى قسم علم الاجتماع، بجامعة «ميزورى بولاية كولومبيا». . . لم تجد فى الثقافة المادية الأمريكية الحقيقة التى كانت شغلها الشاغل عن الكون والوجود والحياة، فعن ذلك تتحدث قائلة:

«منذ مدة طويلة كانت تدور فى ذهنى تساؤلات عن الكون والوجود والحياة. . . وقد أضنانى البحث والتفكير عن أجوبة لهذه التساؤلات الفلسفية، ولكنى لم أجد لها تفسيراً مقنعاً من خلال دراستى فى الثقافة الأمريكية المادية».

كانت تسمع عن عقيدة دينية تسمى «الإسلام» قائمة على القسوة وتفرق بين الرجل والمرأة ـ كما يقولون تشويهاً لصورته كدين ـ وبرغم ذلك فقد كان فى أعماقها شئ يدفعها لدراسته والبحث فيه. . . فتعبر عن ذلك كله بقولها:

«كنت أسمع عن الإسلام، ولكن صورته كانت غامضة فى ذهنى، بل ومشوهة، فهو دين ـ كما يقولون ـ يُفَرِّقُ بين الرجل والمرأة، وقائم على القسوة والغلظة فى المعاملة. . . وبقيتُ جاهلة بحقيقة الإسلام، حتى بدأت أشعر بحاجة فى نفسى لدراسته والبحث فى تعاليمه ومبادئه. . . وبالفعل كان لى ما أردت، فأدركتُ نقاء الإسلام وتحديه للقوى المادية. . فبدأت من حينها أدرس وأبحث أكثر وأكثر عن الإسلام. . .».

وتلتقط أنفاسها لتعاود كلامها موضحة تجربتها فى البحث عن حقيقة الإسلام فتقول:

«كان البحث فى البداية شاقاً جداً، فليس هناك كتب أمينة عن الإسلام باللغة الإنجليزية، ولكن بالرغم من ذلك شعرت منذ البداية بحبى للإسلام... يكفى أنه دين عدل وإنصاف، يعطى الفرد حريته، ويحمله مسئولية أقواله وأفعاله، وهكذا بمرور الوقت ازددت وعياً وفهماً بالإسلام».

وبعد عامين من الدراسة والبحث والتأمل أعلنت «ياميلا» اعتناقها لعقيدة الإسلام، ولتقطع صلتها بعهد الضلال الذى كانت تعيش فيه قامت بتغيير اسمها إلى «هاجر» وأوعزت سبب اختيارها لهذا الإسم لكونه مرتبطاً بالإسلام، ولذا فهو محبب إلى نفسها كما تذكر.

وكما غيرت «هاجر» اسمها غيرت أسلوب حياتها، فارتدت الزى الإسلامى، وبدأت تؤدى الصلوات الخمس فى مواقيتها، كما أخذت تبذل جهداً غير عادى فى تعلم وإتقان اللغة العربية، ليتسنى لها حفظ آيات القرآن الكريم.. وهى بصدد ذلك تواجه مصاعب جمة، ولكنها تصبر عليها فى سبيل دينها الجديد فتقول:

«أَسْتَطِيبُ المصاعبَ فى سبيل عقيدتى، وهذا جدير بالنسبة للمسلمين والمسلمات، لقد سبق أن عُذِّبَ الكثير منهم، ولكنهم لم يضعفوا ويتحولوا عن إيمانهم بعقيدتهم، ولذلك فأنا أصبر على أية مصاعب تواجهنى فلم أعد أبالى إلا بالإسلام».

ومما هو جدير بالذكر أن «هاجر» منذ أن أعلنت إسلامها أخذت على عاتقها أن تقوم بالدعوة للإسلام ونشره بين الأمريكين والأمريكيات الذين يجهلون حقيقة الإسلام، وذلك بفعل الصورة المشوهة التى صُوِّرَ الإسلام بها من خلال أعدائه الحاقدين.

وبعد أن أمعنت «هاجر» النظر والبحث فى الإسلام ودراسته بدقة وعمق ـ كما تقول ـ وجدت أن الإسلام هو السبيل إلى خلاص البشرية من مشاكلها ومتاعبها. . وعندما سُئلت: كيف؟

أجابت على الفور فى قوة بداهة ومنطق:

«إنه يقدم حلولاً لقضايانا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة. . إنه نظام حياة دقيق مترابط متناسق دون إخلال فى أجزائه ومكوناته. . ».

ثم تختم حديثها بابتسامة وهى تقول:

«يكفى أننى وجدتُ فيه إجابة شافية على تساؤلات فلسفية كانت تقلقنى وتقض مضجعى».

* * *

خاتمة

إن المتأمل للدوافع والأسباب التى حدت بهؤلاء الأشخاص الذين أسلموا يجد أن كُلاً منهم ينظر من زواية، أو من زوايا لا تستطيع أن تحيط بالإسلام كله، ومع ذلك لم تجد قلوبهم الصادقة، وعقولهم الواعية، وإرادتهم الخالصة فى البحث عن الحق والحقيقة إلاَّ أنْ تسلم لله رب العالمين، فتنطق بالشهادتين: «لا إله إلا الله. محمد رسول الله».

أجل .. كان إيمان هؤلاء بالإسلام مسبوقاً بالبحث والتحرى عن الحقيقة، وكأنهم قد أدركوا أن الإيمان ليس بالتمنى. ولكن ما وَقَرَ فى القلب وصَدَّقَهُ العمل.

هؤلاء الأشخاص الذين أسلموا، ما علم الواحد منهم من سُمُوِّ الإسلام إلا بعض أركانه وتشريعاته، ولاعن عظمة الرسول ﷺ إلا بعض صفاته ومواقفه فى كفاحه وحياته، ولكنهم مع ذلك وقفوا مبهوتين أمام جلال هذا القليل مما عرفوا من الحق والحقيقة... فيقول بعضهم إن سبب اعتناقه للإسلام هو التوحيد، أى الاعتقاد بوحدانية الله جل شأنه... فى حين قال غيرهم: إن عظمته فى بساطته التى تقبلها العقول ويستسيغها المنطق، فتعاليمه بسيطة وواضحة مفهومة.... وآخرون يقولون: إن سبب اعتناقهم للإسلام يكمن فى كمال الإسلام، وعدم فصله بين المادة والروح، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة تشملهما معاً، فالإسلام لا يقر الفصل بين المادية والروحية

وإنما يؤلف بينهما حتى يتسنى للإنسان أن يمارس الحياة بكل طاقاته على أسس صحيحة سليمة. . ويقول غيرهم: إن عظمة الإسلام فى الأخوة التى يجمع الناس فى نطاقها، بعد أن وجدوا أن الإسلام رسالة من الله إلى الجنس البشرى بأسره، وأن النبى ﷺ رسول الله إلى الناس كافة. . ومن هنا كان الإسلام ديناً عالمياً فى تناوله للأمور وعلاجه لها. . إنه دين يهدف إلى جمع البشر كافة تحت راية واحدة.

والبعض الآخر منهم رأى فى الإسلام احتراماً لحقوق الفرد والجماعة، والتنسيق بين هذه الحقوق والتوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة بحيث لا يعبث بأى منها أو ينتقص شئ من حقوقها الأساسية، فهو لا يؤيد مبدأ ضياع الكيان الفردى فى الكيان الجماعى، أو العكس. .

وآخرون غير هؤلاء أو أولئك رأوا فى الإسلام حقيقة ثابتة لم يتطرق لكتابها المنزل «القرآن الكريم» أى تحريف كالذى مس غيره من الكتب المنزلة الأخرى. . فوجدوا بذلك تعاليم الإسلام باقية على أصولها ونصوصها كما أنزلها الله رب العالمين. . .

وهكذا كُلٌّ نظر من رواية، أو زوايا جذبته إلى الإسلام لكى يعتنقه ويرتضيه ديناً، كما ارتضاه الله لهم بعد أن بهرتهم طبيعة هذا الدين وملامحه الفريدة التى تؤكد وتبرهن على أنه الدين الأكمل للإنسان، وأن المستقبل لهذا الدين.

***

المراجـــع

* القرآن الكريم.
* قصة إسلام الكاتبة الأمريكية «مريم جميلة»: الدكتور محمد يحيى.
* من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان: أسماء أبو بكر الجهينى.
* الإفلاسات المعنوية فى الغرب: رأفت شنبور.
* مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر عن أسباب اعتناقهم الإسلام: ترجمة مصطفى جبر، تعليق إبراهيم الفحام.

ـ مجلات دورية:

* مجلة الفيصل: أعداد سبتمبر ١٩٩١ ـ نوفمبر ١٩٩١ ـ يونيو ١٩٩٢.
* الوعى الإسلامى: أكتوبر ١٩٧٠.
* المجلة العربية: مايو ١٩٨٧.
* مجلة سيدتى: الرابع من مارس ١٩٩٠.
* مجلة أسرتى: ٣٠ يونيو ١٩٩٠.
* مجلة الدعوة: مايو ١٩٨١.
* مجلة هاجر «ملحق المختار الإسلامى»: عدد فبراير ١٩٩٢.
* مجلة عفاف اللبنانية: عدد يوليو ١٩٨٨.

ـ **صحف أسبوعية:**

* صحيفة المسلمين* الدولية: أعداد ٣١/ ٨/ ١٩٨٥ ـ ٩/ ١١/ ١٩٨٥ ـ ١٩/ ١٠/ ١٩٩٠ ـ ١٥/ ٢/ ١٩٩١ ـ ١٢/ ٧/ ١٩٩١ ـ ٢٣/ ٨/ ١٩٩١ ـ ٢٧/ ٩/ ١٩٩١ ـ ١٥/ ١١/ ١٩٩١ ـ ١٠/ ١/ ١٩٩٢ ـ ٢٤/ ١/ ١٩٩٢ ـ ٢٨/ ٢/ ١٩٩٢ ـ ١٦/ ٤/ ١٩٩٣.

* مقتطفات من مجلات دورية وصحف غير معلومة المصدر أثبتناها لمقدار أهميتها لموضوع الكتاب.

الفهـــرس

الصفحة

الفصل الثانى: مواقف كانت سبب إسلامهن

الفصل الثالث: سلوكيات الإسلام كانت وراء إسلامهن

هذا الكتاب

لقد زاد انتشار الإسلام فى الآونة الأخيرة ، برغم الأضاليل التى ينشرها الغرب عنه لتشويه صورته فى أعين الغربيين وغيرهم ، وبرغم ازدياد النشاط التبشيرى فى كثير من الدول الإفريقية وغيرها ، وبرغم الهجمات الشرسة التى ازدادت ضراوة فى هذه الأيام على أيدى أعدائه .

وبرغم كل ذلك فقد جَذَبَ الإسلام كثيرًا من العلماء والمفكرين والجماعات والطوائف من شعوب العالم المختلفة ، ودَفَعَهُم إلى التخلى عن دياناتهم ومعتقداتهم، واعتناقه دون غيره من الأديان والمذاهب الوضعية الأخرى . . فما الأسباب التى دفعت هؤلاء إلى اعتناقه والإيمان بتعاليمه ؟ . . وما الدوافع التى جعلت هؤلاء ـ بل جعلت قُرًى بأكملها ـ يدخلون تحت مظلته ؟ . .

إن هذا الكتاب ـ بأجزائه الثلاثة ـ يسجل الجوانب الخفية وراء إسلام هؤلاء ، واهتدائهم إلى هذا الدين الحنيف . .

ويسر الدار المصرية أن تقدم هذا الكتاب الذى يحوى بين دفتيه هذه النماذج التى اهتدت إلى دين الحق ، بعد دراسة متأنية عميقة لهذا الدين، وبعد اقتناع تام بتعاليمه السهلة الميسورة التى تنسجم مع العقل والمنطق ، وتتفق مع الفطرة السليمة التى فُطِرَ الناس عليها ، فساروا على دربه ، وآمنوا به على اختلاف مشاربهم وجنسياتهم . .

إنه كتاب يهم كل باحث عن الحقيقة ، ويهم كل قارىء ـ أيًّا كانت عقيدته .

الناشر

الدار المصرية اللبنانية
طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً دار شادو - ص.ب. ٢٠٢٢ - القاهرة
AL DAR AL MASRIAH AL-LUBNANIAH
PRINTING — PUBLI SHING — DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT St P O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743 3923525 FAX 3909618 CABLE DARSHADO